

**EDITING AND COMPARATIVE STUDY OF
EPIGRAM OF MUHAMAD BELLO AND YAHUDHA
B. SAAD ON “AL -BURDAH” OF AL – BUSEERI .**

BY

SHUAIBU ALIYU DIKKO

**DEPARTMENT OF ARABIC,
AHMADU BELLO UNIVERSITY ZARIA .**

October / 2011

**EDITING AND COMPARATIVE STUDY OF EPIGRAM
OF MUHAMADU BELLO AND YAHUDHA B. SAAD ON
“AL-BURDAH” OF AL- BUSEERI .**

BY

**SHUAIBU ALIYU DIKKO (B. A. M .A)
PhD / ARTS / 12608 / 07 - 08**

**BEING DESERTATION SUBMITTED TO THE
POSTGRADUATE SHOOOL, AHMADU BELLO UNIVERSITY
ZARIA NAGERIA, IN PATIAL FUFULMENT FOR THE
AWARD OF DOCTERATE DEGREE IN AFRICAN
LANGUAGES (ARABIC) DEPARTMENT OF ARABIC,
AHMADU BELLO UNIVERSITY , ZARIA.**

October / 2011

DECLARATION

I hereby declare that this Dissertation **EDITING AND COMPARATIVE STUDY OF EPIGRAM OF MUHAMAD BELLO AND YAHUDHA B. SAAD ON “AL-BURDAH” OF AL- BUSEERI.** has been written by me and that it is the record of my own research work and it has not been presented in any previous application for a higher degree Under my able Supervisors, Dr. Basheer Hasan Abubakr, Dr. Adamu said khalid and Dr. Muhamad Awal Umar.

All quotations and sources of information are acknowledged by means of references.

SHUAIBU ALIYU DIKKO sign..... Date.....

CERTIFICATION

This Dissertation entitled **EDITING AND COMPARATIVE STUDY OF EPIGRAM OF MUHAMAD BELLO AND YAHUDHA B. SAAD ON “AL-BURDAH” OF AL- BUSEERI**

By Shuaibu Aliyu Dkko meets the regulation governing the award of the degree of Ph.D. of Arts in African Languages (Arabic) of Ahmad Bello University, Zaria.

.....Date.....

DR. BASHEER HASAN ABUBAKR.
Chairman, supervisory committee

.....Date.....

DR. ADAMU SAID KHALID
Member Supervisory Committee

.....Date.....

DR. MUHAMAD AWAL UMAR
Member Supervisory Committee

.....Date.....

PROFESSOR GARBA DAN-TSOHO ZARIA
Head of Department

.....Date.....

PROFESSOR A. A. JOSHUA
Dean of post graduate School

ACKNOWLEDGEMENT

I express propound gratitude and Appreciation to my first Supervisor Dr. Bashir Hassan Abubakar Usman who assisted me in reading through there books, identified errors and made valuable correction of the dissertation.

I consider it imperative to express my gratitude to my second supervisor Dr. Adamu Saidu Khalid and third Supervisor Dr. Muhamd Awal Umar for the pain they took in the correcting errors in the Dissertation promptness; they performed virtually the same role in seeing that the thesis saw the light of day.

I must acknowledge the constructive role of my Head of Department Professor Garba Dan-tsoho Zaria in the preparation of this thesis. I am equally indebted to my instructor Professor Masud Raji who taught me (throughout the Postgraduate Programmed) for quite along time. Worthily of commendation and gratitude are the coordinator, Dr. Iliyasu Abbass, Dr. Bello Alhassan who have been my instructor and whose contribution made this Dissertation a success. My endless gratitude goes to the former Head of Department Dr. Magagi Tsoho Yakawada, and Dr. M. L. Aminu the Dean Faculty of Arts Ahmadu Bello University, Zaria.

I feel greatly to Sukairaju Muhammad Gali for having availed me with the Poets and other Useful details.

To all I say "May Allah reward you in advance".

ABSTRACT

This Dissertation is on EDITING AND COMPARATIVE STUDY OF EPIGRAM OF MUHAMAD BELLO AND YAHUDHA B. SAAD ON “AL-BURDAH” OF AL- BUSEERI

reading the Epigram of shaykh Muhammad bello and that of shykh yahudha revealed to me the beauty of language style of classical Arabic literature. The works captured my attention. I realized the real beauty of the language style can only be brought to lime light if a comparative study and edition is made with analysis. this motivated me to chose it as topic of research for the doctorate degree Scholars made contributions on the work but the contributions did not include comparative study and edition. I have been able to do this. My work berufited and related the language style of north African scholars, the style of mamluk period, as matter of fact even that of early period of Arabic and Muslim civilization. This brings closer the excellent style of Arabic language for scholars of our period more so in the fact that the fame of Arabic today in the global politics and Economy is gaining greater relevance. Nigeria needs the best style of Arabic for cultural sophistications and development. The Dissertation is of six chapters, each dealing with a specific topic of discussion I suggested the need to scholars to conduct further research in areas outside the comparative analysis Praise be to Allah the compassionate the merciful, may Allah enable us drive from this contribution maximum benefit in life, Amin.

الفصل الأول: المقدمة

سبب اختيار الموضوع

دعا أهم العوامل إلى اختيار هذا الموضوع وهو يتمثل في حصول الباحث على المخطوطة لتخميس محمد بلو ويهوذا بن سعد خلال بحثه وتصفحه بطون الكتب وأمهات المصادر والمراجع عله يجد مادة علمية أو أدبية قيمة وجديرة للبحث، أن لهاتين المخطوطتين معان جيدة ومعلومات دسمة وتصويرات فنية.

ولاحظ أن كلا التخميسين يتسم بمزايا جمالية يختص بها علاوة على ما يشارك غيره من التخميسات. ولاحظ كذلك أن كلا العالمين الشاعرين عاش في عصر واحد. ومن هنا رأى الباحث أنه قد وجد غايته المنشودة فاستقر له أن يقوم بالموازنة بين التخميسين ليظهر أوجه التخالف والتوافق والتفاضل بينهما من حيث الجمال الفني والتصوير الأدبي .

ومن الأسباب التي أدت إلى وضع البحث في هذا الموضوع إبراز الثقافة الأدبية الموروثة من أجدادنا النيجيريين الذين دوت أقلامهم منذ فجر النهضة معالم أفكارهم وخواطر قلوبهم فانعكس فيما دوت الأدب اللطيف الراسع ثقافة وعلماً وفكراً ولذا يجدر القيام بدراسة وتطوير تلك الأفكار عبر الأجيال .

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

1) إظهار أوجه الجودة والتفاضل والجمال الفني في هذين التخميسين الذين هما مرآة للتراث الأدبي العربي النيجيري

- في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين عن طريق الموازنة بينهما شكلا ومضمونا.
- (2) الوقوف على مدى التقارب أو التباعد بين أدبنا العربي في نيجيريا وصنوه المشرقي خلال هذا البحث في شعر التخسيس لقصيدة البردة التي كانت لها صيت منذ العصر التركي والمملوكي ولا يزال هذا الصيت يصل إلى الآفاق حتى اليوم .
- (3) تحقيق هذين التخسيسين على صورة دقيقة .
- (4) دراسة حياة البوصيري والشيخ محمد بلو والشيخ يهوذا بن سعد دراسة تاريخية أدبية.
- (5) تزويد الباحثين والكتاب ملكة هذين التخسيسين ضمن الآثار الشعرية الأدبية ليتمكنوا من مواصلة البحث والدراسة عنهما وعن إنتاجاتهما الشعرية بحيث تبقى لنا الآثار في مكتباتنا العربية ودور الوثائق التاريخية .
- حدود البحث

يتركز هذا البحث على إظهار حياة الأديبين ودراسة عصرهما وتخميسيتهما دراسة أدبية مقارنة، إذ أن الأديب بلو عاش خلال القرن التاسع عشر الميلادي والثاني في القرن العشرين الميلادي .

أهمية البحث

لهذا البحث غايات ومقاصد لدى الباحثين على اختلاف حاجتهم، وميولهم لأنه يمدهم بخصائص تاريخية لدى رجلين معاً لاسيما البوصيري كما يمدهم أيضاً بتلك الخصائص لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ورسائله وما ينوط بها في مكة والمدينة والهجرة والجهاد والإسراء والمعراج، وكذلك الثقافة العربية وعلومها من علمائنا في شمال نيجيريا ويساهم هذا البحث كذلك في إثراء المكتبة العربية وازدهارها .

مشكلة البحث

وتتجلى هذه الإشكالية كالتالي:

ما معنى التخمين؟ ومن رواه؟ متى وأين بدأ هذا النوع من الشعر؟ وكيف نال قبولا لدى الشعراء خاصة النيجيريين؟
من أمير المؤمنين محمد بلو؟ متى عاش؟ وكيف نال هذه القدرة الذهنية حتى ألف هذا الشعر الجميل وصار هناك تقارب بين فكرة من المشرق والأخرى من المغرب؟
من الشيخ يهوذا؟ بن سعد، متى عاش؟ وما تراثه الذي تركه؟ وأين حصل على آثاره وإنتاجاته العلمية؟
هل التخمينان مخطوطتان أم مطبوعتان؟ وهل قام أحد بالدراسة حولهما؟ وهل هما محققان أم غير محققان؟ متى وأين وجد هذه النسخ؟ ومتى وجدت؟
ما المزايا التي يتفاضل بها كل من التخمينين بالموازنة بينهما؟

المنهج

يتكون المنهج من استقراء وتحليل وانتاج
وأما في التحقيق يقوم الباحث بجمع النسخ المتاحة ومقابلة بعضها ببعض فلا يختل بيت عن معناه الصحيح وعن مراده الأصلي. وفي الموازنة يستخدم الباحث استقراء الأعمال الأدبية واصفاً كلا من أنواعها في الدراسة ومبيناً الخصائص الأدبية التي يحويها النص وحاكماً لجودتها وعلى ردايتها .

مراجعة الدراسات السابقة

تتبع الباحث ما كتب في مراحل مركزاً على الليسانس والماجستير والدكتوراه في حياة محمد بلو وآثاره العلمية الأدبية والدينية والثقافية في مختلف الجامعات والمعاهد العلمية عموماً، وكذلك أيضاً يهوذا بن سعد زارياً، وما انعقد على الموازنة بين الشعراء والأدباء منذ أمد بعيد إلى يومنا هذا على النحو التالي: -
أولاً: قام حسن بن بشر بن يحيى الأمدي بالموازنة بين الطائيين 1 المتوفى (370هـ) وسماه " الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري" وكان اتجاهه في الموازنة منهج النقد وذوقه الأدبي،

¹ الدكتور محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، دار النهضة مصر للطبع والنشر الفجالة - القاهرة، 1972، ص: 99 .

والتعصب تحقيق النصوص ونسبتها، النقد الموضوعي، دراسة الأخطاء في الألفاظ والمعاني، التعصب، وغير ذلك فقد صار دراسة الموازنه كهذه يعتبر نموزج لدراسة النقد للأدب العربي عموماً ومنهج في الموازنه منهج سليم للغاية، وهو أول من طرق هذا الباب بشكل واسع على وجه التحديد .

ثانياً: قام الدكتور محمد رشاد محمد صالح (1987م) بنقد كتاب الموازنة بين الطائيين أي أنه أخذ كتاب الأدي ونقده بالتفصيل وتناول نقده من نواحي الدينية، والفلسفية والسياسية، والعلمية وأنه خطأً الأمدي على بعض عمليته الموازنة بين أبي التمام والبحثري بل وجرحه وقدحه حتى اتهمه باتعصب والهوى، ومهما يكن من أمر فإن الأمدي له فضل سبق وفتح باب الذي ظل مغلقاً حتى دخله العلماء والنقاد وأثاروا جدلاً طويلاً فيه .

ثالثاً: محمد زكي عبد السلام مبارك 2 بتأليف كتابه "الموازنة بين الشعراء"، عام 1936م، والكتاب عبارة عن مقدمة والمباحث من مبحث الأول إلى مبحث الثامن والثلاثين فقد قام الكاتب بالموازنة بين البوصيري وشوقي في المبحث التاسع عشرة، كما وازن أيضاً بين البوصيري وشوقي والبارودي في مبحث العشرين فقد ذكر الكاتب أخطاء كل من شعراء الثلاثة وكما قام أيضاً بذكر محاسنهم وجودة قصائده وأماكن القوة والضعف وقد أخذ البوصيري في قضية التكلف وعلى كل حال كان الكتاب جوهري أدبي نقدي ممتاز. إلا أنه لم يحاذي الأمدي في منهجه وأسلوبه الرائع .

رابعاً: قام الطالب سعيد أبوبكر موسى، بالموازنة بين الشيخ عبد الله بن فودي وشعر الشيخ محمد البخاري أمير تمبول دراسة أدبية نقدية، في مرحلة الماجستير، قسم اللغات النيجيرية والأفريقية، بجامعة أحمد بلو زاريا، عام 2004م، قام الطالب بترجمة الشعراء ثم عقد الموازنة في الباب الرابع، وذلك في خمسة فصول، الأول قضية التكلف والطبع، في الثاني الأصالة والاقتباس والسرقة في الثالث الجمال الفني في الشعر، في الرابع قضية التكرار، في

² زكي مبارك، الموازنة بين الشعراء، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت لبنان، دون ذكر الطبعة ص: 1936 .

الخامس العناية بالقواعد النحوية، كأن الطالب لم يعرف الفرق بين الشكل والمضمون فقام بخلطهما ولم يميز الأول من الثاني وعلى كل حال البحث جميل في مستواه ونافع لأنه من القلة .

خامساً: قام الطالب محمد منير أبوبكر بالموازنة أيضاً، في مرحلة الماجستير " الموازنة بين الوزير جنيد والقاضي عمر إبراهيم في فن الرثاء دراسة أدبية نقدية " قسم اللغة العربية، كلية الآداب والدراسات الإسلامية، جامعة بايرو كنو، عام 2009م، والرسالة عبارة عن سبعة فصول وقام بعقد الموازنة في ثلاثة فصول الأخيرة، حيث في الفصل الخامس بناء القصيدة وفي السادس في الفكرة المراثي وفي السابع الجمال الفني، وفي آخر الرسالة الملاحق ولكن الباحث ترك فجوة كبيرة حيث في الفصل الأول تطرق الشعر العربي النيجيري مع ذلك لم يتطرق تخميس محمد بلو ويهوذا بن سعد ولو بالإشارة إلى عملهما مع رغبته الشديد وشوقه العميق في الأدب العربي النيجيري كما جاء في دافعه للبحث .

سادساً: كتب الطالب عمر بلو بحثه في مستوى الدكتوراه جامعة لندن باللغة الإنجليزية بعنوان "ثقافة محمد بلو السياسية وتحقيق كتابه الغيث الوبل في تاريخ الإمام العدل" 1983م والرسالة عبارة عن ترجمة لأمير المؤمنين محمد بلو وبيان مكثف عن خلافته ثم حقق كتابه: الغيث الوبل في تاريخ الإمام العدل 3، لاحظ الباحث أن هذه الرسالة تقتصر بشكل أوسع على خلافة محمد بلو فقط ولا تمس سائر مجهوداته الجهادية والتعليمية كثيراً ولعل الأمر يرجع إلى رغبة الجامعة التي تخرج الطالب منها وهي جامعة لندن (إندلترا) ولم يرقم بالحديث عن تخميسه إلا الإشارة بأن له مؤلفات أخرى يجب العمل عليها حفاظاً لتراثنا العظيم .

سابعاً: وكتب الأستاذ محمد ثاني خامس "درما" بدراسة عن محمد بلو وتحقيق ديوان: إفادة الطالبين في مستوى الماجستير في

3 - Omar Bello The Political Thought of Muhamad Bello1781-1837 as Reveld in his Arabic Writings; more especially al- ghaith al- wabl Fi sirat Al – Imam al-Adl Shool of Oriental and African Studies University Of London, 1983. page 37.

قسم اللغة العربية بجامعة "بايرو" "كنو" عام 1984م بعنوان "أمير المؤمنين محمد بلو وتحقيق ديوان إفادة الطالبين" والكتاب عبارة عن ترجمة لأمير المؤمنين محمد بلو بالتفصيل وتحقيق ديوان إفادة الطالبين تحقيقاً موضوعياً. لأشك أن الباحث قد أجاد في عمل التحقيق وترجمة الشيخ محمد بلو ولم يبق بالحديث عن سائر مجهوداته العلمية الثقافية مثل تخميسه للبردة البوصير بل ولم يشر إليها ولو بالبنان، فصار هناك مجال للبحث وفجوة كبيرة يجب سدها والوقوف على هذه القصيدة الخمسة إزدهاراً للعلم ونشراً للثقافة وحفاظاً لتراث أجدادنا النيجيريين .

ثامناً: وأبوبكر محمد بلو قام بالشرح والتحقيق لكتاب نظم العوامل لمحمد بلو في مستوى الليسانس بجامعة "بايروكنو" عام 1985، والبحث عبارة عن قصيدة في علم النحو بعنوان "شرح وتحقيق كتاب نظم العوامل لأمير المؤمنين محمد بلو" والبحث يحتوي على ترجمة له وخلافة، ومنهج بلو في النظم والغرض من الكتاب أيضاً، ثم تحقيق الكتاب تحقيقاً جيداً ورتب الأبواب والعوامل وحروف الجر وإن وأخواتها وما يعمل عمل ليس، ثم الجوزم والفهارس .

تاسعاً: وطالب آخر هو أيوب شيخ أحمد رفاعي عام 1998م في مستوى الليسانس بجامعة "بايروكنو" الذي كتب بحثه بعنوان "فن الرثاء عند السلطان محمد بلو ابن عثمان بن فودي" والبحث عبارة عن ترجمة السلطان محمد بلو وأشعاره في فن الرثاء ويحتوي كذلك على ذكر مؤلفاته على ترتيب حرف معجم من الألف إلى الياء ثم البيان عن خلافته ووفاته ثم عرض قصائد الشيخ محمد بلو وعلق عليها بأسلوب أدبي وصفى جيد. وأما ما يتعلق بالشيخ يهوذا:

عاشراً: فإن الطالب البخاري أبو بكر الصديق قدم بحثاً عنه في مستوى الليسانس "بجامعة بايروكانو" عام 1985م بعنوان "الشيخ يهوذا ومساهمته في الدراسات العربية والإسلامية" والبحث عبارة عن تاريخ دخول الإسلام هذه البلاد وموقع زاريا جغرافياً ثم ترجمة الشيخ يهوذا ومؤلفاته وشيوخه وتلاميذه وكذلك المعاهد العلمية في هذه المدينة .

حادي عشر: جاء عكاشة أباً وقدم بحثاً في مرحلة الليسانس أيضاً بجامعة جوس 1989م، قام بالدراسة حول هذه الشخصية بعنوان: " الشيخ يهوذا زاريا حياته ومساهمته في نشر الثقافة العربية والإسلامية " حيث تناول في البحث ترجمة الشيخ يهوذا، وعرض بعض مؤلفاته العربية والإسلامية.

ثاني عشر: جاء الطالب محمد أمين شيخو، فكتب بحثه بعنوان "الشيخ يهوذا بن سعد زاريا وأشعاره ذات طابع الأدب العربي والدراسات الإسلامية" في مرحلة الماجستير في "جامعة أحمد بلو" زاريا عام 1995م، والرسالة عبارة عن ترجمة حياة الشيخ وعرض مؤلفاته وقصائده في الأدب العربي والدراسات الإسلامية وتحليلها تحليلاً أدبياً وأتى في آخرها بالملاحق والباحث أتى بتخميس الشيخ يهوذا بن سعد مصورة في الملحق مما يدل على أهميتها وشهرتها بين الباحثين وتحتاج إلى عمل كهذا لتمتد تراثنا الهوس ومكتبات النيجيرية بالثقافة والعلوم .

ثالث عشر: الطالب خضر يوسف "بابا" الذي قام بالبحث حول هذه الشخصية في مستوى الليسانس بجامعة أحمد بلو زاريا عام 2004م بعنوان " مدرسة الفيضة الإسلامية للشيخ يهوذا بن سعد زاريا " والبحث عبارة عن تاريخ مدينة زاريا وموقعها الجغرافي، ثم ترجمة الشيخ يهوذا، ثم البيان عن مدرسة الفيضة الإسلامية من حيث الإنشاء والجو الإداري والمنهجي في التعليم والطلاب الذين تخرجوا منها.

رابع عشر: أتى موسى علي كونه وقدم بحثاً عن الشيخ يهوذا في رسالة الماجستير بعنوان " القصيدة الميمية الإبراهيمية للشيخ يهوذا بن سعد زاريا عرض ودراسة" في شعبة اللغة العربية قسم اللغات النيجيرية والأفريقية بجامعة أحمد بلو زاريا 2003م. وتناول في الرسالة ترجمة عن حياة الشيخ يهوذا ومؤلفاته ثم عرض القصيدة الميمية الإبراهيمية وحللها تحليلاً أدبياً والرسالة خالية من الملاحق .

خامس عشر: قام شعيب علي دكو (الباحث) بالدراسة حول تخميس الشيخ شئت بن عبد الرؤوف، وقدم الرسالة في مرحلة

الماجستير بعنوان "تخميس الشيخ شئت بن عبد الرؤوف لبردة البوصيري دراسة تحليلية" قدم في شعبة اللغة العربية، جامعة أحمد بلو زاريا عام 2000م. والرسالة تحتوي على ترجمة الأديبين الشيخ شئت والإمام البوصيري ثم دراسة التخميسين دراسة تحليلية وفي آخر الرسالة ملحق لمخطوطة القصيدة، وتلك الدراسة تختلف عن هذه بالموازنة والتحقيق وترجمة إمامين محمد بلو والشيخ يهوذا بن سعد، وتتفق في ترجمة البوصيري ودراسة الغرض المدحي للبردة البوصيري .

سادس عشر: الطالب صالح أحمد أبو الفتح الذي قام بالدراسة في جامعة بيرو كنو 2004م بعنوان " بين الشيخ عبدالله بن فودي والوزير محمد بن عبدالله البرناوي في تخميسهما لدالية الشيخ عثمان بن فودي دراسة مقارنة" في مرحلة الماجستير والرسالة عبارة عن ترجمة الأديبين ثم دراسة التخميسين والموازنة بينهما ثم التوصيات والمراجع ولا يوجد ملحق في آخرها.

وكل ما تقدمت من البحوث السابقة قد أظهرت فوائد جمة ومساهمة علمية كبيرة إلا أنها تركت مجالات للباحثين، ومن هذه المجالات تخميس أمير المؤمنين محمد بلو والشيخ يهوذا بن سعد، حيث لم تكن هناك عناية خاصة بل ولم يجدا (هذين التخميسين) حظًا في ميدان البحث العلمي وخصوصاً في هذا المستوى بالذات إلا الإشارة لهما فقط في المراجع وقائمة المصادر، لما لهما من الأهمية وكثير الفائدة، وفيما يعرف الباحث لم يجد باحثاً آخر عقد موازنة بين هذين الشخصين، اللهم إلا ما تناوله الباحث بالدراسة حول بحثه في الماجستير بعنوان " تخميس الشيخ شئت بن عبد الرؤوف لبردة البوصيري دراسة تحليلية " وهذا فيما يتعلق بالبردة

الفصل الثاني: ترجمة الشعراء الثلاثة

وفيه ثلاث مباحث:

- المبحث الأول: حياة البوصيري وشاعريته
المبحث الثاني: حياة محمد بلو وشاعريته
المبحث الثالث: حياة يهوذا وشاعريته

المبحث الأول: ترجمة محمد البوصيري

المدخل

معرفة سيرة حياة الإمام شرف الدين محمد البوصيري يعطي الفكرة من مبدأ حياته وصورة من أدبيته وشاعريته والعوامل التي كوَّنت هذه الشخصية الفذة بين الأدباء والشعراء وخاصة فن المديح النبوي، فإن أشعار البوصيري قد نالت اهتمام الشعراء والأدباء والنقاد عبر التاريخ على حد سواء مما جعل الباحثين والكتّاب والمحليلين والمفكرين والمتقنين يدونون سيرته وتراثه هنا وهناك يشاطرونه أيضاً بأقلامهم وقلوبهم وأحاسيسهم ورغباتهم في نيل ثواب الله تعالى لهذا العمل المدحي والثنائي لخير خلق الله كافة على وجه هذه المعمورة .

ولادته، اسمه، ونسبه

ولد الإمام البوصيري يوم الثلاثاء في شهر شوّال 608هـ الموافق 7 / 3 / 1213م 4 واختلف العلماء في مكان ولادته قيل بوصير، وقيل دلاص والمشهور هو أنه ولد في دلاص 5 ثم انتقل إلى بوصير، وأما اسمه فهو شرف الدين محمد بن سعيد وقد اشتهر بنسبه بمكان ولادته بوصير حتى نسب إليه. وأما نسبه: فهو أبو عبدالله شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبدالله بن صنهاج بن هلال، ويقال الصنهاجي 6 البوصيري وأبوه سعيد بن حماد من بوصير، وأمه من قرية دلاص وينسب إلى بوصير حيناً ودلاص حيناً آخر وانتسابه إلى بوصير أكثر، 7 فركب له نسبه

4 حنّ الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص: 860 .

5 قرية من قرى بني سويف بمصر .

6 صنهاجة إحدى قبائل البربر، وأصل وطنها الصحراء، جنوب المغرب الأقصى .

7 بطرس البستاني: دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب، طبعة دار المعارف بيروت لبنان مؤسسة إسما عليين تهران، سنة 1294هـ - 1877م ج/5 ص: 664 .

منهما وقيل الدلاصيري . هو شاعر عربي بربري الأصل محدث وخطاط ماهر سكن بلبيس واتبع طريقة أبي العباس المرسي الصوفي فانتسب بذلك إلى التصوف⁸ .

الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية في عصره

فإن الجوَّ الاقتصادي والحالة التي أصابته من الرداءة وما دكَّ أركانه من التدهور في ذلك الحين لسبب سقوط بغداد على أيدي المغول وجيوشه ومن ثم قضائه على نفائس بغداد وكنوزه وتخريب دياره العامرة والغارات المتواصلة على الشام ومصر قد أدى ذلك إلى فرض ضرائب باهظة على الشعوب وصار سبباً أدى إلى انحطاط اللغة العربية انحطاطاً كلياً في هذا العهد⁹ . "وإن كان السلاطين والمماليك يقدمون ويبدلون المال والعطايا والجود والمنصب لدفع عجلة التأليف والإنتاج العلمي نحو الأمام وإنها سنة من كان قبلهم من الأئمة والسلاطين مما أدى إلى امتلاك خزائن الكتب وامتلائها بثمرات العقول وإنتاجاتها في ذلك العهد، وأما ماكانت تفاض من الهبات وأنواع الإحسان وضروبها من الأوقاف المحبوسة على العلم وأهله وما يصرف لهم الأمراء من الطعام والكساء وما تهيب لهم من المساكن ليعيشوا في صدف من الهناء لايشغلهم شاغل عن طلب العلم والتجرد له ولا يعني كل هذا وذاك من رسوخ عمود وعودة أركان الاقتصاد المفقود في ذلك الوقت¹⁰ ". وإنما هو محاولة إعادة الثروة الثقافية الضائعة المفقودة، نتيجة كارثة هولاء التي حلت ببعض البلاد الإسلامية العربية .

وعلى وجه التحديد "فإن فترة مابين القرن السابع الهجري وأوائل القرن الثالث عشر الميلادي فترة انحطاط تضرب معراكمها كافة الأفق السياسي والاقتصادي والاجتماعي وكذلك الثقافي"، "وقد عاش البوصيري بين 608هـ و696هـ الموافق ب 1213م

⁸ النرجع السابق نفسه .

⁹ عربى حمزة، البوصيري وقصيدته البردة، بحث قدم إلى قسم اللغة العربية، لنيل درجة الماجستير، جامعة بايرو، كنو، عام 1994م ص 53 .

¹⁰ أحمد الإسكندري، المفصل في تاريخ الأدب العربي، مطبعة وزارة المعارف العمومية، دون ذكر التاريخ وعدد الطبعة ج/ 2 ص: 156 .

حين انتكس في تلك الفترة قتل العباسيين في بغداد 11 بعد عهد المتوكل، لتنافس الفرس والأتراك، وتحارب الشيعة والسنة، وذهاب جلاله الخلافة من النفوس، حتى قوض عرشها هولاء سنة 656هـ 12". هاجم المغول على البقاع الإسلامية واستولوا على بغداد وبعض الأقطار الإسلامية والعربية وقد ساعدتهم على ذلك ما كان بين المسلمين فيها من خلافات سياسية ونزعات طائفية دينية بل حتى العرقية (من الأسباب التي مكنتهم من الاستيلاء على هذه البلاد والسيطرة عليها). فما أشبه اليوم بالبارحة فالتاريخ يعيد نفسه والأمر بلغ الدقة في المشابهة والغاية في المماثلة .

وتعد أيام ممالك مصر والشام فترة إنقاذ الحضارة الإسلامية والأدبية لأن سلاطينهم اتخذوا مصر وطنًا والإسلام دينًا والعربية لغة. 13

وبعد سقوط بغداد في السنة 656هـ قدم إلى مصر أبو القاسم أحمد بن الخليفة وخرج السلطان بيبرس للقائه ومعه القاضي والعلماء والوزير. وبعد أشهر طلب الخليفة من السلطان أن يجهزه إلى بغداد، وبينما هو في الطريق خرج عليه عسكر التتار 14 والتقى الجيشان وذلك في عين جالوت بين بيسان ونابلس على أرض فلسطين ويؤيد جيش المغول بعض النجدات النصرانية وهزم المغول هزيمة منكرة لأول مرة في تاريخهم، بعد أن كانت القلوب قد يئست من الانتصار عليهم لاستيلائهم على معظم البلاد الإسلامية وظلت مصر والشام تحت سلطان المماليك حتى دخلت تحت حكم الأتراك العثمانيين سنة 923هـ. 15 كان الفتح العثماني بهزيمة السلطان الفوزي أمام جيش العثمانيين في موقعة مرج الدابق سنة 922هـ وأسلمه جنده فحاول الفرار فسقط من جواده وتخطفته سنابك الخيل،

¹¹ حنا الفخوري، تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق ص: 856 .

¹² أحمد زيات، تاريخ الأدب العربي، طبعة دار النهضة، مصر للطبع والنشر، ط25، ص: 400 دون ذكر التاريخ.

¹³ حنا الفخوري، تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص: 586 .

¹⁴ الشيخ أحمد الإسكندري، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، طبعة دار المعارف، بمصر الطبعة السادسة عشر ص: 401 دون ذكر التاريخ.

¹⁵ د/ جميل عبدالله المصري، حاضر عالم الإسلام وقضايا المعاصرة، ج/ 1 ص: 5 مكتب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط 2، عام 1410هـ 1989م .

وحاول طومان باي بعده صد غارات العثمانيين فهزم في أربع وقائع وبعد شدة وبأس التجأ إلى مديرية البحيرية عند شخص كان يثق بنجداته ولكن لم يلبث طويلاً حتى حمل إلى القاهرة وشُق. 16

الحالة الثقافية

وأما من الناحية الثقافية فإن حكم التتار في حاضرة الإسلام ودار السلام وما فعلوه من قضاء على آثار مجدها ومظاهر حضارتها وقذفهم الكتب في نهر دجلة وهي خير ما أنتجته قرائح المسلمين فظلت القاهرة مركز العلم والثقافة لبلاد الإسلام وهي المثابة الأخيرة للعرب والعربية طبعاً، وأن حكومتها كانت مملوكية شركسية، ولكن لم تكن لرجالها وجنودها عصبية قوية تجعل لغتهم تزام العربية، فبقيت بطبيعة الحال اللغة الرسمية هي العربية 17، بيد أن تلك الحالة لم تدم أكثر من مدة ممالك وصدرة دولة العثمانيين الوارثة لهم، ولم تلق العربية في ذلك العهد من يأخذ بيدها شفاعاً أو من ينجيها من غرق العصبية والإلحاد، لأن اللغة التركية حلت مكانها، وزاحمتها بكثير من الكلمات وظهر أثرها البين في تحرير الرسائل الديوانية والمعاهدات السياسية فطوي بسط ديوان الإنشاء الذي كان له الفضل الأكبر والحظ الأوفر. 18

نشأته، ثقافته، وشخصيته:

إن حياة البوصيري تتمثل في حب شديد لسيد الورى صلى الله عليه وسلم وأنه أمضى حياته في مدح الرسول وذكر مناقب المصطفى وخير رسالته، ومهما يكن فإنه نشأ وترعرع ببلدة البوصير فبدأ بحفظ القرآن الكريم ببوصير، ولعل هذا كان بداية الانطلاق كما كان من المعتاد في بلادنا هذه قبل الالتحاق بمركز علمي متطور، وبعد حفظ القرآن سار على المنهج الدراسي المتبع في مصر آنذاك، والتحق بمسجد الظاهر بعد انتقاله إلى القاهرة،

16 أحمد الإسكندري، المفصل في تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ج / 2 ص 225

17 الشيخ أحمد الإسكندري، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، المرجع السابق، ص: 290

18 أحمد الإسكندري، المفصل في تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ج / 2 ص:

وتعلم علوم العربية والأدب فصار أديباً شهيراً، وشاعراً بارعاً 19

ومهما يكن من أمر، فإن الإمام البوصيري قد نال عناية توجيهية كريمة فائقة، لأنه أنفق معظم وقته في طلب العلم وهو يسعى جاهداً في طلبه وتحصيله وكذلك إحياء تراثه في نفس الوقت إلى أن صار عالماً مشهوراً وأديباً ذائع الصيت بين علماء وأدباء عصره، وشهد له العالم بهذا التفوق وخاصة لتأليفه قصيدة " البردة " 20، وأما من الناحية الثقافية فإن أبا عبدالله البوصيري من خيار أدباء العهد التركي، ويعد شخصيته فذة بين شعراء عصره. اكتسب ثقافة واسعة وذاعت شهرته بين الأدباء في عصر انعدمت فيه أسباب النهضة العلمية والأدبية. 21

وأما قصيدته " الكواكب الدرية في مدح خير البرية " المشهورة بالبردة فهي خير دليل على ما نقول وهي التي أشار إليها العلماء بالقول: "فإن العلماء تفننوا في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومن أجلهم الإمام الكامل والهمام العالم الأديب الشهير أشعر الشعراء، وأفصح الحكماء الذي صاغ قصيدته صوغ الذهب الأحمر ونظمها نظم الدر والجوهر أعني القصيدة المشهورة بالبردة. 22 " ولا شك أن هذا دليل يؤكد على صحة شاعريته وعلى ثقافته وطول باعه في العلم والمعرفة وخاصة في فنون الأدب والشعر وقد ذكرنا سابقاً أنه تنفرد أشعاره بغاية الحسن واللطافة وعذوبة الألفاظ وحسن التركيب عامة وكان يجاري شعراء عصره في غير القصائد النبوية، ومما يدل على ثقافته وإلمامه الواسع في مدح وثناء العلماء عليه: قال ابن العماد: " برع الشاعر في النظم " 23 وقال ابن حجر الهيتمي: " إن البوصيري كان من عجائب الله في النثر

19 حنا الفاخوري، التاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص: 680 .

20 شعيب علي دكؤ، تخميس الشيخ شنت بن عبد الرؤوف، لبردة البوصيري، المرجع السابق، ص 10 .

21 حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص: 860،

22 إبراهيم الباجوري، حاشية الباجوري على البردة، مطبعة المصطفى الحلبي

وأولاده، بمصر، الطبعة الرابعة، 1951م ص: 4 .

23 عربى حمزة، البوصيري، وقصيدته البردة، المرجع السابق ص، 52 .

والنظم "24 وقال الإمام السيوطي: " ومن سيّر شعره علم مزيته
" وكذلك مايدل على سعة اطلاعه ردوده على اليهود والنصارى
ومجادلته إياهم بعد مطالعته الإنجيل والتوراة والزبور 25. ولا شك
أن أبا عبدالله محمد البوصيري يتمتع بشخصية فذة وحيدة لعبت
دوراً هاماً في الكون قدمت لدنيا الأدباء على وجه الخصوص أثراً
خالداً وللبشرية على وجه العموم.

ولو اكتفينا بالبردة وحدها على سبيل المثال وتغاضينا عن
سائر مجهوداته التي بين أيدينا لكانت أكبر برهان، وأجلاً دليلاً على
شخصيته وشاعريته وأحقيته في التقدم على سائر شعراء عصره،
وللمسنا كفاءةً عالية جليلة يشهد عليها هذا الإنتاج الأدبي العظيم،
وفي مطلعها يقول الإمام البوصيري:

أمن تذكر جيران بذي سلم * مزجت دمعاً جرى من
مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة * وأومض البرق في الظلماء
من إضم

فما لعينيك إن قلت اكفها همتا * وما لقلبك إن قلت استفق
يهم

أيحسب الصب أن الحب منكم * ما بين منسجم منه
ومضطرم

لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل * ولا أرقنت لذكر البان
والعلم

فقصيدة البردة هذه تمثل شخصيته البارزة ذات القدرة على
النجاة من المرض الذي أصاب أدب ذلك العصر من العناية بالشكل
مما ذهباً بحقيقة الأدب وترك المضمون. 26 وعلى الرغم من أن ما
تناوله الأديب في شعره يمس جانبي فن المديح النبوي، ومع هذا
يمكن أن نعرف من خلالهما شخصيته خلقاً، وزهداً وورعاً. وأما

24 نفس المرجع ص: 52

25 يوسف بن إسماعيل النبهاني: مجموعة النبهانية في المدائح النبوية، دار الفكر بيروت
لبنان، ج/ 3 ص: 177، دون ذكر التاريخ.

26 حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي المرجع السابق، ص: 864. ++

فيما يتعلق بأخلاقه التي يمكن أن تعرف من خلال شعره فهو فاضل الأخلاق صادق النية ومخلص في شؤونه، و يكره الخيانة وأهلها وفي ذلك يقول شعراً عن عماله لما تولى مديرية الشرقية²⁷ ومطلعها:

تكلت طوائف المستخدمين * فلم أر فيهم رجلاً أميناً
فخذ أخبارهم مني شفاهاً * وانظرنني لأخبرك اليقيناً
فقد عاشرتهم ولبثت فيهم * مع التجريب من عمري سنيناً
هذه الأبيات تظهر من خلالها الحال الطيبة التي يتمتع بها الأديب من خلق فاضل نبيل، وسمو النفس العالية بحيث يمكنه من عمل الخير وحفظ الأمانة وأدى الأمر إلى أن لا يتعامل مع أحد إلا ذي خلق كريم ونفس رفيعة وحافظ للأمانة. لاشك إن ورعه وزهده هما اللبنتان الأساسيتان في تكوين الشخصية الأدبية الصادقة الباهرة المتميزة في آن واحد. وكان أبو عبدالله شرف الدين البوصيري يقول شعر الهزل ولكنه لا يرضى بالألفاظ العامية²⁸ ومما يدل على نظمه في الهزل دعابته وامتزاحه في قصيدته التي قالها في فتاة راودها عن نفسه قد شغفه حباً فأنكرته، لأنه بلغ من العمر عتياً فأراد أن يقنعها بما ستنال منه من مودة، وحب حنون، ورعاية تنطوي في صفحاتها الرحمة والود الجميل الذي ادخره الله بين النفسين، ومطلعها:

أهوى والمشيب قد حال دونه * والتصابي بعد المشيب رعونة
أبت النفس أن تطيع وقالت * إن حبي لا يدخل القنينة²⁹
وقصائده في مدح النبي صلى الله عليه وسلم تمثل غاية حبه له وشوقه للمصطفى وزهده وورعه في الدنيا وأن هذا مهد له الطريق ويسر له كل السبل إلى أن صار أشعر الشعراء في مدح النبي صلى الله عليه وسلم .
وفي قوله في قصيدته تقدير الحرم من تدنيس الحرم خير دليل:

27 بطرس البستاني، دائرة المعارف المرجع السابق ج / 5 ص: 694 .
28 حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي المصدر السابق ص 865 .
29 محمد سيد كيلان، ديوان البوصيري نظم شرف الدين بن عبد الله محمد سعيد، القاهرة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، عام 1374 هـ، دون ذكر عدد الطبع، ص: 7 .

ولولا وثوقي منك بالفوز في غد * لما لذ لي يوماً شراب
ولا برد

وهذا برهان واضح على ثقة الشاعر وتعلقه نفسه بحب
المصطفى عليه الصلاة والسلام وكبير رجائه لشفاعة سيد الورى
ونبي الرحمة بل وقد نلمس ونشعر خلال هذا البيت تعبيراً صوفياً
حيث نفي اللذة من تذوق الشراب ولا طعم برد العيش من أجل
إظهار الشوق والحب له صلى الله عليه وسلم،
علماؤه وتلاميذه:

مصادر التاريخ وبطون الكتب لم تذكر كيف قضى البوصيري
طفولته بالتفصيل ولكن أشاروا إلى أنه درس علوم القرآن على أيدي
علماء عصره، ومن ثم رحل إلى القاهرة وواصل سيره التعليمي
وفق المنهج الدراسي الموجود آنذاك في مصر والتحق بمسجد
الظاهر يحضر حلقة الذكر ويدرس علوم الأدب واللغة وعلوم الدين
والفقه، ولعل نظام التدريس المنهجي هو الذي يسود جو طفولته،
وقد صحب الشيخ أبا العباس المرسي وأخذ منه علوم وآداب
وأسرار التصوف، وهكذا وجد البوصيري طريقه إلى التصوف
فأصبح زاهدا متورعا متقشفا، وصار أيضاً عالماً وأديباً وخطاطاً،
وفقيهاً، نتيجة تقلباته في طلب العلم وتحصيله بلا مرء. 30 تلقى
منه العلوم عدد غير قليل من الناس ومن بينهم أبو حيان الأندلسي
المتوفى 722هـ وأبو الفتح بن سيد الناس اليعمري المتوفى 724هـ،
وكذلك عز الدين بن جماعة المتوفى 735هـ. 31
قصائده، وأشعاره:

لاجدل على الإطلاق أن البوصيري من أشعر شعراء القرن
السابع الهجري وأبرز الشخصيات الأدبية في ذلك العصر وخاصة
في فن المدح النبوي ويتصف شعره بالدقة في اختيار الكلمات
وفصاحته وعباراته وترابط أبياته وكما يميل إلى الدعابة أحياناً في

30 مختار أبوبكر، البوصيري وقصيدته الهمزية، بحث قدم لنيل درجة الليسانس قسم
اللغة العربية جامعة بايروكنو 1996م، ص 43.

31 محمد سيد كيلان، ديوان البوصيري، المصدر السابق ص: 7 .

غير الموضوعات الدينية 32 وقد تناول أشعاره جانب: الاجتماعي، والمديح النبوي. وينطوي تحت الأول: الهجاء، والرثاء، والمدح، والاعتذار. ويندرج تحت الثاني: أشعاره في فن المديح النبوي، وقد مال إلى المدائح النبوية منذ انتسابه إلى التصوف ومنذ أن اتصل بالشاذلي وله أشعار رائعة في فن المديح يبلغ عددها 1621 بيتاً 33 ويمتاز هذا الأديب في هذا النوع من الشعر بعمق التفكير، والجزالة، وحسن استعمال البديع، وهو أقرب إلى القدماء في التعبير والتصوير، وخاصة حياة البداوة وذكر أسماء الجزيرة التي يتداول ذكرها عند الشعراء الحجازيين وشعراء المديح النبوي، ومن أشهر قصائده وأشعاره: -

الكواكب الدرية في مدح خير البرية المشهورة بالبردة:

هذه القصيدة معروفة في هذه المعمورة وقد ذاعت سمعتها وشهرتها وخاصة في العالم الإسلامي وعدد أبياتها 162 بيتاً ففي هذه القصيدة أبدى الشاعر عبقريته الأدبية وموهبته الشعرية وأظهر أيضاً إلمامه بالسير، والمغازي، والوقائع، والحوادث التاريخية، في أيام الرسول وغيره. وقد نالت قبولا رفيعاً واهتماماً بالغاً وعناية كافية لدى الأدباء والكتاب والباحثين والشارحين والعلماء، فحركوا أقلامهم وأنتجوا ألوفاً من التخميس، والتشطير، والتسبيح والمعارضة ودونوا شروحات مختلفة وعلقوا، ولعل هناك من نقدوا وليس هذا فحسب، بل ترجمت إلى اللغات الأخرى كالهندية، والفارسية، والتركية، والألمانية، والإنجليزية 34 منذ ذلك العصر إلى يومنا هذا، وإن دل كل هذا وذاك على شيء فإنما يدل على جلال قدرها وعظيم نفعها وحسن قبولها لدى كثير من جمهور المسلمين .

أم القرى في مدح خير الوري المشهورة بالهمزية:

32 محمد زغلول سلام: الأدب في العصر المملوكي، طبعة دار المعارف، بمصر 1119

كور نيش القاهرة ج 1 / 266

33 المصدر السابق، نفسه .

34 حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص: 895 .

نظمها البوصيري لما عاد إلى القاهرة وفيها يحن الأماكن التي
حلَّ بها في سفره وعدد أبياتها 456 بيتاً ومطلعاً:

كيف ترقى رقيق الأنبياء * يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساوك في علاك وقد حا * ل سناً منك دونهم
وسناء * إنما مثلوا صفاتك لنا
* س كما مثل النجوم الماء
أنت مصباح كل فضل فما تصد * در إلا عن ضوئك
الأضواء 35

وقد نالت هذه القصيدة قبولاً كبيراً عند العلماء والأدباء وكبدوا
أنفسهم مهمة شرحها وتشطيرها وقراءتها ودراستها في
المدارس 36، وخاصة المدارس التقليدية وقد تحدث الشاعر فيها عن
سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من الولادة إلى الوفاة وما حلَّ
به قبل الرسالة وبعدها هو وأصحابه من التعذيب والتنكيل على أيدي
كفار مكة .

سلوان القلوب:

هذه القصيدة نظمها البوصيري لما وصل إلى المسجد النبوي
أثناء أداء فريضة الحج وعدد أبياتها 120 بيتاً وذكر فيها خسارة
الكفار خاصة الذين عايشوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا
به، بل أظهروا عداوتهم له، يقول في مطلعها:

بمدح المصطفى تحيا القلوب * وتغتر الخطايا والذنوب
وأرجو أن أعيش به سعيداً * وألقاه وليس علي حوب
نبي كامل الأوصاف تمت * محاسنه فقيل له الحبيب 37

تقديس الحرم من تدنيس الضرم:

وهذه القصيدة يبلغ عدد أبياتها سبعاً وتسعين (97)، يقول
شرف الدين أبو عبدالله في مطلعها:

35 محمد سيد كيلان، ديوان البوصيري، المرجع السابق، ص: 26 .
36 عبد القادر سعيد الراقعي الفاروقي، نيل المراد في تشطير الهمزية والبردة وبانت سعاد،
مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، 1389 هـ 1969 م ص: 162 .
37 يوسف بن إسماعيل النبهاني: مجموعة النبهانية، في المدائح النبوية، المرجع السابق، ج
4 ص: 7061 .

إلهي على كل الأمور لك الحمد * فليس لما أوليت من نعم
حد
لك الأمر من قبل الزمان وبعده * وما لك قبل في الزمان ولا
بعد 38

العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية التي أثرت على انتاجات الشاعر الأدبية .

بما أن البوصيري ولد في ظروف سياسية والاقتصادية حرجة، ذلك بما يحيط بالمشرق العربي من الحروب والغارات المتواصلة من قبل قوات مغول وغيره وسقوط بلاد الإسلامية في أيديهم وما أصاب تلك الفترة من الانحطاط وتجزأ دولة الإسلامية إلى أقاليم وممالك ودويلات، وركود ثقافة الإسلامية لما أصاب المسلمين من رمي كتبهم وثقافتهم في نهر دجلة، والروح الصوفية وحب النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته قد أثرت هذه كلها في حياة الشاعر وظهر ذلك جليا في بعض قصائده وأشعاره. ومنه قول الشاعر:

ولولا وثوقي منك بالفوز في غد * لما لظني يوم شراب
ولا برد

هذا البيت خير دليلك على أن الشاعر يعاني في ضميره ألما شديداً وظل منذ وقت يقاسي مرارة العيش ويتعذب بعوامل مؤثرة خارجية والداخلية بل قد ضاق عليه حتى تفوه به في شعره ويظهر في البيت ينسا قاطعا لرجاء الحياة ولظتها والحصول على مراميها قريباً كان أم بعيداً.

وكذلك قوله في البيتين التاليين وهما يعتبر مطلع لقصيدة التي بعث بها إلى أحد الوزراء في شكوى حاله فقال:

إليك نشكو حالنا إننا * حاشاك من قوم أولي عسره
في قلة نحن ولكن لنا * عائلة في غاية الكثرة
إلى قوله:

وأقبل العيد وما عندهم * قمح ولاخبز ولا قطره

فارحمهمو إن عاينوكعكة * في كف طفل أو رأوا
تمره

تشخص أبصارهمو نحوها * بشهقة تبعها زفرة .³⁹
تبكي العيون بهذه الأبيات التي تحكي حقارا وظلا وهوانا
لأهل العلم والمجد وللعربية والأدب حيث استهل الشاعر القصيدة
بالنداء والإستغاثة والويل، واللهف عن لقمة العيش ليس في الأيام
الحياة فحسب بل وحتى في أقدس الأيام وأطهرها على مناسبات
المسلمين جميعا وهي العيد، ولاشك أن ظروف السياسية
والاقتصادية والاجتماعية قد أثرت بل وثبطت الشاعر من ينال أهل
الأرض نفيس الذي في كنز الشاعر ومما يهويه فؤده وضميره
وحتى غادر هذه المعمورة حاملا بضائعه وثمرته وخسر هذا العالم
بأجياله وقرونه.

وفاته:

لقد هاجمت المنية الإمام شرف الدين البوصيري سنة 696
وقيل 694 هـ واستقر في مثواه الأخير في الإسكندرية 40 رحمه
الله .

³⁹ زكي مبارك، الموازنة بين الشعراء، المرجع السابق، ص: 150 .
⁴⁰ بطرس البستاني، دائرة المعارف، المصدر السابق، ج 5 ص: 695.

المبحث الثاني: حياة محمد بلو وشاعريته

في هذا المبحث نبذة تاريخية عن حياة أمير المؤمنين محمد بلو بن عثمان بن فودي وهذا أول ما يصدر به هذا الفصل ليعطي نموذجاً حياً عن حياة هذا الأديب ولا شك أنه يساعد على معرفة العوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته الفذة، وعبقريته الأدبية الشاعرة وخلافته العادلة، وهذا سيمر بالعناوين التالية :

1. ولادته
2. نسبه، وقبيلته .
3. لقبه .
4. نشأته، وحياته .
5. حياته العلمية .
6. أدبيته، وشاعريته .
7. علماءه، وشيوخه، ومؤلفاته .
8. بيأته التي عاش فيها، "العامة والخاصة"
9. خلافته .
10. وفاته، ودفنه .

أولاً: ولادته

ولد أمير المؤمنين محمد بلو بن عثمان بن فودي يوم الأربعاء في شهر ذي القعدة سنة ألف ومائة وخمس وتسعين هجرية (1195هـ)، الموافق بألف وسبع مائة وثمانين ميلادية (1195هـ- 1780م) وهو الرابع من أولاد والده الذكور 41 وقيل هو الثالث من أبناء والده، عثمان بن فودي 42.

ثانياً: نسبه، وقبيلته:

⁴¹ محمد بلو، تنبيه أحكام المكاسب، ترجمة عمر بلو / وعبد الله بن فودي إيداع النسخ

ص: 4 .

⁴² عمر بلو، ثقافة محمد بلو السياسية، وتحقيق كتابه الغيث الويل في سيرة إمام العدل، رسالة الدكتوراه، جامعة لندن 1983م، ص: 49 الرسالة بلغة الإنجليزية

هو محمد بلو بن الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن أيوب بن هارون بن محمد (غرطو) 43 بن محمد "جبو" 44 بن محمد "ثنبو" بن أيوب بن ماسران بن أيوب بن أبي بكر بن موسى "جكلو" وموسى هو الذي هاجر بجماعته من بلاد "فوتًا ثورُو" فاستوطنوا بلاد هوسا واختلطوا بهم حتى ظهر من بينهم الشيخ عثمان ابن فودي 45 وقيل إن نسبه من جهة أمه يصل إلى محمد بن الحسن بن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم 46.

ومما أورده محمد بلو أنه من أصل فلاتي يتصل بالعرب، وهم من ولد جعفر بن أبي طالب، وقيل " أنهم من اليهود لحبهم البقر والتمسك بالعصى. 47 ولعل الشيخ يشير إلى قوله تعالى " وأشربوا في قلوبهم العجل" 48 وفي ذلك يقول عبد الله بن فودي:

فتوردب أحوال الفلانيين إخوة * لعرب فمن روم بن عيص تفرعوا وعقبة أبوكل
الفلانيين من عرب * ومن تور كانت أمهم هي تجمع وعجز البيت الأخير من البيت الثاني يدل على أن الفلاني الذين استوطنوا بلاد الهوسا خرجوا من فوت تور من مالي وبذلك تسمى هذه القبيلة الفلانية بـ (تورنكاوا) 49 وقيل نسبة إلى "توردب" أو التوروذ من إحدى قبائل الفلاة 50 وهذان البيتان

43 بعض الكتاب يكتبون (غرطو) هكذا بدون واو

44 والبعض يكتبون (جَبُّ)

45 أمين الدين أبوبكر، المجاهد الكبير في غرب إفريقيا، كتاب أصله رسالة جامعية لنيل

درجة الماجستير قدمت لقسم الدراسات الإسلامية جامعة بايرو كانو، 1987م .

6 عبد القادر بن عثمان بن ليم، الإكتفاء لأهل الناسى والإفتداء، مناقب أمير المؤمنين محمد

بلو بدون ذكر التاريخ

47 محمد بلو، إنفاق الميسور المرجع السابق، ص: 226 - 227 .

48 البقرة : آيه 93

49 علي أبوبكر "الدكتور" الثقافة العربية في نيجيريا، الطبعة الأولى، مؤسسة عبد الحفيظ

البساط، 1922م.

ص: 68 .

50 محمد بلو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تكرر دار ومطابع الشعب شارع قصر العيني

القاهرة 1383هـ

يذكر ان لنا أصل الفلانيين، وأن تورذب أحوال الفلانيين وهم إخوة للعرب ومنهم من يزعم أن هذا الأصل الفلاني ينتمي إلى خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام ويقول الشيخ عبدالله بن فودي حيث يذكر هذا النسب في الأبيات السابقة عند تفسيره لقوله تعالى " وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه"51 ويذكر المؤرخون كثيرا من الأقوال والاختلافات في أصلهم.52 والمهم هو أن الجد السابع لمحمد بلو هو (موسى جكلو) الذي هاجر هو وجماعته من بلاد "فوتاتور" من (مالي) في القرن الثالث عشرة واستقروا في بلاد هوسا بمملكة غوبر53.

ثالثا: لقبه:

واسمه محمد ويلقب (بلو بفتح الباء وتشديد اللام المضمومة وبعدها واو ساكنة حرف مد للإشباع وربما تحذف كتابة واو فيكتب هكذا " بل، "54) وكلمة بلو هذه في اللغة الفلانية بمعنى مساعد ومعين وهو حقيقة أنه مساعد كبير لأبيه وجماعته والمسلمين أجمعين.55 ويلقب أيضا بالإمام كما يلقب بسليمان أو بأمير المؤمنين56.

رابعا: حياته، ونشأته:

نشأ أمير المؤمنين محمد بلو في حسن السيرة والسلوك حميد، وظهرت عليه علامات الفطنة واليقظة التي تبشر بمستقبل مشرق وذكائه الحاسم أيضا، يبشر بأفق جديد يلوح بحمل مسؤولية الأمة خلال مسيرة هذا الولد.57 وكان أمير المؤمنين محمد بلو مع جدته حسنة أم والدته حواء بموضع يسمى "بَرَا يَزَاك" وهو صبي

51 سورة الزخرف آية 26 .

52 عبدالله بن فودي، ضياء التأويل في معاني التنزيل، مطبعة لاستقامة القاهرة 1380هـ

1961م ص: 22 .

53 محمد بلو: إنفاق الميسور، المرجع السابق، ص: 225-227، آدم عبد الله الإلوري، (

الشيخ) الإسلام في بيجيريا، الطبعة الثالثة 1368هـ 1978م ص: 92 .

54 محمد بلو، إنفاق الميسور، المرجع السابق، ص: 22 .

55 المصدر السابق نفسه، ص: 23 .

56 أمين الدين أبوبكر، (الدكتور) المجاهد الكبير في غرب إفريقيا، المصدر السابق ص

26

57 شيخو عثمان كبر، الشعر الصوفي في نيجيريا، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، في اللغة

العربية، جامعة بايرو، كنو 2000 م، ص: 235.

لايلعب مع الصبيان ويظل تحت الشجرة وحده. وفي بعض الأيام خرج يريد والديه فضلَّ الطريق وسار حتى وصل بموضع يسمى "ثرا ثرا" فالتقطه النساء الرعاة وأوصلوه إلى عمته مونم وسارت به إلى جدته، فأرسلت جدته تخبر الشيخ عثمان بحاله فأرسل الشيخ "وود" ليرده إلى البيت ومحمد بلو ابن عشرة سنة فحين سلك الطريق قال لوود: هل تعلم أنا سنقيم الجهاد في هذه البلاد فأخبره بأمور الجهاد 58 هذه المقولة التي تصدر من ولد كهذا وخاصة أمر يتعلق بالجهاد يعطى ضوءاً على أن المسيرة حافلة بآمال قيادة الأمة وطلوع فجر جديد لمستقبل فريد من نوعه .

وقد صحب محمد والده وخدمه ووازره وكفاه المهمات من أمره وجاهد الأعداء وفتح فتوحات عديدة كانت للمسلمين في الدنيا فتحاً ونصراً مؤزرًا 59، وكيف لا، وكان نباتا حسنا من كفالة أهل العز والمجد.

وقد نشأ محمد بلو تحت نظام دقيق وإعطاء الأولوية للوقت باعتبار أنه أغلى من الذهب والحياة كلها حسابات فكان لكل من أفرد الأسرة في البيت جدول يومي وقت لدرس ووقت للمذاكرة ووقت لأعمال المنزل ووقت للصلاة ووقت للتجارة. 60

خامسا: حياته العلمية:

ومما لاشك فيه "أن أمير المؤمنين محمد بلو بدأ يأخذ العلم عن أبيه وأمه حواء، وعمه عبدالله، وعن كبار العلماء في بلاده. 61 فقد عرف منذ الصغر بالنباهة والذكاء والبصيرة، والفهم والعقل الفطن، والحفظ والإدراك التام وقوة الحافظة وشدة العارضة وفصاحة القول ونصاعة الألفاظ، وسعة البلاغة مالم يوت أحداً غيره، فأدرك في يسير من الزمن مالم يدركه غيره في الأحقاب المتطاولة، فاستفز العلوم فاستولى على المعاني، والحقائق، وتضلع

58 الوزير جنيد، نيل المرام بذكر ترجمة الإمام أمير المؤمنين محمد بلو، مخطوط ص:

3

59 محمد بلو، إنفاق الميسور، المرجع السابق، ص: 21 .

60 عمر بلو، السلطان محمد بلو، المرجع السابق، ص: 50 .

61 عبد الله بن فودي، إيداع النسخ فيمن أخذت عنه من الشيوخ، التحقيق والدراسة،

أحمد محمد بدوي (الدكتور) دون تاريخ الطبعة ص: 4.

بالأسرار والدقائق، ولاحظته السعادة الإلهية واستفردته التربية الربانية وسيرت فيه نورانية والده فعمته بركاته وخيراته فصار بحمد الله آيات الله في أرضه. 62 فكان على حظ وافر من طلب العلم، وأخذ بعض العلوم عن أخيه الكبير محمد سعد، ومن شيخه محمد بن محمد بن أبي بكر الونكري، التمبكتي المعروف " ببغبع " من بلاد تمبكتو ولازمه أكثر من عشرين سنة. 63 "

وكان الشيخ محمد بن محمد بن أبي بكر ينصح محمد بلو " على طلب العلم وملازمة التعلم وصرف أوقاته فيه ومحبة أهله وعنده ختم مختصر الخليل والنحو عشر مرات والموطأ قراءة وفهما وتسهيل ابن مالك وأصول السبكي وألفية العراقي وتلخيص المفتاح وشرح الجزائرية، ونظم أبي مقرعة ورجز المغيلي في المنطق والخزرجية في العروض وتحفة الحكام لابن عاصم وعنده أيضا قرأ صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وغير ذلك من الكتب الأدبية واللغوية والنحوية والفقهية وعلوم الحديث والتفسير، 64 ثم قال محمد بلو: "وباحثته كثيرا في المشكلات، وراجعته في المهمات وبالجملة فهو شيخي وأستاذي، ما نفعني أحد كنفه وبكتبه وأخيرا أجازته بخطه جميع مايجوز له وعليه 65" ومن هنا ندرك حقيقة ما وصل إليه هذا العالم الأديب وما يكمن صدره وما يحتويه قلبه من ثروة علمية لغوية كبيرة، فأصبح أديبا شهيرا وعلامة معروفا وخير شاهد على هذا هو كتابه " إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تکرور، كتاب مملوء بالأشعار، وتاريخ المدن والرجال الأبطال والحروب والأحداث والوقائع وتاريخ الأمم، فتصنيف كتاب كهذا لا يكون إلا من أديب بارع وعالم جليل ومتفنن كبير ومجاهد عظيم. فقد انكب الشيخ بعد نضوج ذاكرته على العلم والمذاكرة وقد آتاه الله

62 جنيد بخاري، تنشيط الزانرين لمزار محمد بلو، في قسم التاريخ، جامعة أحمد بلو،

زاريا، مخطوط ص: 2

63 محمد بلو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تکرور دار ومطابع الشعب شارع قصر العيني

القاهرة 1383هـ

ص: 214-215

64 محمد بلو، إنفاق الميسور، المرجع نفسه

65 المصدر السابق ص: 216 .

موهبة فى المطالعة والمذاكرة ويقول عن نفسه " وقفت مطالعة
وقراءة على كتب لا تحصى حتى عدتها فوجدتها تبلغ عشرين ألفاً
بعد ثلثة مائة. 66

وليس هذا فحسب وإنما كان شديد النظر فى دواوين الأوائل
ولا سيما عنتره وإمرئ القيس وغيرهما لما لهما من الفروسية
والجلادة والفصاحة التي لا يستغني عنها كل عالم أديب
وبطل 67. شجاع.
ويقول البكائي فى قصيدته يهديها إلى أمير المؤمنين محمد بلو
المسمى:

" هدية أحمد البكائي إلى الإمام الهمام أمير المؤمنين محمد بلو "
شيخ مرب وسلطان إمام هدى * وفارس فى الوغى والبذل إن
بذلاً

وعالم عارف أنوار طلعتة * للسالكين تجلى للهدى السبلا 68
وقد قرأ محمد بلو بعض كتب البوصيري منها تحفة الحبيب
وتحققها، 69 وقصيدة البردة وحمسها، وهي موضوع دراستنا. فإن
الشيخ منذ صغره ما زال يتتبع آثار العلم والعلماء ودواوين الأدب
والأدباء وظل يبحث عن المعرفة من أهل العرفان دقيقها وصغيرها
خفيها وجليها ليتمكن من الوصول إلى الغاية وبالفعل قد تحققت
وصوله إليها الغاية وهذا مصداق قوله تعالى " والذين جاهدوا فينا
لنهديهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين. " 70

فالخلاصة لقد استطاع أمير المؤمنين محمد بلو أن يجمع علوماً
متناثرة وأن يحفظ متوناً متفرقة ويطلع عليها، ثم أحاط علماً بالفنون

66 عبد القادر، الملقب بمثطو بن محمد بخاري، تبشير الإخوان فى ذكر دولة شيخ عثمان،
ص 17 مخطوط

67 عبدالله الطيب، (البروفيسور) مقالة بعنوان " محمد بلو الشاعر " فى الندوة علمية
المحور الرابع: أثر الشيخ عثمان على بيئته والبيئات المجاورة جامعة الإفريقية العالمية
الخرطوم السودان 26-28 جمادى آخرة 1416هـ - 19-21 نوفمبر 1995م .
68 والقصيدة تقع فى مئة وعشرة بيت، وهى لامية القافية، مخطوطة فى قسم التاريخ -
جامعة أحمد بلو زاريا .

2 أيوب شيخ أحمد الرفاعى، فن الرثاء عند السلطان محمد بلو بن عثمان بن فودي، بحث
علمي قدم لقسم اللغة العربية - جامعة بايرو كنو، للحصول على شهادة اليسانس 1998م، ص:

المتعددة ونفيس المعرفة فأصبح تاجاً في الميدان وجهبذا في حقل التدوين وعالمًا بين العلماء، وممن يشار إليه بالبنان لقد ذاع صيته في الآفاق وسمعت عنه البلاد والعباد.

سادساً: أدبيته وشاعريته:

ومما لا يخفى على أحد أن محمد بلو كان أدبياً شهيراً وشاعراً بارعاً 71 ومما يدل أيضاً على أدبيته أساليبه الشيقة غير مملة في تصنيف كتابه إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تکرور، 72 إن هذا الكتاب يمثل عبقريته الأدبية وشاعريته الفريدة حيث سرد فيه الأحداث والوقائع، وأسماء البلاد، والجبال والوديان والحصون، وأسماء الأعاجم ومع ذلك صاغ الكتاب صياغة نثر جميل تقرأه وتفهمه بكل وضوح وسهولة دون تكلف أو صعوبة وفيه بعض أشعاره التي تخص الوعي وذكر شجاعة الأبطال المجاهدين. ويضاف إلى هذا أنه غرض من الأغراض الشعرية المتنوعة، من مدح ورتاء، وحماسة، وفخر، وحكم، وزهد، وغيره. 73 وكذلك يدل على أدبيته وشاعريته ما قام به الوزير جنيد حيث جمع معظم شعره في ديوان سماه " إفاضة الطالبين ببعض أشعار أمير المؤمنين محمد بلو بن عثمان المجدد، " وبيّن في مقدمة الكتاب أنه بعد ما وقف على ديوان مشتمل على رسائل ابن إسحاق رجوت جمع ديوان كهذا لأمر المؤمنين محمد بلو 74 والقصائد والمقطعات في هذ الديون تبلغ 43 قصيدة .

وللشيخ محمد بلو قصائد أخرى منها: قصيدة التوسل بأسماء النبي صلى الله عليه وسلم، وتخمس بانث سعاد للصحابي الجليل كعب بن زهير، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك ما يدل على هذا المقام الذي يتمتع به أمير المؤمنين المقالة التي قدمها (البروفيسور) عبدالله الطيب بعنوان محمد بلو الشاعر. 75 وقال إنه

71 أمين الدين أبوبكر، المجاهد الكبير في غرب إفريقيا، المرجع السابق ص: 27

72 طبع بالقاهرة سنة 1383هـ - 1995م

73 شيخو عثمان كبر، الشعر الصوفي في نيجيريا، المرجع السابق، ص: 235 .

74 وزير جنيد، إفاضة الطالبين، المصدر السابق، ص: 3 .

75 عبدالله الطيب (البروفيسور) المقالة بعنوان " محمد بلو الشاعر " المصدر السابق،

شاعر وعالم متمكن من علمه، والشعر مسألة ذوق وأن محمد بلو شديد النظر في الدواوين الأوائل ولا سيما ديوان عنتره وامرئ القيس لأنه لا يستغنى عنهما كل أديب كما سبق. 76
ومما يكون حجة لشاعريته وإمامه بأدبية الشعراء من الصحابة وغيرهم محاكاته لهم في أدب السيرة، وفي غزوة خيبر لما بارز المرهب اليهودي، وبارزه أيضا علي بن أبي طالب رضى الله عنه وفي ذلك يقول علي:

أنا الذي سمتني أمي حيدر * كليث غابات كرية المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندره 77

وبالمماثلة في غزوة " ألوس " بعد أن كتب الله لهم النصر يقول أمير المؤمنين محمد بلو:

أنا ابن عثمان مقوي ساعده * أذافع الكفار عن مقاصده
والبر يحمي عن مقاصده * والعاق مغبون ولو في

تالده 78

ومما يدل على العبقرية والشاعرية لمحمد بلو تخميسه لبردة البوصيري المشهورة " ببردة المديح " حيث صاغها على مسار الشعراء والأدباء بخيال رقيق عال جدا. فإن ما تقدم يتضح للقارئ أن محمد بلو كان أديبا شاعرا، وإن كان البعض يرى أن السلطان محمد بلو لا يمكن أن يكون شاعرا مع أن هناك سلاطين من أكبر سلاطين المسلمين وأشدّهم ورعا كانوا شعراء، ومن هؤلاء معاوية بن أبي سفيان، وإبنة يزيد، وعبدالله بن مروان بن الحكم كان شاعرا، 79 ويمكن أن تجد أشعارهم في الكامل للمبرد. 80

سابعاً: علماءه، وشيوخه، ومؤلفاته:

76 المصدر السابق، ص: 356 .

77 صفى الرحمان المباركفوري، الرحيق المختوم، دار القلم بيروت لبنان، ط 2- 1408هـ

1988م، ص: 356

78 ، محمد بلو، إنفاق الميسور، المرجع السابق ص: 135.

79 عبدالله الطيب، مقالة جامعة إفريقية خرطوم 1995م المرجع السابق .

80 أبو العباس، محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ط الأولى دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1987م، ص 417- 501 .

في هذ الصدد يريد الباحث أن يشعر بأن هذا الفارس لم يكن كسولاً وإنما نال تدريبه من الفرسان في هذا الميدن، ونعني أنه صلب العلماء الجهابذ وتتلذذ على أيديهم، وسقوه ماءً عذباً من العلوم والمعارف قبل أن يصبح عالماً، وفقها بارعاً، وأديباً شاعراً متفنناً بجميع فنون العلم ومقاييس المعرفة .

1. وأن أول من يتبادر إلى الذهن من علماء السلطان محمد بلو الذين أخذ عنهم العلم والده عثمان بن فودي، وأمه حواء، وعمه عبد الله بن فودي، ثم أخذ عن كبار العلماء في بلاده. 81 ومن علمائه وشيوخه الذين لازمهم وأخذ عنهم العلم في مختلف الفنون والميادين.

2. الشيخ إبراهيم بن علي بن إبراهيم .

3. الشيخ العالم محمد بن عبد الرحمن .

4. الشيخ محمد الزنغى.

5. الشيخ محمد سمبو. 82

6. الشيخ محمد البرناوى .

7. الأستاذ العالم محمد دڭو. 83

8. الشيخ سليمان 84.

9. الشيخ محمد سعد أخوه .

10. الشيخ أبو محمد محمود .

11. الشيخ محمد بن أبى بكر الونكري التمبكتي .

12. الشيخ مودي ما مرو الأستاذ العالم.

13. الشيخ جبريل بن عمر .

14. الشيخ الحاج عبد الله المكي .

15. الشيخ قمر الدين 85.

81 عبدالله بن فودى، إيدع النسوخ فيمن أخذت عنه من الشيوخ، التحقيق والدراسة،

أحمد محمد بدوي (الدكتور) دون تاريخ الطبعة ص: 4 .

82 عمر بلو، ثقافة محمد بلو السياسية وتحقيق كتابه الغيث الوبل فى سيرة إمام العدل،

المرجع السابق ص: 56.

83 محمد بلو، إنفاق الميسور، المرجع السابق، ص: 211 .

84 غطاطو بن ليمن، أصحاب محمد بلو، ص: 3 مخطوط .

85 درما محمد ثانى خامس، أمير المؤمنين محمد بلو وتحقيق ديوان إفادة الطالبين، رسالة

ماجستير، فى اللغة العربية جامعة بايرو كنو 1984 ص 11

وأما فيما يتعلق بمؤلفاته فإن الشيخ محمد بلو قد ألف كتباً كثيرة كوالده عثمان بن فودي وعمه عبدالله، وأنه أقرب شبهاً إلى مؤلفات والده، ومن ثم مؤلفات عمه عبد الله بن فودي 86، وأنها مع إشتغاله بالحروب والسياسة والإدارة كتب كتباً عديدة. 87 وألف مايزيد على مئة كتاب وكان يؤلف بالعربية والفلانية 88 ومن مؤلفاته:-

1. إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تكرر 89.
2. روض الأفكار وهو من أقدم مؤلفات الشيخ ويشمل تاريخ السودان الغربي الوثنيين وتقاليدهم .
3. كف الإخوان عن إتباع خطوات الشيطان. والكتاب يحتوي على سبعة فصول .
4. شفاء الأسقام في ذكر مدارك الأحكام 90
5. الغيث الوبل في تاريخ إمام عدل 91
6. البدور المسفرة في الخصال التي تدرك بها المغفرة. 92
7. تخميس قصيدة البردة. وهو موضوع دراستنا إن شاء الله
8. تخميس بانة سعاد. لصحابي الجليل كعب بن زهير
9. عجالة الراكب .
10. آداب التوسل .
11. التحرير في قواعد تبصير السياسات .

86 على أبو بكر، الثقافة العربية في نيجيريا، من 1960-175 الطبعة الأولى 1972م ص:

285

- 87 محمد بلو، إنفاق الميسور، المصدر السابق، ص: 22.
- 88 أمين الدين أبوبكر، المجاهد الكبير في غرب إفريقيا، المصدر السابق، ص: 27 .
- 89 وهو من أشهر مؤلفات الشيخ كتاب قيم جدا يجمع النثر والشعر ويمتاز الكتاب بدرجة الأولى في بسط تاريخ بلاد تكرر، وتناول فيه الكاتب تاريخ هذه البلاد عن بلد فورا شرقا إلى بلد أهير غربا ثم تحدث عن علماء بلاد هوسا وباغرم وبرنو.
- 90 والكتاب يقع في ستين صفحة تناول مؤلفه في نصف الأول الحديث عن الأحكام الشرعية بصفة عامة، ثم تحدث عن كتب التي درسها وعن الأساتذة الذين تتلمذ عندهم في نصف الأخير .
- 91 هذا الكتاب يقع في مئة صفحة، وفيه أحد عشر بابا، ويحتوى على الأحكام الدينية الشرعية، والسياسية والسلطين، والطاعة لهم، والنصح وحماية بلاد الإسلام وحفظ الدين وإقامة الشعائر وأحكام القضاء والزكاة وعماراة المساجد والجهاد وتقسيم الغنائم .
- 92 والكتاب يقع في ثمانين صفحة وتحدث فيه المؤلف عن الإستغفار وأورد أقوال العلماء وقصص الأنبياء وأورد كثيرا من الأحاديث والقصص .

12. تبشير الإخوان .
13. تنبيه الصاحب على أحكام المكاسب .93
14. فوائد مجملة فيما جاء في البر والصلة .
15. مفتاح السداد في أقسام أهل هذه البلاد .
16. نور الفجر في الأيام المعلومات والليال العشر .
17. النصيحة الوضيئة في أن حب الدنيا رأس كل خطيئة .94

ثامننا: البيئة التي عاش فيها "الخاصة والعامة":

البيئة التي عاش فيها أمير المؤمنين محمد بلو تتميز بميزة بيئية واسعة الأطراف وهي تتكون أولاً تحت رعاية والديه فإنه عاش في بيت أبيه الشيخ عثمان بن فودي وهو بيت يسوده غامتا العلم والمعرفة ويتحكم فيه التقوى والإيمان وحب الإصلاح وأصبح السلطان ثمرا للهدف السامي في هذا البيت واقتطف أنوار العلوم، واغترف شربة التقوى، وأحب الجهاد والإصلاح. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من والده 95 وكون محمد بلو في هذه البيئة الطيبة وفي مصباح يندلع منه فجر الإسلام من جديد صار ما صار، حيث رزقه الله تعالى بأخلاق حسنة حميدة وحالة جيدة من طلب العلم وفصاحة القول ونصاعة الألفاظ والفتنة، وقوة الحفظ والإدراك كما سبق، وسعة الصدر، والبلاغة وحب العلم والعلماء وملازمة أهل العلم فأحرز العلوم كلها، واستولى على المعاني الموفقة والحقائق وتضلع بالأسرار والدقائق، ولاحظته السعادة الإلهية وأفردته التربية الربانية وسار نور يضيء به العباد والبلاد.96

وقد كان السلطان مساعداً لأبيه وخادماً له وكفاه مهمات من أمره 97 وصار مجاهداً وتم على يده فتح مملكة غوبر، ولما قسم

93 أمين الدين أبوبكر، المجاهد الكبير في غرب إفريقيا، المصدر السابق، ص: 27.

94 أيوب شيخ أحمد الرفاعي، فن الرثاء عند السلطان محمد بلو، 1998م، المرجع

السابق، ص: 13/12

95 المرجع السابق، ص: 6 .

96 محمد بلو، إنفاق الميسور، المرجع السابق ص: 21.

97 المصدر السابق نفسه ص: 21.

الشيخ دولته ولاه على القسم الشرقي وعاصمته في صكتو، وولى أخاه عبدالله الوزير الأكبر القسم الغربي وعاصمته في غندو، وشاهد محمد بلو ثورات عديدة ضد دولته 98 .

الظاهر أن كلمة الباحثين قديما وحديثا تكاد تتفق على وصف هذا العبقرى البطل الفريد من نوعه بأوصاف حميدة، وخصال جميلة. 99 ونال ثقافة دقت أركان البلاد وهزّت أسماع العباد، وتحركت أفكار العقول، وأنتجت ثمرات الأقلام امتلأت بها مكنتات هذه البلاد، وتناولته المراكز العلمية صغيرها وكبيرها في هذه الديار العريقة بالدراسة والتحقيق والشرح، والتحليل، إلى يومنا هذا .

وكما أدرك السلطان محمد بلو وعاش في وقت تفشى فيه الوثنية الدينية والعكوف على القبور وإجلال الشعوذة والملحدين من أبناء أمتنا، 100 وسوء التفاهم بين شعب بلاد هوسا، وما تعانيه من العلاقات بين ولايتي كتسنا وكانو بالحروب والمشاحنات، فتارة يكون النصر حليفا لكتسنا وتارة أخرى حليفا لكونو، ويُصوّر الأوضاع السياسية الصحيحة والعلاقات الثنائية بين ممالك هوسا بتقاتل السلاطين هذه البلاد بعضهم بعضا، فيغير هذا السلطان على غيره ويغير على بلاده ويسبي ما تيسر له منهم وهم المسلمون ويبيع السبي وهو الحر المسلم وهذا كثير عندهم في بلادهم 101 وألسنتهم واحدة .

ولعل هذه المشاكل العقائدية، ورمى القوم بكتاب الله تعالى وراء ظهورهم هو السبب قول أمير المؤمنين أثناء سيره مع وود "هل تعلم أنا سنقيم الجهاد في هذه البلاد فأخبره بأمر الجهاد" فقال وود "إن شاء الله إن بلغني الله هذا الوقت أجاهد معكم" فقال أمير المؤمنين محمد بلو "لاتسير معنا إلى الجهاد تكون مع الشيخ

98 أمين الدين أبوبكر، المجاهد الكبير في غرب إفريقيا، المرجع السابق ص: 27

99 أيوب شيخ أحمد رفاعي، فن الرثاء عند محمد بلو، المرجع السابق ص: 80

100 أحمد محمدي، الورقة الثقافية، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا الزهراء الإعلام

العربي، ص: 50 بدون تاريخ

101 المصدر السابق نفسه

يعني عثمان بن فودي " فصار الأمر كما قال ... "102 فلما رأى محمد بلو ما حل بهذه البلاد من الأغلاط السياسية والعقائد الوثنية والحياة المتناقضة المتباينة مما جعل الإسلام لم يعمل به عملاً تطبيقياً، ولا شعائراً روحية حركت شعوره لنصر والده في لقيام بأمر الجهاد.103 فالبيئة قد كوَّنت له ثقافة وشخصية للجهاد الإسلامي وصيانة للدولة الإسلامية بعد بنائها على حد السواء .
تاسعاً خلافته:

فالبيئة عموماً قد كوَّنت هذا البطل وهيأته لتحمل المسؤولية الأمة والمقدرة لقطع مسيرة القيادة في بيت الأمانة والخلافة، فتقافته الأدبية والدينية وطول باعه في القراءة والتدوين ساعدت بكثير في قمع تخطيطات جائرة وثورات مختلفة ومشاكل متتابعة التي واجهته في إدارة الدولة وتأسيس إمبراطورية إسلامية مترامية الأطراف .

وقبل أن يباشر أمر الخلافة بعد والده قد تنازل الشيخ عثمان بن فودي عن مباشرة أعمال الإدارة والسياسة حيث قسم الإمبراطورية الإسلامية إلى قسمين شرقي وغربي. وولى أخاه عبدالله بن فودي القسم الغربي وعاصمته في "غندو" وولى على القسم الشرقي ابنه محمد بلو وعاصمته في صكتو 104 وذلك في عام 1817م. توفي الشيخ عثمان بعد مرض استمر به سنة وعمره 73 سنة رحمه الله تعالى رحمة واسعة وخلف ابنه محمد بلو وأخاه عبدالله بن فودي الوزير الأكبر 105 وقد واجه كل من محمد بلو وعبد الله بن فودي ثورات متعددة ضد حكمهما في الأقاليم الشرقية والغربية ولكن بفضل الله تعالى وحسن عونه، وقيامهما وبصدق النية والإخلاص استطاعا أن يقضيا على تلك الثورات التي جاءت من جهات مختلفة وفي أوقات متباينة 106 لقد تركت حركة الجهاد تراثاً أدبياً

102 شيخ عثمان كبر، الشعر الصوفي في نيجيريا، المرجع السابق ص: 223

103 محمد بلو، إنفاق الميسور، ص: 33 - 35 المصدر السابق

104 على أبوبكر، (الدكتور) الثقافة العربية في نيجيريا، 1972 م المرجع السابق ص:

121 .

105 أمين الدين أبوبكر، المجاهد الكبير في غرب إفريقيا، المرجع السابق ص: 27 .

106 على أبوبكر، (الدكتور) الثقافة العربية في نيجيريا، المرجع السابق ص: 121-122 .

وإسلامياً كبيراً في الميادين السياسية والفكرية واللغوية، والأدبية والبلاغية والشرعية، ولاتزال المكتبات العامة والخاصة في غرب إفريقيا مليئة بنفائس المخطوطات التي ألفها المجاهدون وغيرهم من العلماء والطلبة، ولا يزال العالم الإسلامي والمفكرون الإسلاميون والأدباء في حاجة ماسة إلى مزيد من البحث والدراسة والتحقيق لما ألفه المجاهدون وغيرهم. 107

وقد دامت مدة خلافة أمير المؤمنين إحدى وعشرين سنة اتسعت خلال هذه المدة الدولة الإسلامية حتى شملت جميع بلاد هوسا وذلك في مطلع القرن العشرين 1903م 108

العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية التي أثرت على انتاجات الشاعر الأدبية .

حياة محمد بلو الاجتماعية تتمثل في بيئة الأولية التي يتمتع بها في كفالة أسرته وأهله قبل أن يمارس حياة الاجتماعية العامة كالعلم والتعليم والجهاد والعمارة والخلافة وكلها أثرت في شاعريته بشكل مباشر، كما أثرت الحالة الاقتصادية والدينية بدرجة الأولى على كافة انتاجاته الشعرية والنثرية وإن كان لأحد يحالف على أنه أديب وشاعر .

فتأثر الاقتصاد واضح في انتاجات الشاعر فقولته في غزوة (زوم) بعد أن رجعوا إلى البلاد فقال:

أناديك يا مولايا في السر والجهر * بأسمائك الحسنى
السنية كالدر

لتكفينا من كل سوء وفتنة * وترزقنا رزقا كفافامدى
العمر 109

107 أحمد محمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، المرجع السابق ص: 113-114

108 عثمان كبر، الشعر الصوفي في نيجيريا، جامعة بايروكنو، المرجع السابق ص

109 محمد بلو، إنفاق الميسور، المرجع السابق، ص: 140 .

كما ظهر جليا مؤثرات الدينية في كل تحركات الشاعر
وانتاجاته الشعرية والنثرية فكتابه انفاق الميسور خير دليل على تأثر
الديني والسياسي والاقتصادي معاً

عاشرا: وفاته:

توفي أمير المؤمنين محمد بلو رضى الله عنه عشية الخميس
الخامس والعشرين من رجب سنة ثلاث وخمسين ومئتين بعد الالف
1253 هـ الموافق بسنة 1837م. وعمره يناهز ثمانية وخمسين سنة
إلا شهرا واحدا (58) وكان آخر كلامه فى الدنيا لآله إلا الله محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ثلاث مرات 110، ثم قرأ
قوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. 111
وخر إلى وسادته ولم يبلغ رأسه الوسادة إلا بعد خروج روحه
رضي الله عنه وأرضاه.

ودفن في "ورنو" بلده وموضع رباطه، وقيل إنه أوصى بأن
يدفن هناك عملا بالحديث القائل " رباط يوم وليلة خير من صيام
شهر وقيامه 112 و "ورنو" بلد بناه بعيداً عن صكتو بنحو ثلاثين
ميلا وقيل خمس وعشرين ميلا. وأن أمير المؤمنين محمد بلو قد
بنى بيتا في ناحية من نواحي داره قبل مرضه الذي توفي فيه ثم
عين ذلك البيت بأن يدفن فيه وعين ثياباً يكفن بها وأوصى ألا ينقل
جثمانه إلى صكتو 113 رحمه الله وجزاه الله عن هذه الأمة خير
جزاء أمين .

110 محمد بلو، إنفاق الميسور، المرجع السابق، ص: 23 .

111 الأعراف 34

112 صحيح رواه مالك في الموطأ باب الجهاد رقم الحديث 999

113 أمين الدين أبوبكر، المجاهد الكبير في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص: 27 .

المبحث الثالث: ترجمة الشيخ يهوذا بن سعد زاريا

مولده، وهجرته:

ثبت أن الشيخ يهوذا بن سعد ولد في قرية (وُسُوئُو) 114 التابعة لحكومة المحلية إغبي في ولاية كدونا وذلك في يوم الجمعة سنة 1304 هـ الموافق 1883م وأنه كان من أصل فلاتي هاجرت أسرته من "يِن ثَمَاكِي" التي كانت خاضعة تحت الحكومة المحلية "طن موسى" في ولاية كتسنا 115 ونزلت في قرية "ثُرُنْكَو" ومن هناك استقرت في وسونو 116 أخيراً .

وأنه من أصل فلاتي والمعلوم أن الفلاته رعاة البقر والمواشي وينزلون الأودية والمستنقعات طلباً للكلاً وسقاية لمراعيهم، وأن والد الشيخ يهوذا لم يتخذ أي مهنة سوى التدريس وبه تستقر سريرته ويطمئن ضميره، 117 تركه الرسل ومهنة الأنبياء. وقيل ولأه حاكم "وسونو" قاضياً فيها ولما رأى فساد الناس وحبهم للدنيا لا يتماشى مع زهده وتقواه ترك القضاء فراراً بدينه ورجاءاً للقاء ربه بقلب سليم، وفي هذه القرية أنجبت والدته كريمة عائشة المعروفة "بمنايا" بنت الشيخ محمد بن سليمان _ الشيخ الجليل وقُدوة الأمة وفريد العصر الشيخ يهوذا بن سعد. 118

114 محمد أمين شيخ، الشيخ يهوذا بن سعد زاريا، وأشعاره ذات طابع الأدب العربي، والدراسات الإسلامية، رسالة الماجستير، جامعة أحمد بلو زاريا، 1995م، ص: 91 .
115 موسى على كونه، قصيدة الميمية الإبراهيمية، للشيخ يهوذا بن سعد زاريا، عرض ودراسة، رسالة الماجستير في قسم اللغة العربية والآداب، جامعة أحمد بلو زاريا ، 2003م ص: 9 .

116 قرية تبعد عن مدينة زاريا، بخمس وأربعين كيلومتراً، (45)
117 محمد أمين شيخ، الشيخ يهوذا بن سعد زاريا، وأشعاره ذات طابع الأدب العربي، والدراسات الإسلامية جامعة أحمد بلو، 1995 المرجع السابق ص: 13.
118 موسى على كونه، قصيدة الميمية الإبراهيمية، جامعة أحمد بلو ، 2003م المرجع السابق ص، 9

ويقال إنهم جاءوا إلى زاريا وسكنوا بحارة " أنغوى ماسا " ثم رجعوا إلى "ترنكو القديمة " ليتعلم على يد أبناء الشيخ شنت بن عبد الرؤوف وليتمكنوا من الزراعة ورعاية الماشية ثم من هناك إلى "وسونو" مرة ثانية 119، وقد انتقل والد الشيخ يهوذا إلى زاريا ثانية بدعوة من أمير ززو في ذلك الوقت لحاجة الأمير، وهذه المدينة إلى العلماء لنشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية على حد سواء 120.

2. نسبه:

هو الشيخ يهوذا بن سعد بن محمد بن عبد الله وقيل ويلقب بمالم أوالحاج 121 واشتهر بالشيخ وهو المعتاد عند الناس، 122 وقيل بن محمد عبدالله الزكزكي 123 المغربي. 124

3. نشأته، وتعلمه:

نشأ الشيخ يهوذا في بيت كريم ودار يسوده العلم وتحت رعاية والده سعد ابن محمد الذي يعطي العلم قدره والمعرفة جلالته، وقرأ القرآن عند والده سعد فلما فطن والده حبه للقرآن وقراءته له آناء الليل وأطراف النهار أرسله إلى العالم الجليل عبد الرؤوف في "برنو" 125، وقد مكث عنده سبع سنين دأباً ولم يظل حتى حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب. فشرع في طلب العلم 126 قال الشاعر:

-
- 119 ناصر مرتضى إبراهيم: **المدائح النبوية عند بعض علماء زاريا**، رسالة قدمت في قسم اللغة العربية، للحصول على الماجستير جامعة بايرو، كنو، 2000م ص: 71 .
- 120 موسى علي كونه، **قصيدة الميمية الإبراهيمية**، المرجع السابق، ص: 10 .
- 121 يهوذا بن سعد، **تخميس تفت**، قام بطبعها ونشرها أبو بكر بن سيد الحاج محمد ثالث تاج ني زاريا 1408هـ، ص: 1
- 122 يهوذا بن سعد، **تخميس البردة البوصيري**، مخطوط .
- 123 إبراهيم محمود محمد، **الأشعار الدينية لدى بعض علماء نيجيريا، في القرن العشرين، عرض ودراسة**، بحث علمي للحصول على الدكتوراه، قدم إلي قسم اللغة العربية جامعة أحمد بلو زاريا، 1996م ص: 134 .
- 124 يهوذا بن سعد، **تهذيب مقدمة عشمافية**، ص: 1 .
- 125 موسى علي كونا، **الميمية الإبراهيمية**، المرجع السابق ص: 11،
- 126 ناصر مرتضى إبراهيم، **المدائح النبوية عند بعض علماء زاريا**، المرجع السابق، ص: 71 .

رجال الله لاخوف عليهم * ولاهم يحزنون بما يعانني 127
ولقد أكرمه الله بشيمة حسنة وأخلاق حميدة، وهو كثير الحلم
دؤوب الحياء، خالص النية، جميل الثياب، لين الجانب قدوة ومرشد،
مداوم التدريس صباحا مساء. 128 ولاشك هذا عمل الأنبياء وسنة
الرسول .

وبعد عودته إلى "زاريا" من "برنو" بدأ يدرس الكتب الدينية
والأدبية واللغوية مثل الأخضرى، و متن العشماوية، ونظم مقدمة
ابن رشد، و متن ابن عاشر، ومنظومة يحيى القرطبي، وكتب الحديث
واللغة، والأدب، والنحو، وغيرها. 129 وقد درس الشيخ يهوذا عند
علماء زاريا في المعاهد الدينية المختلفة مثل الشيخ العالم العلامة
جبريل الملقب بـ (نثيا)، والوزير المعلم عمر بن محمد، وقد مكث
عند الوزير تسع سنوات يتلقى العلم في فنون مختلفة، والشيخ
المشهور بمالم حج (كسفا) 130 والأستاذ عقيل بن الحاج شئت،
وعنده قرأ بعض كتب الأدب، كداليا، ومقامات الحريري، وتعلم
أيضا عند الشيخ عياض الملقب بـسلكي كما تعلم فنونا مختلفة عند
الشيخ محمد الثاني في زاريا. 131

وقد ارتحل إلي كانوا طلبا للعلم وسعيا له، وتعلم على يد الشيخ
(بابلي) والأستاذ المعلم الصديق وهما بحارة (مدابو)، وقرأ عندهما
كتاب مختصر الخليل ثم ارتحل إلى "غيزاوا" في ولاية كانوا
أيضا، وتعلم كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة،
وكتاب الشفاء للقاض عياض، 132 ولاشك أن ما تقدم تحكي
وراءها قصة مجد، ومعالم عز، وسيادة أمة، ولذا اتصف الشيخ
يهوذا بسعة النفس وذكاء القلب وهمة عالية وطموح للعلم ورغبة

127 هذا البيت للشيخ الجليل، الأستاذ العظيم، أحمد المقرئ سعيد، نظمته في أحداث الحرم

المكي، حصلت على نسخة من القصيدة، 1987م .

128 موسي على كونا، الميمية الإبراهيمية، المرجع السابق، ص: 12 .

129 المرجع السابق، نفسه .

130 ناصر مرتضى إبراهيم، المدائح النبوية عند بعض علماء زاريا، المرجع السابق، ص:

72 .

131 إبراهيم محمود محمد، الأشعار الدينية لدى بعض علماء نيجيريا في القرن العشرين،

المرجع السابق، ص: 135 .

132 ناصر مرتضى، المدائح النبوية عند بعض علماء زاريا، المرجع السابق، ص: 72 .

في الخير وسباق في الحسنات وزهد لدنيا وأحب الآخرة، 133 وهذه الصفات ثمرة أتت أكلها بأمر ربها، ولم يكن هذه التحركات العلمية إلا كنقطة انطلاق وبداية المسيرة حيث أنه قضى حياته كلها في طلب العلم والتعليم، وقد ارتحل إلى "كولخ" سنة 1315 هـ فتعلم فنونًا كثيرة عند الشيخ إبراهيم الكولخي، 134 ولحسن أدبه حينما كان طالبا عنده أحبه كثيرًا وفيه يقول:

خلقت فوق زاريا وقلت * وددت لو أني بها قدقلت

كبيرهم حبيبنا يهوذا * قد فاز من كان له تلميذا 135

هذه المقولة الأدبية لشيخ يظهر شوقه فيها لمدينة زاريا لامن أجل جمال أسوارها أو كيفية أبنيتها أو وسع ممراتها ولكن من أجل تركة الأنبياء العلماء الذين نوروا آفاق هذه المدينة وأصبحوا مصابيح القلوب وتجار الآخرة، وخص بالذكر الشيخ يهوذا بن سعد وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على وسام عز ولباس مجد يرتديه هذا العالم الكبير .

فالشيخ يهوذا لم يزل يتعلم حتى أصبح كوكباً درياً في علوم الدين واللغة العربية فاجتمع حوله أهل القرى والمدن لينالوا من تلك الفيضة العلمية¹³⁶ المنبتقة منه ويشربوا من مائها الشافي من أمراض الجهل وداء الضلالة .

وقد تعلم على يدي الشيخ جمع غفير من الطلبة وخرج أجيالاً مختلفة في منطقة زاريا ونيجيريا خصوصا وأنحاء القارة الإفريقية عموماً مثل نيجر، وغانه، وتشاد، والكامرون وغيرها وقد صاروا دعاة إلى الله، وقضاة، وأئمة المساجد، وبعضهم في ميدان التعليم. 137. وإلى جانب هذا العمل التعليمي الذي قام به الشيخ يهوذا في معهده قد ورثه أبناؤه من بعده وفي اليوم 26 / 8 / 1984م واستخرج

¹³³ عكاشة أبا، " الشيخ يهوذا زاريا حياته ومساهمته في نشر الثقافة العربية والإسلامية " بحث قدم في جامعة جوس، لنيل شهادة الليسانس، 1989م،

¹³⁴ إبراهيم محمود محمد، الأشعار الدينية لدى بعض علماء نيجيريا في القرن العشرين،

المرجع السابق، ص: 136

¹³⁵ محمد أمين شيخ، الشيخ يهوذا بن سعد زاريا، وأشعاره ذات طابع الأدب العربي والدراسات

الإسلامية، جامعة أحمد بلو زاريا، المرجع السابق، ص: 91

¹³⁶ أمين شيخ "الشيخ يهوذا بن سعد زاريا" المرجع السابق، ص: 32 .

¹³⁷ موسى علي كونا، الميمية الإبراهيمية، المرجع السابق، ص: 18 .

من هذا المعهد مدرسة الفيضة الإسلامية وبدأت بأربعين طالباً معظمهم من أبناء الشيخ يهوذا وجيرانه والذين يأتون من أماكن مختلفة للدراسة في المعهد 138. لاشك إنها صدقة جارية لازالت وما تزال ينال منها الشيخ جزاءها وثمرتها إلى يوم القيامة.

البيئة التي عاش فيها:

سبق أن ذكرنا أن الشيخ ولد في بيت يسوده جلاله العلم ويسطع فيه نور التعليم وفي أسرة مشهورة بالصلاح والخير والعلم وحفظ القرآن ودراسة أحكامه .

وكل هذا يعتبر أول بيئة بدأ بها الشيخ وتأثر بها ونال من بدايتها أخلاقاً سامية لما رأى بين يديه في أفراد أسرته من وفود طلبة العلم يتلقون المعرفة بين مقيم وحاضر وغريب . فأصبح الشيخ في البيئة التي امتد خيرها إلى القريب والبعيد، فأصبح الله في صدره حب العلم وأهله، واكتسب الخير من مجالسته لطلبة العلم على اختلاف اللغات والعادات . وعموماً إن هذه البيئة ساعدت في كونه عالماً وأديباً إلى أن اشتهرت سمعته وذاع صيته وأثار قدره نور العلم وجلاله المعرفة معاً.

فلا شك أن البيئة التي عاش فيها الشيخ يهوذا تحكي تلك الحوادث والأحداث الرائجة في عالم وطنه وجو زمنه، وتدور رحاها على انسجام العلوم والورع والنفوذ والصلاح ومحاربة الأغلاط الدينية والدعوة إلى ترك الوثنيات والحياة المتناقضة المتباينة، كالخرافات والعقائد غير الصحيحة، و تنظيم شؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها. والحاصل لقد صارت هذه البلاد في اضطراب سياسي شديد بما في ذلك قضية الاستعمار وقبله المشاحنات بين دول بلاد هوسا والحروب واعتداء بعض ممالك على البعض، 139 فإن الشيخ شاهد ممالك بلاد " هوسا" من جانب، وأدرك أوائل توحيدها تحت الدولة العثمانية الجديدة العادلة من جانب آخر. وبذلك ندرك تمام الإدراك أن الشيخ عاصر

138 حضر يوسف بابا، "مدرسة الفيضة الإسلامية للشيخ يهوذا بن سعد زاريا"، بحث

علمي قدم لقسم اللغات النيجيرية والإفريقية، جامعة أحمد بلو زاريا، 2004م ص: 61 .

139 آدم عبدالله الوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص: 63 - 46.

أيام المماليك الأول وشاهد ما يجري من مشاكل الاقتصادية والسياسية والحاجة ماسة إلى إعادة روح العلم ونشاط التعليم والثقافة وفي الوقت نفسه ظهر عدم المبالاة بالدين وما في معناه ثم أدرك الوقت الذي شاع فيها نورانية الإيمان والتجديد وحلاوة العدل والمساواة التي أرادها الله تعالى في رسالته الخالدة. وانتشر الخير في العباد والبلاد فهذه البيئة نالت في مطافها الأخير ازدهاراً باهراً ونال العقل ثروته العلمية والثقافية والأدبية في جميع أنحاء بلاد هوسا وخاصة الثقافة الإسلامية التي انطلقت من أيدي الفلانيين المجاهدين. 140

مؤلفاته:

وقد علمنا فيما مضى أن الشيخ يهوذا بن سعد قد تابع المسيرة ولم يزل يعكف على أهل العلم وأصحاب المعرفة حتى بلغ الذروة وبالفعل قد غاض البحر وحصل على اللألىء وأصبح رمزاً للعلم وحجة في ميدانه وقد ألف مؤلفات كثيرة وابتكر قصائد مختلفة بعضها مخطوط مابين منظوم ومنثور وهي تركة تدل على كثرة علمه وتمكنه وفهمه للغة العربية والدراسات الإسلامية لا يستغني عنها طالب العلم 141. ومن بين مؤلفاته ما يلي: -

1. روضة اللسان في أما كن البسمة 142
2. تخميس قصيدة الحضرمي 143
3. تخميس قصيدة "تفت" وهي قصيدة أبو إسحاق إبراهيم مسعود يحرض فيها على طلب العلم والعمل به والزهد في الدنيا. وذكر النصائح لمن قرأها وعمل بما فيها
4. مفتاح التوحيد في معرفة صفات الله المجيدة يحتوي على ستة وثمانين بيتاً وخمسة عشر فصلاً تناول فيها الكاتب

140 أحمد محمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص: 113-114

141 إبراهيم محمود محمد، الأشعار الدينية لدى بعض علماء نيجيريا في القرن العشرين،

المرجع السابق، ص: 137

142 كتاب منظوم وتبلغ أبيات القصيدة تسعة وثلاثين بيتاً، ذكر فيها الشيخ الأماكن التي ينبغي

للإنسان أن يسمى إسم الله تعالى .

143 ذكر أماكن المهمة للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصيدة وكذلك فضل

الصلاة عليه .

وحدانية الله تعالى وكمال قدرته والصفات الواجبة،
والجائزة، والمستحيلة، في حق رسله عليهم الصلاة
والسلام.

5. فتح الجواد في شرح الإرشاد شرح كتاب العسكرى
المالكي البغدادي وقد شرحه الشيخ بأسلوب جيد وحسن
مستدلاً بالكتاب والسنة والمستندات الفقهية .

6. تخميس بردة المديح البوصيري، للشيخ الإمام أبي عبدالله
البوصيري .

7. شأن النيات في العبادات وهو أصغر مؤلفاته حجماً قيل هو
أول ما ألف الشيخ في حياته، تناول فيه الشيخ كيفية عقد
النية في كل العبادات، فبدأ بالطهور وأنواعه والصلاة
وأنواعها وصوم رمضان ونية الذبائح. 144

8. الميمية الإبراهيمية وهو نظم مدح به الشيخ إبراهيم الكولخي
145

9. ترغيب الإخوان في مدح من حبه ومدحه إيمان

10. بستان أهل الفلاح في شأن إصلاح النكاح

11. نظم العشماوي

12. خلاصة المباحث في ماهية الحوادث (أو علم الكلام)

13. مرشد الإخوان

14. نظم مقدمة سنوسي

15. تخميس قصيدة الزهد 146

تأثيره:

فإن أتباع الشيخ وطلابه قد تأثروا به وبنشاطاته التعليمية
والدعوية، وإنتاجاته الأدبية والثقافية. ويكاد يهودا يكون فريد

¹⁴⁴ إبراهيم محمود محمد، الأشعار الدينية لدى بعض علماء نيجيريا في القرن العشرين،
عرض ودراسة، المرجع السابق، ص 140 .

¹⁴⁵ موسى على كونا، "قصيدة الميمية الإبراهيمية للشيخ يهودا ابن سعد زاريا، عرض
ودراسة" المرجع السابق، ص: 12

¹⁴⁶ هذه الكتب جمعها من أما كن متفرقة وله مؤلفات أخرى كثيرة جداً .

عصره ووحيد زمانه، بحيث أن كان متفننا في علوم الفقه واللغة والأدب والطب والنجوم والفلك والتوحيد وكثير من الناس سمعوا عنه ولم يروه وهو الذي يتولى أمور الدين في حارة "أنغون ماسا" بأسرها، كالإمامة وخطبة عقد النكاح وتسمية المولود والإفتاء والتدريس والدعوة والإرشاد وهذه الأنشطة التعليمية والاجتماعية والدعوية بوجه عام أصبحت عوامل مؤثرة تأثيراً بالغاً في قلوب طلابه خاصة وفي قلوب أهل هذه المدينة عامة. 147

العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية التي أثرت على انتاجات الشاعر الأدبية.

حياة الشيخ يهوذا تختلف كل الاختلاف عن غيره لأنه عانى القضية الاستعمارية واضطرابات سياسية والاقتصادية لأن المستعمرين يمتصون خيرات هذه البلاد ويديرون شؤونه بمختلف الأساليب فمطلع قصيدة الشيخ يهوذا في تخميسه يدل على تأثيره العميق بظاهرة دينية قوية كالتصوف وزهده للعالم والورع وحب النبي صلى الله عليه وسلم وقد شاء الله تعالى أن يكون يهوذا أديباً وشاعراً ولكن تأثيره الديني وزوج التصوف أقوى من أدبيته وشاعريته عموماً ومع ذلك ظهرت كل العوامل المذكورة المؤثرة في تخميسه وأشعاره وجميع انتاجاته الأدبية الشعرية والنثرية معا .

وخير شاهد على تأثيره الديني استهلال تخميسه بطابع ديني خلافاً لمحمد بلو حيث استهل قصيدته بطابع القدمع الجاهليين بذكر الأطلال والجبال والأودية، فمثال ما قام به يهوذا بن سعد قوله:

حمداً لرب غنى باري النسم * له الوجود كذا البقاء كالقدم
له الكلام وبصر جل عن صمم * الحمد لله منشي الخلق من

عدم

ثم الصلاة على المختار في القدم
هذا المنظر الجميل من استهلال الشاعر قصيدته بحد الله والثناء عليه وتوحيد ألوهيته واجلال ذاته سبحانه وتعالى يدل على تأثير الشاعر الديني القوي وأن روح الشاعر مليئة بعاطفة دينية

147 أمين شيخ، "الشيخ يهوذا بن سعد زارياً وأشعاره ذات طابع الأدب العربي والدراسات الإسلامية، المرجع السابق، ص: 42 وما بعدها

حتى انفجرت تلك التأثر واصبحت جلية في أشعاره وانتاجاته الشعرية وانثرية .

وفاته:

لقد كان آخر مسيرته في يوم الأربعاء الثاني من شوال سنة 1376 هـ الموافق 1955م وقيل 1956م 148 ودفن بشروق شمس يوم الخميس في بيته وصلى عليه صهره الشيخ عثمان وحضر جنازته جمع غفير ومن بينهم أمير زكرك جعفر بن إسحاق 149 رحمه الله .

لمحة عن تعريف البردة والتخميس:

فالبردة: يجمع على بُرد، وأبراد، وأبرد، وبُرود وهي عبارة عن كساء يلتحف به، والبرد بضم فسكون ثوب مخطط. وقيل إذا جعل الصوف شقة وله هذب فهي بردة 150 والبردة هي شملة منسوجة فيها حاشيتها 151.

أما البردة 152 الكعبية 153 فإن كعب بن زهير قدم إلى رسول الله تائبًا وأنشد قصيدته المشهورة يظهر فيها إسلامه ويمدحه، ومطلعها:

¹⁴⁸ إبراهيم محمود محمد، الأشعار الدينية لدى بعض علماء نيجيريا في القرن العشرين،

المرجع السابق، ص: 142

¹⁴⁹ موسى علي كونا، الميمية الإبراهيمية جامعة أحمد بلو زاريا، المرجع السابق،

2003م ص: 24 .

¹⁵⁰ ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار المعارف، دون ذكر التاريخ والمكان، ج 1 ص:

247 .

¹⁵¹ وهو من حديث سهل بن سعد صحيح البخاري كتاب اللباس باب البرود والحبرة طبعة

الشعب ص: 135 .

¹⁵² أ. د/ عبد الفتاح عبدالله بركه، مفاهيم الموسوعة الإسلامية ص: 66، المكتبة الشاملة،

الإصدار الأول، وحقيقة البردة هي بردة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد خُلف رسول الله صلى

الله عليه وسلم بردتين البردة الأيلية والبردة الكعبية .

¹⁵³ وأن معاوية بن أبي سفيان أيام خلافته أرسل إلى كعب بن زهير يطالب منه أن يبيع له بردة

الرسول صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف (لعله درهم أو دينار) ثم بعده إشتراها من أولاده

بعشرين ألفًا وأخذ البردة وهي التي يلبسها الخلفاء في العيدين وأما البردة الأيلية روي أن أبا

العباس عبدالله بن محمد اشتراها بثلثمائة دينار وهي التي توارثها خلفاء بني العباس وقيل لعل بني

بانّت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم إثرها لم يفد مكبول
فعفا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وأعطاه بردته ولذلك سميت
هذه القصيدة بالبردة وقيل أنه ألقاها إليه لما قرأ قوله:

إن رسول الله لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله
مسلول¹⁵⁴

ومن أشهر القصائد البردية قصيدة الإمام شرف الدين أبي عبدالله
محمد بن سعيد بن حماد البوصيري الصنهاجي¹⁵⁵ ومطلعها:
أمن تذكر جيران بذي سلم * مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة * وأومض البرق في الظلماء
من إضم

فما لعينيك إن قلت اكفها همتا * وما لقلبك إن قلت استنق يهم
وقد نالت هذه القصيدة قبولاً عند أكثر المسلمين حتى عقدوا
لقراءتها المجالس ورتبوا لها طرق الإنشاد معتقدين نيل بركتها
حيث أن ناظمها قد أصيب بالفالج وأعيى الأطباء عن علاجه فصح
عزمه أن ينظم قصيدة في مدح النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم
فشفي¹⁵⁶ وكما كانت قصيدة كعب بن زهير مشهورة كذلك كانت
بردة البوصيري حتى رأى فيهما الشعراء ميداناً لسباقهم يتبارون في
ساحتيهما بالمعارضة أو التشطير أو التخميس أو التسبيح وأصبح
ميداناً لفنونهم العلمية والأدبية واللغوية والحديثية وغيرها¹⁵⁷ سواء
في بلاد المشرق أو المغرب العربي أو بلاد السودان .
نسبتهما:

تنسب قصيدة البردة لمحمد بن عبد الله البوصيري وهي من
أشهر قصائد التي ألفها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وقد
ذكر كل من محمد بلو والشيخ يهوذا بن سعد زارياً في

العباس ورثوا الكعبية من الأمويين عندهم بردة واحدة أحرقتها هولاءكو ويروى أنها لاتزال في
القسطنطينية إلى يومنا هذا .

¹⁵⁴ المصدر السابق نفسه .

¹⁵⁵ أ.د/ عبد الفتاح عبدالله، بركة المكتبة الشاملة، الإصدار الأول، مفاهيم الموسوعة

الإسلامية ص: 66

¹⁵⁶ إبراهيم الباجوري، حاشية الباجوري على البردة، مطبعة المصطفى الحلبي وأولاده ،

بمصر، الطبعة الرابعة، 1951م ص: 4 .

¹⁵⁷ المصدر السابق نفسه ص: 66 .

مخطوطتاها أن هذا العمل الذي قاما به إنما كان بناءً على قصيدة محمد شرف الدين البوصيري المشهورة بالبردة المديح قال إبراهيم الباجوري: "وأما قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية " المشهورة بالبردة التي ألفها محمد بن عبد الله البوصيري خير دليل على عمل المدحي ثم قال: "أشار العلماء بتفنن في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومن أجلهم الإمام الكامل والهمام العالم الأديب الشهير أشعر الشعراء، وأفصح الحكماء الذي صاغ قصيدته صوغ الذهب الأحمر ونظمها نظم الدر والجوهر القصيدة المشهورة بالبردة. 158 وأقول إتفق العلماء المتقدمون والمتأخرون على أن هذه القصيدة ألفها محمد بن عبدالله البوصيري ولم أجد من خالفهم على ذلك .
مصادرها:

كانت البردة في مظهرها العام استعراضاً لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم – ومآثره المتعددة التي لا تحصى ومعجزاته الدالة على صدق نبوته، فإن قصيدة البردة تتكون من المقاطع المختلفة تظهر فضل الإبداع والإقتباس من مصادر التاريخ الإسلامي التي تحدثت باستفاضة عن سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام -، ومهارة الشاعر تكمن في مقدرته على نظمها في قالب الشعري يسهل حفظه وإنشاده في مناسبات دينية 159 ويتمثل هذا الإقتباس جلياً في الشفاء في تعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، وزاد المعاد في هدي خير العباد لإبن القيم الجوزية، ومغازي للواقدي، وغيرها من كتب السيرة وتاريخ المصطفى صلى الله عليه وسلم وكذلك يمكن القول بأن الشاعر اقتبس بردة كعب بن زهير إذ هو أول من ابتكر هذا النوع من المدحي وبسطه البوصيري وأطال فيه
القصيد 160

158 إبراهيم الباجوري، حاشية الباجوري، ص: 4، المرجع السابق .
159 زكي مبارك، الموازنة بين الشعراء، منشورات المكتبة العصرية صيدا- بيروت لبنان، الطبعة الثانية، دون التاريخ ن ص: 151.
160 زكي مبارك، الموازنة بين الشعراء، المرجع السابق، ص: 151.

لغتها:

لاشك أن لغة البردة تتمثل بين السهولة والجزالة إذ أن مؤلف عاش في أيام أتراك والمماليك أيام النهضة والثقافة العربية بل فإنه أدرك ما يسمى بالعصور الذهبية فمطلع القصيدة يوضح أرقى حالة الجزالة فقصيدة البردة هذه تمثل شخصيته البارزة ذات القدرة على تنسيق اللفاظ العربية وكذا عناية بالشكل مما يظهر جوهر الشعر وحقيقة الأدب معا. 161 وعلى الرغم من أن ما تناوله الأديب في شعره يشمل جانبي فن المديح النبوي والاجتماعي، ويمكن أن نعرف من خلالهما ألفاظه التي تواظب اللغته الفصيحة 162، الأبيات تمتاز بالجزالة والرصانة، وتدل على معرفة البوصيري بأسرار اللغة وقواعد النظم التقليدي إلى جانب غنى التجربة في مجال الحياة، وبخاصة فيما يتعلق بأدواء النفس، فهو مطلع على أسرارها مدرك لأخطارها، ولهذا نجده يدعو إلى ضرورة ضبط سلوكها والتحكم في تصرفاتها منذ نشأتها الأولى كي لا تختل عن الصراط المستقيم الذي رسم معالمه ديننا الإسلامي الحنيف، وقد استهل الشاعر حديثه عن النفس ببيت ذهب مثلاً فقال:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على * حب الرضاع وإن
تفطمه ينفطم

أسلوبها:

الطابع الغالب على أسلوب الشعر في الإنحطاط التكلف في صور البيان والبديع وذلك نتيجة الاهتمام بحشد أكبر عدد منها، الأمر الذي جعل بعض الشعراء لا يحسنون - في أكثر الأحيان - وضعها في مواضعها الملائمة إلا أن قصيدة البوصيري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم تبرز موهبة الشاعر في القدرة على التنسيق بين صور البلاغية والتنويع في الأسلوب بقصد إثارة المشاعر والأحاسيس الدينية، وإضفاء رونق وبهاء على أبيات النص، وهي خصائص التجانس في مجملها لتعزف لحناً ذا تأثير

161 حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي المرجع السابق، ص: 864. ++

162 بطرس البستاني، دائرة المعارف المرجع السابق ج/ 5 ص: 694.

قويّ في نفوس المنشدين والسامعين، ومن الصور البلاغية نجد
الجناس في الأبيات كقوله: أمته وملّته، ويصم ويصم، والسم والدم.
وكذلك الطباق في قوله: الولي والعدو، والجوع والشبع، واستفرغ
وامتلاً .

كما قام الشاعر بالتشبيه في قوله
أحلّ أمته في حرز ملته * كاليث حلّ مع الأشبال في
الأجم

حيث سبّه النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يرعى هذه
الأمّة، ويحميها من كل سوء بالليث الذي يحمي مع أشباله في
الغابات الكثيفة، ابتعاداً عن المخاوف، وهذا الإطناب في التشبيه يدل
على رغبة الشاعر في إلمامه بأطراف الحديث، وبخاصة وهو
يتناول جانباً من حياة أشرف الخلق أجمعين .

نظمها:

فإن نظم قصيدة البردة في الأبيات إتفت الشاعر كثيراً إلى
الوحدة الموضوعية وخاصة الأبيات الأربعة التي تحدث فيها عن
أهواء النفس ودورها في توجيه سلوك الإنسان نجد كل بيت فيها
قائمة بذاته يحمل فكرة أو عدة أفكار، ولكن في إطارها العام تخدم
غرضاً شعرياً متنوعاً لعبت فيه العاطفة الدينية دوراً أساسياً، فكانت
ذات تأثير قويّ في نفوسنا .

تخميسها:

إهتم كثير من الشعراء بتخميس البردة وشرحها منذ العصر
المملوكي والعثماني وعصر الحديث، كما قام العديد من الأدباء في
المشرق والمغرب العربي وكذلك أفريقيا السوداء بتخميس قصيدة
البردة فصار لا يمكن إحصاء عدد من خمسها على وجه التحديد،
قال عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (الدكتور) "تنافس أكثر
من مائة شاعر في تخميسها" 163 وعلى سبيل المثال قام بتخميسها
إبراهيم بن علي النهنسي المتوفي (846هـ) كما خمسها محمد بن

¹⁶³ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (الدكتور)، مج، قواعد عقديّة في بردة البوصيري لة
البيان، مكتبة ملك فهد الوطنية، الطبعة العاشرة، 2006م، ص: 45 .

خليل القباقبي¹⁶⁴ (849هـ) وقد قام الشيخ عبد القاسم بتخميسها ومطلعها:

أمن توهم أوطان من الإرم * أمن تنسم ريح المسك في الخيم
أمن سواطع أنوار من العلم * أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

ثم قام الشيخ البخاري بتخميسها وذلك في سنة 1360هـ الموافق 1941م ومطلعها:

مابال قلبك لاينفك ذا الم * مذ بان أهل الحمى والبان والعلم
وانهله مدمعك الغاني بمنسجم * أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

وممن قام بهذا العمل التخميسي الشيخ محمد بلو بن عثمان بن فودي والشيخ يهوذا بن سعد زارياً .

تعريف التخميس:

فالتخميس لغة من خمس، وخمس القوم أي جعلهم خمسة وخمسه تخميساً وحدّ أعضائه الخمسة. ¹⁶⁴وقيل هو أن يقدم للشاعر على البيت من شعر غيره ثلاثة أشطر على قافية الشطر الأول - أي المصرع الأول فتصير خمسة أشطر أو مصاريع. وقيل إن أصل التخميس أن يتناول الشاعر قصيدة شاعر آخر فيزيد في أول بيت منها ثلاثة مصاريع يتخذ لها قافية تطابق ختام صدر البيت في قصيدة الشاعر التي يخمسها ¹⁶⁵ وهذا التعريف الجامع المانع هو النوع الذي استخدمه السلطان محمد بلو، والشيخ يهوذا بن سعد في تخميسيها لبردة البوصيري

وفي تعريف آخر عن الخمسة، فهي القصيدة تتألف من أدوار، وكل دور يتركب من خمسة أشطر، وتتفق شطور كل دور في قافية واحدة ما عدا الشطر الأخير فإنه يستقل بقافية مغايرة، وفي الوقت نفسه يتحد فيها مع الشطور الأخيرة في الأدوار

¹⁶⁴ إدورد وليم، لين العربية الإنجليزية، القسم الثاني بيروت لبنان 1968م مادة (ت)

ص 810 - 811

¹⁶⁵ أحمد أمين، ظهر الإسلام ط 4 مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1966م ج 2، ص: 81

المختلفة.166 وعلى ضوء التعريفات السابقة يمكن القول بأن ظاهرة التخميس تتلخص في نقطتين: الأولى أن التخميس بمعنى إضافة الشاعر إلى قصيدة غيره ثلاثة أشطر وبالأصل تكون القصيدة خمسة والثانية أن يكون التخميس منظوماً من قبل شخص واحد 167 .

نشأة فن التخميس:

قال ابن خلدون: في حديثه عن موضوع سماه:

" أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد "168 لهم فن آخر أي المولدون كثير التداول في نظمهم يجيئون به معصباً على أربعة أجزاء يخالف آخرها الثلاثة في رواية. ويلزمون القافية الرابعة في كل بيت إلى آخر القصيدة تشبيهاً بالمربع والمخمس الذي أحدثه المتأخرون من المولدين169 ويعني بذلك القرن الثامن والتاسع الهجريين علي وجه التحديد. 170

ويرى بعضهم أن نشأة هذا الفن يمكن القول بأنه خروج من نظام الشعر الذي ظهر عند المشاركة في صدر الدولة العباسية، إذ لا يستطاع نظمها على قافية واحدة، ونظموا أيضاً المسمطات والمخمسات171 وكذلك حصل في القرن الثاني الهجري محاولات بعض الشعراء المشاركة الخروج من الأوزان العربية المألوفة في الشعر، وهناك شعراء آخرون في نفس الوقت جددوا في الأوزان الشعرية ونظموا على غير العروض المتوارث من بينهم سليم

2 شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ط: 8، دار المعارف بمصر 1900، ج 3، ص: 198.

3 صالح أحمد أبو الفتح، بين الشيخ عبدالله بن فودي والوزير محمد بن عبد الله البرناوي في تخميسهما لدالية الشيخ عثمان بن فودي دراسة ومقارنة. رسالة علمية قدمت لقسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب، جامعة بايرو كنو، للحصول على درجة الماجستير، 2004م ص: 12 .

168 ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، المطبعة الأولى، 1993م، ص : 526 .

169 المرجع السابق نفسه: ص 526
170 محمد صالح حسين، الدالية الفودوية مجلة اللغة العربية جامعة بايرو كنو، 1982م

العدد الخامس، ص: 93 .
171 بطرس بستاني: دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب، المصدر السابق، ص:

الخاسرون ورزين بن زيد الذي لقب برزين العروض لكثرة ما يخرج في شعره عن العروض وظهرت أنماط جديدة من الشعر، وقد أحيا الشعراء ظاهرة شعر التخميس على فترة ما يعرف بالانحطاط أو الجمود وهي الفترة ما بين 1258- 1798م تحديداً

172 وعلى سبيل المثال اللامية الشهيرة للسموء ال 173.

فقد قام صفي الدين الحلبي بتخميسها ومنه قوله:

تغيرنا أنا قليل عديداً * فقلت لها إن الكرام قليل
إذا المرء لم يندس من اللوم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وقال صفي الدين الحلبي: 174

وعصيبة غدر أرغمتها جدودنا * فباتت ومنها ضدنا وحسودنا

إذا عجزت عن فعل كيد يكيدينا * تعيرنا أنا قليل عديداً

فقلت لها أن الكرام قليل

قبيح بمن ضاقت عن الرزق أرضه * وطول الفلا رحب عليه وعرضه

ولم يبيل سربال الدجى منه ركضه * إذا المرء لم يندس من اللوم

عرضه

فكل رداء يرتديه جميل

ثم رأى الشعراء - ولاسيما المحدثون - أن يجعلوا المصاريع الخمسة كلها من نظمهم، وهناك خمسة تنسب إلى أبي نواس 175 منه قوله:

ما روض ريحانكم الزاهر * وما شذى نشركم العاطر

وحق وجدي والهوى قاهر * مذ غبتمو لم يبق لي ناظر

فالقلب لا لاه ولا صابر

قالت ألا لاتلجن دارنا * وكابد الأشواق من أجلنا

واصبر على مر الجفا والظنى * ولا تصرن على بيتنا

إن أبانا رجل غائر

172 المصدر السابق، نفسه. ص: 1233

173 السموال ابن عا دبا ء توفي عام 560م شاعر جاهلي يهودي

174 شقيق أبو سعدة، الأدب العربي بين التماسك والانحدار، مذكرة الجامعة الإسلامية،

ص: 70

175 محمد مصطفى هدارة، الاتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص:

يُرى فيما سبق أن استخدام التخميس يقودنا إلى نتيجة واضحة محددة وهي أن التخميس عمل أدبي مشترك بين الشعارين يتناول الشاعر الثاني عمل شاعر قبله أو معاصر له بإضافة في اللفظ والمعنى. وهذان القسمان قد نالا اهتمام العديد من الشعراء القدامى والمحدثين. 176 غير أنه يمكن أن يقوم الشاعر بتخميس قصيدته بنفسه كما رأينا عند أبي نواس.

وممن قاموا بالتخميس في المشرق العربي الأديب الشهير المعروف بأحمد النحوي 177 في مطلع القرن الثاني عشر الهجري وإليك طائفة من تخاميسه الرصيفة قوله: 178

خلت من حبيب النفس المعاهد * وبدد شمس الأنس دهر معاند
فقلت ولي طرف رعى النجم ساهد * خليلي إني للثرى لحاسد
وإني على ريب الزمان لواجد

وكذلك تبعه ابنه الرضا بن أحمد النحوي (وهم من شعراء الحلة العراقي) ومن تخاميسه 179 قوله:

هذا الذي ضمن القرآن مدحته * هذا الذي أوجب الرحمن طاعته
هذا الذي تعلم الأملاك رفعته * هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرف والحل والحرم

وأن فن التخميس بعد ما ظهر في المشرق العربي ظل عندهم ريثما تسنحت الفرصة للمسلمين والثقافة العربية الإسلامية بأن ينتقلوا مع المد الإسلامي إلى منطقة المغرب العربي، وفي النصف الأول من القرن الخامس الهجري بدأت السمات الأولى للأدب المغربي تتضح على أيدي أول جيل من الأدباء المغاربة الوطنيين الذين لم يتركوا فناً من فنون الشعر إلا واحتفظوا به بل وفتقوه وفرعوه فمنه ما قلدوا فيه أدباء المشرق العربي وعارضوا بعضهم في أمهات مشهوراتهم. ومن جانب قلدوا شعراء الأندلس في الفنون الأدبية أيضاً. 180

176 محمد صالح حسين، المصادر الدالية الفودوية، المصدر السابق، ص: 92 .

177 والنحوي برع في هذا اللون من الشعر وأجاد فيه وتتنوع في كثير منه .

178 علي الحاقان، شعراء الحلة والبابليات طبعة دار الأندلس، بدون ذكر التاريخ ج 1،

ص: 104.

179 المصدر السابق، نفسه .

180 محمد تاويت وغيره، الأدب المغربي، دار القلم، بيروت 1965م. ص: 59 .

وفى هذه البلاد الإسلامية والمنطقة المغربية وجد التخميس الأرض الخصبة حيث نمت وترعرع وازدهر ولعل هذا يرجع إلى نوعية موسيقية يمتاز بها المغاربة حتى لا يكاد يذكر لك شاعراً معتبراً في المغرب إلا وله مخمسات غاية في الروعة والإتقان. وأن معظم مخمسات المغرب من نوع العمل الأدبي المشترك وهذا بالطبع أصعب أنواع التخميس من كل جانب ويحتاج إلى الدربة والمرونة والموهبة بجانب الاقتدار على التصنيع. 181 ومن أشهر شعراء المغاربة مالك بن المرحل 182 الذي أكثر من التخميس وعُرف ومن قصائده مخمسة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم التي نسجها على ترتيب الحروف الهجائية فقال:

حرف ألف

أجل الأنبياء نبئ * بضيا نه شمس النهار تضيئ
وبه يؤمل محسن ومسيئ * فضل من الله العظيم عظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

حرف الباء

بدا في أفق مكة كوكباً * ثم اعتلت فجلا سناء الفيها
حتى أنار الدهر منه وأخصبا * إذ كان فيض الخير منه عميما
صلوا عليه وسلموا تسليما 183

وهذه أول نماذج من مخمسات المغرب التي تيسر العثور عليها، فالنموذجان الأخيران خير دليل على ظاهرة اقتصار التخميس على فن المديح النبوي .

إن انتشار الإسلام وتسربه من بلاد المغاربة إلى بلاد غرب إفريقيا عبر التاريخ بمثابة جسر لوصول هذا الفن التخميسي والثقافي الإسلامي إلى عقرديار نيجيريا .

فإن المعركة الثقافية قد امتدت إلى مدن كشنة وكنو منذ القرن الخامس عشر الميلادي مما جعل علماء هذه البلاد يهتمون بالعلم

181 محمد صالح حسين، المرجع السابق، ص: 100 .

182 هو مالك بن المرحل من أشهر شعراء القرن السابع الهجري ويمتاز شعره بروقة وحسن

المظهر عاش ما بين 604 - 696هـ

183 محمد صالح حسين، مصادر الدالية الفودوية، المرجع السابق، ص: 101 .

وتنوع مصادره كالحجاز، ومصر، والشام. 184 ومن هذ المنطلق فقد كان أثر الخط المغربي واضحاً فى غرب إفريقيا، حيث أصبح

الخط المستعمل الشائع فى الكتابات حتى اليوم. 185

فإن ماكان بين بلادالسودان وبلاد المغرب العربي الذي كان خاضعا للسلطنة العثمانية من صلات ثقافية وعلمية فإنه لم يبق هناك مجال للشك إذا وجدنا أن هذا الفن الشعري قد وجد سبيله إلى ساحة الشعر النيجيري. 186

وخير شاهد على هذا هو التخميس الذي قام به عبد الله بن فو

ديو" 187

بسم الإله بدأت قولي شافعا * بمدح خير العالمين وصادعا
مستفهما نيل الوصول وذا دعا * هل لي مسير نحو طيبة مسرعا
لأزور قبر الهاشمي محمد

ثم جاء العلماء من بعده وقاموا بتخميسات عدة على مر العصور فى هذه الديار ومن بينهم السلطان أمير المؤمنين محمد بلو والشيخ يهوذا ابن سعد زاريا الذان عن تخميسهما يقع محور هذه الدراسة .

فن المديح:

المديح عبارة عن وصف الرجال، وامتداح مزاياهم، والتحبيب إليهم والتقرب إلى مقامهم بأحسن أسلوب وأبرع صورة. وكان للمديح دور خطير في حياة الإنسان ذلك لأنه يسجل لنا جوانب حياتنا التاريخية، حيث يرسم لنا نواحي عديدة من أعمال الملوك وسياسة الوزراء وشجاعة القواد، وثقافة العلماء. وليس معلوماً لدينا على وجه التحديد أوائل المديح عند الإنسان الأول، لأن جذورها قد غابت عنا مع ظلمات التاريخ، إلا ما تحمله الأحجار القديمة في صفحاتها حمداً وثناءً لبعض الأمم، تشيد بالقواد أو الملوك

184 الدكتور حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية فى إفريقيا، ج 1 ص: 212.

185 صالح أحمد أبو الفتح، بين الشيخ عبدالله بن فودي، والوزير محمد بن عبد الله البرناوي فى تخميسهما لدالية الشيخ عثمان بن فودي دراسة ومقارنة، المرجع السابق، ص:

19

186 شعيب على دغو، تخميس الشيخ شنت بن عبد الرؤوف لبردة البوصيري دراسة

تحليلية، المرجع السابق، ص: 2

187 عبد الله بن فودي، تزيين الورقات، ص: 8 .

188 وتتحدث عن انتصاراتهم ومواهبهم، وتمنحهم صفاتاً وألقاباً ونعوتاً تسمى في عرف الأدب بفن المديح .
لما جاء الإسلام وظهر الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم انقسم العرب إلى قسمين، فريق مع الرسول وفريق آخر راح يعاديه فنشأ من ذلك شعر ديني إسلامي في المديح يشيد بالرسالة ودعوة الرسول، ويبشر بالدين الجديد فمدح مزاياه، ويمهد الطريق للشعراء الإسلاميين بعده على مدى القرون في امتداح الإسلام والنبي الكريم.

المديح يختلف من عصر إلى عصر ومن حين لآخر وقد تطورت النهضة الأدبية في كافة فنونها وأجزائها وأغراضها. ففي العهد الجاهلي نرى أن المدح هو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل والعدل والعفة والشجاعة وأن هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه، وتعداد محاسنه الخلقية كالجمال وبسطة الجسم وشاع المدح عند ما ابتذل الشعراء واتخذوه مهنة.

189

أما الشعر عموماً فقد بقي رونقه في الشام ومصر والأندلس والمغرب في أيام المماليك فقل التكبسب به فمال أكثر الشعراء إلى اتخاذ كتابة الدواوين صناعة، منذ وقت ازدهار الثقافة العلمية والحياة الإجتماعية بدأ الشاعر يمدح ممدوحه بالصفات الحسنة والأخلاق الحميدة .

من أهم الآثار الأدبية التي اكتشفها علماء الأمم القديمة الكتاب الذي اكتشفه العلماء في جدران المقابر بمصر المسمى "كتاب المتوفى" وقرأوا فيه الدعوات والعبادات ما يفيدنا في فهم أدبهم ومديحهم. ومنها: "السلام عليك أيها الإله الأعظم، جنتك يا إلهي متحلياً بالحق متخلياً من الباطل، فلم أظلم أحداً ولم أسلك سبيل الضالين، لم أحنث في يمين، ولم تضلني الشهوة فتمتد عيني لزوجة

188 سامي برهان، الفنون الأدبية الفن الغنائي، الرقم الرابع بعنوان المديح طبعة دار المعارف بمصر الطبعة الثانية دون ذكر التاريخ ص: 5.

189 الشيخ أحمد الإسكندري، الوسيط في تاريخ الأدب العربي وتاريخه، المرجع السابق ص:

أحد من رحمي ولم تمتد يدي لمال غيري، ولم أقل كذباً ولم أكن لله عاصياً، ولم أسمع في إيقاع بعبد عند سيده". 190

كان الشعراء في صدر السلام وأيام الخلفاء يشيدون مدحتهم بما تزهى به نفوسهم تورعاً وتواضعاً، ثم استرسل الشعراء فيه أن كان المدح من أهم الدعائم لتوطيد أركان الدولة، وتفخيم مقام الخلفاء والولاة والإشادة بعظمتهم فصار ذلك بمثابة الصحف العظمى المشيعة لأهل الدولة أو لأحد زعماء الأحزاب في زماننا.

ومن هنا يظهر لك أن المدح في أيام بني أمية ذي صفة سياسية محضة ويختلف عن سابقه في العصر الجاهلي وحاضره في العهد العباسي وإن المدح في هذا العهد يسير على سنة الأقدمين في تركيب القصيدة من الافتتاح بالحكمة أحياناً وقد ازدادت النزعة التكسبية واشتد التزلف. وازدادت الصناعة اللفظية والمعنوية والأفكار عمقاً ونسجت الأخيلة حول المعاني القديمة عالماً من الصور الجديدة والمغاليات الشديدة. 191

نشأة المديح النبوي:

لمدح: وهو ذكر محاسن الممدوح ومناقبه ومحامده وفضائله ويقال منه مدحه وقرظه وأطر 192.

بتقدم الزمان لم يبق المدح في نطاقه المعروف، وإنما يحظى إلى التبذل في الاستجداء والإلاح فيه. كما أصبح عند الكثيرين تأييد لرأى سياسي أو ديني رفعاً لشأن فريق على فريق أو قبيلة على قبيلة 193.

ن الفضائل التي يمدح بها الإنسان من حيث هو بشر تنحصر في رجاحة العقل وكمال الخلق وجمال الخلق والشجاعة والصبر وغيرها 194.

190 سامي برهان، فنون الأدب العربي الغنائي، المرجع السابق، ص: 6 .

191 حنا الفاخوري، الجديد في الأدب العربي، 638/5 سنة 1962م، المصدر السابق .

192 أبو الربيع: سليمان بن بنين بن خلف بن عوض تقي الدين المصري، إتقان المبانى

وافتراق المعاني، ج/ 1 ط/ 1، دار عمار - عمان 1985م، ص: 252.

193 حنا الفاخوري، الجديد في الأدب العربي، منشورات مكتبة المدرسة بيروت لبنان، ط

3/ 1964م.

194 ابن رشيق، العمدة، مطبعة السعادة، 1963م، ج / 2 ص 130.

أن المدائح النبوية هي القصائد التي اكتسبت سمات وخصائص عاطفية دينية، ومواقف إيمانية، ودوافع التقرب إلى الله من خلال الإشادة بالمناقب العظيمة لشخصية الرسول والتنويه بمكانته الشريفة وإظهار التشوق والحب إليه وصحابته الكرام وتأثره كذلك بمختلف الهيئات السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية عبر العصور. 195

إذا كان فن المديح كغيره من الفنون الشعرية العربية التي نشأت قديماً منذ عصر الجاهلية، فإن المدائح النبوية التي قيلت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد رحيله إلى الرفيق الأعلى قد وصلت أرقى ما يصل إليه هذا الفن جودةً وجدارةً وصدقاً، وكما أنها أحوز للقلوب وأوسعها قراءةً وإنشاداً وترديداً على الألسن من جميع فنون الشعر العربية، وأكثر تلاوةً وأعظم تأثيراً بمعناه من جميع ما سطر في الصحف بعد كتاب الله تعالى وأحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم. 196

إن أقدم ما اعتبره الأدباء من المديح الذي مُدح به الرسول صلى الله عليه وسلم

قصيدة الأعشى التي يقول في مطلعها 197:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمد * وعادك ما عاد السليم المسهدا
وما ذاك عن عشق النساء وإنما * تناسيت قبل اليوم خلة مهددا
إلى قوله:
فآليت لأرثي لها من كلاله * ولا من حفي حتى تزور محمدا
نبي يرى ما لاترون وذكره * أغار لعمرى في البلاد وأنجدا
له صدقات ماتغب ونائل * وليس عطاء اليوم مانعه غدا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم * تراحى وتلقى من فواضله
ندى

195 كيارى إبراهيم الشريف، البردة الجيمية في مدح خير البرية، للإمام الشيخ يوسف بن إبراهيم القرقرى، بحث قدم لقسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو، للحصول على درجة الدكتوراه، عام 2000م ص: 20.
كيارى إبراهيم الشريف، البردة الجيمية في مدح خير البرية، للإمام الشيخ يوسف بن إبراهيم القرقرى، المرجع السابق، ص: 20.
197 كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصطفى، الكتب العربية، بيروت، لبنان دار إحياء التراث العربي، بدون ذكر التاريخ ص: 55.

إن بردة كعب بن زهير احتلت مكاناً مرموقاً في تاريخ المدائح النبوية ولها الجلالة من القدر والتعظيم في نفوس الناس وذلك لما تواتر في تاريخها من اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بها حين ألقيت بين يديه وخلع عنه بردته ووهبها لكعب بن زهير تقديراً له ولشعره وهذه الجائزة التقديرية من الرسول تعتبر أكبر حدث في تاريخ المدائح النبوية عبر العصور، فكثير من الشعراء في فن المديح النبوي قد سلكوا مسلك هذه البردة اقتداءً وتبركاً، ومن بينهم الإمام الشهير أبو عبدالله البوصيري الذي سمي قصيدته البردة وتبركاً بها أيضاً خمَّسها السلطان محمد بلو والشيخ يهوذا بن سعد زارياً.

وعلى العموم فإن قصائد كعب وحسان وما يضاف إليهما تعتبر أول لبنة من هذا الفن الذي بدأ يتطور بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد انتقال الخلافة إلى بني أمية خاصة بعد أن تغير معيار سياسة الخلافة والملك فنشطت ظاهرة جديدة في هذا الفن، وهي ظاهرة الجمع بين مدحه عليه الصلاة والسلام ومدح عترته. ومن هؤلاء الشعراء الفرزدق فقد اتفق أن اجتمع هو وهشام بن عبد الملك في أيام الحج وقد تجاهل هشام عن زين العابدين علي بن حسين على أصحابه حين رأوه يطوف بالبيت وقد تنحى له الناس في الزحام الشديد ليستلم الحجر فأجابه الفرزدق قائلاً 198:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
 هذا بن خير عباد الله كلهم * هذا التقى النقى الطاهر العلم
 هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا
 وليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم
 إذا رأته قريش قال قائلهم * إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
 وممن اشتهروا بفن المدح في عصر بني أمية الكميت بن زيد
 199 ويقول في أهل البيت:

198 الدينيري، محمد بن قتيبة، الشعر والشعراء، القاهرة طبعة دار المعرف، بدون ذكر التاريخ ص: 22 .

199 هو الكميت بن زيد بن الأخنس بن مجالد بن ربيعة بن قيس بن الحارث بن عامر بن ذؤيبه بن عمرو بن مالك بن سعد، ويكنى أبا المستهل ومنزله الكوفة ومذهبه في التشيع ومدحه لأهل البيت عليهم السلام في أيام بني أمية مشهور.

فقل لبني أمية حيث حلوا * وإن خفت المهند والقطيعا
أجاج الله من أشبعتموه * وأربع من بجواركم أجيعا 200
ويروى أن أبا جعفر محمد بن علي رضي الله عنه لما أنشده
الكميت هذه القصيدة دعا له. و من قصيدة كميت في هشام وبني
مروان قوله:

مصيب على الأعواد يوم ركوبها * لما قال فيا مخطئ حين ينزل
كلام النبيين الهداة كلامنا * وأفعال أهل الجاهلية نفل
وإذا ألقينا النظر في العصر العباسي نجد أن نار المحبة للنبي
صلى الله عليه وسلم لاتزال في قلوب الناس وأن موج السياسة
الرائدة في تلك الفترة لاتزال تعطي ميزة تعاطفية على عترة النبي
صلى الله عليه وسلم وخاصة الحوادث التي مرت بكربلاء وغيرها
قد جعلت القلوب تنزف دما والعين تحدر دمعا أحمر مما جعل
الشعراء يصيحون بأقلامهم ويدونون شعورهم وأحاسيسهم وخير
شاهد ما قاله دعلج، في تائيته التي نالت قبولا وإعجاباً كبيرين في
ذلك الحين ويقول في مطلعها:

مدارس آيات خلت من كتابة * ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى * وبالركن والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر * وحمزة والسجاد ذي التقنات
إلى قوله:

إذا ذكروا قتلى ببدر وخيبر * ويوم حنين أسبلوا العبرات
قبور بكوفان وأخرى بطيبة * وأخرى بفتح نالها صلواتي
وقبر ببغداد لنفس زكية * تضمنها الرحمن في الغرفات
ومما نقله الرواة من أخبار تدل على الرقة والحنان الخالصين
في نفس دعلج تجاه أهل البيت ما ذكر من أنه استوهب ثوبا من علي
بن موسى وأمر بأن يجعل ذلك الثوب في أكفانه. 201
فن المديح في الأدب العربي الإسلامي:

200 المرزباني، معجم الشعراء، موقع إلكتروني، موقع الوراق، المكتبة الشاملة، ج 1

ص: 75.

201 غلادنت، شيخ أحمد سعيد، الحركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، الرياض شركة
الميكال، الطبعة الثانية 1424هـ - 1993م ص: 25.

إن الأدب العربي يعتبر من أبرز الفنون الأدبية، لأنه لم يفارق العرب منذ جاهليتها الأولى. فكانت الأسباب والموضوعات في اختراع المديح عند العرب لا تختلف عن غيرها في الأمم الأخرى، وذلك فيما يمس الجانب الديني والسياسي والاجتماعي، ولكنها زادت عند العرب أسباباً أخرى بسبب الفقر في الصحراء القاحلة وقلة موارد الرزق والصناعة وقلة البساتين، فكثر المحتاجون وقل الأغنياء، ولا يوجد مثل هذه عند غيرهم من الأمم في تلك الأيام، لذلك كثر القتال في سبيل البقاء وتنوعت أساليب البطولة والبرصالة من أجل تخفيف الفقر والصراع في نفس الوقت.

202

وأما في العصر المملوكي فقد قيل شعرٌ كثيرٌ في هذا العصر وكان من أغراضه فن المديح وقد كثر الشعر في المديح النبوي، وفي هذا العصر وجد أشهر الشعراء في فن المديح النبوي مثل الوزير الفاضل أبي زيد عبد الرحمن أبي سعيد يخلفن بن أحمد الفازازي الأندلسي فألف في المدح النبوي " الوسائل المتقبلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. 203

وأما مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في مماته فإنه لا يزال إلى يوم الدين، لأن دعوته ما زالت بخير ولأنه- صلى الله عليه وسلم- كان ولا يزال خير نموذج يقتدي به " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" 204 ولأجل ذلك كله اتخذت هذه المدائح وتلك طرقاً وأشكالاً مختلفة على مر العصور وفق اتجاهات أصحابها إلى أن أتى عصر الجمود بولاته وحروبته والفتن المنتابفة على الأمة الإسلامية بجانب ضعف ولادة أمور المسلمين، الأمر الذي أخرج البؤس والفقر والشقاء واليأس في نفوس الناس مما جعلهم يرجعون ويتوبون إلى الله بالعبادة والتقرب إليه بالعمل الصالح فأوجد ذلك الطرق الصوفية بما فيها من تعلق بالذات الإلهية وبمحمد المصطفى

202 سامي برهان، فنون الأدب العربي، المصدر السابق. ص1.

203 بطرس البستاني، دائرة المعارف، المصدر السابق 602\9 .

204 سورة الأحزاب الآية 21 .

خير البرية- صلوات الله وسلامه عليه- كرد فعل لما عليه المسلمون
عامه.205

ومن أنواع المديح المديح الإلهي وذلك أن الله هو الذي أوجد
الانسان من العدم، فصوره فأحسن تصويره، وأنعم عليه فأجزل
نعمه، لذلك قامت الأديان كلها بشكره ومدحه وبيان نعمه، فأكثر
الكتب المقدسة من ذكره وبيان رسالته وقوته وخيراته وفضله على
المخلوقات جمعياً ولذلك صار الشعراء منذ الزمن القديم على تقديسه
وتمجيده تبارك وتعالى.

ولأبي العتاهية الزاهد المتعبد الموحد قصيدة مدح بها جل
جلاله ومطلعها:
أيا عجباً كيف يعص الإل *
ه أم كيف يجحده الجاحد وفي كل شيء له آية

* تدل على أنه واحد 206
ويقول حسان بن ثابت أيضاً في مديحه للإله:
لك الحمد يا ذا العرش يا خير معبود * ويا خير مسئول ويا خير
محمود شهدنا لك اللهم أن لست والدأ * ولكنك
المولى ولست بمولود وأنك معروف ولست بموصوف
* وأنك موجود ولست بمحدود. 207

وقد تطور المديح تطوراً سريعاً حتى أصبح أقرب إلى النسب
حين ينشد الشعراء المتصوفة في حب الإله، ويتغنون في عشقه
والتقرب منه.

المديح النبوي لدى علماء هوسا.

إن ظهور الإسلام كدين سماوي هو أكبر حدث في حياة
العرب، إذ لم يكن مجرد حركة روحية، بل هو مجموع حركات
انتظمت إلى جانب روح الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية
والاقتصادية، والعرب في جاهليتهم كانوا يعيشون في نظام عجيب
وأسلوب غريب، حيث لا تجمعهم دولة ولا ينظمهم قانون واحد،

205 دراسات عربية، مجلة العدد الخامس، الصادرة في جامعة بايرو، بكنو، عام 1985م

ص: 109 .

206 سامي برهان، فنون الأدب العربي، المصدر السابق، ص: 14 .

207 المرجع السابق، ص: 15.

بعضهم يدين بالنصرانية وبعضهم بالوثنية أو اليهودية، ويحيون على عشائر وقبائل متفرقة.

لاشك أن المدائح النبوية بصفة عامة تعتبر من الشعر الديني من حيث المضمون، هذا من جانب، ومن جانب آخر أن الصوفيين هم رواد شعر المدائح النبوية وخاصة في المشرق والمغرب والأندلس وبلاد غرب إفريقيا، ذلك لأنهم لم يكتفوا بحلقات الذكر المعروفة فحسب بل اتجهوا وجهات مختلفة حيث اتجه بعضهم إلى نشر الدعوة الإسلامية وبعضهم جلسوا معلمين أحكام الدين منهم علماء وخطباء وكُتَّاب، وأخذوا الشعر- خاصة المديح النبوي كوسيلة من الوسائل لبث الدعوة الإسلامية وتعليم الناس مبادئ الدين الجديد. 208

وشعراء بلاد هوسا كغيرهم من الشعراء قد اشتهروا بهذا النوع من الشعر حيث نظموا قصائد كثيرة في الثناء على شمائل الرسول- صلى الله عليه وسلم- ولاسيما في المناسبات الدينية كالمولد النبوي ومولد الأولياء وهدفهم الأكبر هو التماس التقرب إلى الله الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن أبرز قصائد المديح التي تدور حول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم قول الشيخ ناصر كبرا:

وجدت رسول الله أكبر ملجأ * وأفضل موجود لكشف الملمة
لجأت إليه واستجرت بيباه * فطوبى إذن بالمصطفى استجارتي
وإن يئست حالي وضافت مذاهبي * فقد حسنت بالمصطفى استجارتي
أتيت إليكم في ذنوب كثيرة * عسى الله أن يعفو بكم عن خطيئتي.
إلى قوله

مددت يدي أدعوك هيا إليهموا * عليك بهم حالاً همام الفتوة
أسلم من بعد الصلاة على النبي * وآل وأصحاب وسلاك سنة 209
يقول الشيخ أبو بكر عتيق: في مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم
في تائيته التي سماها " النور اللامع في مدح الحبيب الشافع" وهو
الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في مطلعها
يا رب صل على هادي البريات * وصحبه أرباب الهدايات

208 الدكتور علي أبو بكر، الثقافة العربية في نيجيريا، المرجع السابق، ص: 596 .

209 المرجع السابق نفسه، ص: 596.

محمد أحمد المشهور في القدم * وحامد الله محمود السليقات
إلى قوله:-

رسول الله ملحمة وهي الملامح من * أتى بسيف قتال أهل الضلالات
رسول راحتنا من كل متعبه * وكامل الوصف إكليل الوجاهات
مدثر بدثار العز سيدنا * مزمل بثياب اللواقيات
عبد الإله حبيب الله صفوته * نجيه وكليم طاهر الذات
علوم أحواله أغنت لشهرتها * من أن يعرف مع وصف وإنعامات
شرقاً وغرباً وأقطار السماء وفي * الدنا والأخرى وعروضات القيامة
وهو الشهير وشاهراً لأمته * يوم القيامة في وقت الشهادات. 210
والذي ينبغي الانتباه إليه هنا هو أن فن المديح لدى علمائنا
يهتم بمدح النبي- صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وبعض شيوخ
الطرق الصوفية وهذا يرجع إلى حُبهم للتصوف والحياة الصوفية
وشدة شوقهم وحبهم لذاتيته صلى الله عليه وسلم وأهل بيته جميعاً.

الفصل الثالث:

لمحمد الأمم إله يخ أب وبكر عتي قانوديه، هدية الأحباب والخلافة الثالثة دون
ذكر التاريخ ص: 261-262.

تحقيق التخميس

وفيه ثلاث مباحث:

- المبحث الأول:** الصورة العامة لغايات التخميس
المبحث الثاني: تحقيق تخميس محمد بلو
المبحث الثالث: تحقيق تخميس يهوذا

المبحث الأول: الصورة العامة لغايات التخميس

دراسة تخميس محمد بلو

- . الغزل الالهي
- . العتاب والاعتذار
- . مدح النبي صلى الله عليه وسلم
- . ذكر مولده وأخلاقه صلى الله عليه وسلم
- . معجزاته الحسية الصغرى
- . مدحه للقرآن الكريم المعجزة الكبرى القرآن الكريم

. الإسراء والمعراج
. ذكر بيان الجهاد التوسلات والمناجا

الغزل الالهي

الغزل: هو حديث الفتيان وقيل هو اللهو مع النساء، ورجل غزل أي متغزل بالنساء 211. وأن الغزل هو وصف المحبوب وأربى على الغاية في إظهار المحاسن، فمن جعل محبوبه عصمة في الجمال لايمسه نقص ولا يلحقه عيب فهو أغزل 212. ولعل هذا هو السر في وصف بعض الشعراء النساء بالغزاة قمة في الجمال ونهاية في المحاسن، وهما معيارى البردة إذ أن كلماتها دقيقة الاختيار، وبلغت ذروتها في وصف هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم والثناء عليه، وهذا النوع من الغزل الممتد من الغزل العذري²¹³ الذي شاع امتداده من العصر الأموي وهو المسمى بالغزل الصريح حيناً والحسي حيناً آخر وهذا الغزل تشيع فيه حرارة العاطفة التي تصور خلجات النفس وفرحة اللقاء وآلام الفراق وسمي هذا الغزل عذرياً لأن من اشتهر به من قبائل العرب

²¹¹ ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار المعارف، طبعة جديدة، دون ذكر التاريخ والمكان، تحقيق عبد الله على كبير وزملائه، ج / 5 ص: 0 2353
²¹² عباس محمود العقاد، مجموعة اعلام الشعر، طبعة دار المعارف، دار الكتب العربى، ص: 157 .

²¹³ العذري: قبيلة باليمن تسمى قبيلة العذرى اشتهرت بنوع من الحب الذي يعدي إلى الموت لرقة قلبها ولطافة شعورها لذا يضرب المثل بحبها، فيقال حب كحب العذرى، الشيخ إبراهيم الباجوري، حاشية الباجورى على البردة، المرجع السابق، ص: 15.

وهم بنو عذرة، ثم أصبح غزل العذري بعد ذلك وهكذا يسمى كل من سلك هذا المسلك ونهج نهجهم²¹⁴ وقد قويت مظاهر الغزل العذري فارتبطت بالتغيرات الاجتماعية التي طرأت على حياة الناس وارتبطت بواقعهم خلال فترة زمنية طويلة ، ومما يتميز به الغزل العذري روح الصدق على الشاعر العذري، فهو يقنع مستمعيه بحرارة عاطفية وأمانة وصفه لما يعبر عنه من شعور نحو محبوبه فتظهر كلماته الصافية لايلوثها الخداع الاجتماعي والنفاق والمدارات التي قد تكون عند غيره من الشعراء .²¹⁵

وممن اشتهر بهذا الفن عروة بن حزام ، وجميل بثينة ، وكثير عزة وقيس (مجنون ليلة) وقيس بن ذريح .²¹⁶ والغزل في هذا الحال جاء الشاعر ليعبر عن عمق أحاسيسه ووجدانه وغاية ما تثير منه العاطفة وكيف تأثر فيه وعلى حياته. وأما الغرام فهو الحب والعشق وما لا يستطيع أن يتخلى عنه أو لا يطيق حمله²¹⁷ ويعني ذلك دوامة الأمر والإلحاح فيه والتعلق به تعلقاً كبيراً والأبيات عبارة عن إظهار البث والشعور بالغرام لما في وعاء القلب حين أظهرته وشهده غيرك²¹⁸ الفكرة المعتبرة في هذه الأدوار تتمثل في عدم الوصول الحبيب إلى دار الأحبة وقاصى من أجل ذلك المصاهرة وألم القلب والبكاء المستمر .

ويظهر في الأدوار الخمسة كيف شرع الأديب بنداء ووصف المنادى بالمصاهرة وعدم النوم في الليل ووجدان آلام في القلب والبكاء حيث ينحدر الدمع من العين مدراراً كالذي ارتكب عملاً

²¹⁴ الموسوعة العربية العالمية في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية ، المكتبة الشاملة ، دون

ذكر الطبع والسنة ، ص : 75 .

²¹⁵ المنتدى الإسلامي ، مجلة البيان ، العدد 200 ، المكتبة الشاملة ، الموقع الوراق ، دون

ذكر التاريخ ، ص : 238 .

²¹⁶ الموسوعة العربية العالمية في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية ، المكتبة الشاملة ، المرجع

السابق ، ص : 78 .

²¹⁷ ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ج 5 ص 3247 .

²¹⁸ محمد بن عبد الرؤف المناوي، التعاريف، تحقيق د0 محمد رضوان الداية، الطبعة

الأولى عام 1410 هجرية دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ج 1 فصل الشين ص: 437.

منكرًا، وأن شدة الحب للنبي صلى الله عليه وسلم جعله يداوم ذكر
ديار أحبته صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة والطيبة
المشرقة، بل وقد أدى ذلك إلى مزج الدمع بالدم أسفًا وألمًا على
الحبيب المحب 0

لقد تظهر في الدور الأول صورة مجسدة توحى بالشعور
والوجدان. وتبعث تحريكاً للعاطفة وهيجاناً للشعور المندفعين
للأديب إثر ما يتلوه نحو هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم. وفي
الدور الثاني أظهر الأديب ما يدور في ذهنه وما يعاني في ضميره
فصنع خيالاً في صورة حقيقة وإن كان نوع أسلوبه بالاستفهام ليدل
على قوة الإحساس وتتسم رياح الحب من ديار فاطمة الزهراء التي
هي بنت النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها وأرضاها فشدة
الشوق لديار الأحبة وأهل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم كأنه
يسجل على الورقة من شدة السير وتقارب الخطوة في السير إلى
المسير ومع ذلك ينشد ويردد كلاماً من أجل تلك الذكريات، وإن لم
تكن بالأسلوب الذي يريد أن يرتل آيات حبه.

استهل الخمس في الدور الثلاثة بنداء الناظم الذي تسهر عيناه
عن النوم لمافي القلب من وجد وألم البعد عن المحبوب والقلق الذي
أبكاه حتى صار كالمجنون طول الليالي. ذلك الناظم الذي شرع هو
يتساءل عن سبب سيلان دموع عينيه، هل من أجل ذكر جيران
مستوطنين بذى سلم أخذت تتدفق العينان بالدموع الحارة لا احتراق
القلب شوقاً للمحبوب؟ أمن تنشق رياح فاطمة كريمة طيبة وتقارب
الخطوة من شدة السير نحو ديار الأحبة ومن ترتيل آيات المحبة من
شدة الذكريات ومحبته الصادقة. وهل من هبوب الرياح من جهة
الكازمة وبروق سطوة النور الذي أضاء الظلام من جبل الإضم هو
اختلاط الدمع بالدم الجاريين من عين وخذ الحبيب العاشق لمحبه.

قام الأديب بتنسيق دور تخميسه ببيت صاحب البردة تنسيقاً
أدبياً ملائماً وأن الشاعر في حال غزله وما يشكوه من غرامه يعبر
جلياً أسلوباً أدبياً رفيعاً، ويعبر أيضاً عن ما يعانيه وما يحسه به
بصياغة فنية دقيقة، كالاستفهام أو التقرير أحياناً وحالة قوة وأخرى
ضعف وحيثاً بكاء وآخر صمت وزمناً سرور وثانى حزن.

1 – ياساهر الليلة الليلاء لم ينم * وأصبح القلب ذا وجد وذا ألم
وظل ذا خلق 219 يبكى كذي لمم* أمن تذكر جيران بذي
سلم

مزجت دمعا جرى من مقلت بدم
2- أمن تنسم ريا ريح فاطمة * ساجلت ورقا على أفنان
دارمة
تشدوا لذكرى فراخ غير ناغمة * أم هبت الريح من تلقاء
كاظمة

وأومض البرق في الظلماء من إضم
3- أراك تظهر سلوانا أخی فمتى * وأين صحوا وهذا الفم ما
صمتا

إن ادعيت سليا لم يكن همتا * فما لعينك إن قلت اكفها همتا
وما لقلبك إن قلت استنق بهم

4- أذرف الدمع فوق الخد فهو دم * والقلب من نار عشق الحب
مضطرم
وتدعي أن ما أضمرت مكنتم * أبحسب الصب أن الحب
منكتم

ما بين منسجم منه ومضطرم
فالدارس لهذه الأدوار الشعرية يتعايش مع الأديب فيدرك
حقيقة ما يعانيه ويظهر له أن الشاعر يتكلم بأسلوب أدبي بلاغي
حيث يناجي نفسه وكأنه يخاطب غيره، إلى متى يا أخي تبين هذا
السلوان وأين التنبّه وفمك هذا لم يسكت عن كلام المحبة وترتيل
الذكربات وإن نسيت أو تناسيت فأنت وشأنك ومالعينيك الباكيتان إن
قيل لهما كفي عن البكاء تمادا فيه وإنزال الدمع مدراراً وما لهذا
القلب إن طلب منه أن يستنق لا يستنق لا يقصد الناظم بامتزاج
الدمع بالدم هنا سوى مجاز مرسل من نوع اطلاق المسبب وإرادة
السبب إذ يريد احتلاط الدمع بحرارة الدم المتدافق في القلب وجداناً.
لأن الدمع سيلانه حاراً يدل على حالة القلب من الاحتراق للوجد
بخلاف سيلانه بارداً. بل فقد بلغ الأمر أن ينزل الدمع فيرى دمماً

والقلب يحترق كأنه أشعل فيه نار وإنما هي نار الحب والغرام ومع ذلك تزعم أن ماتعانيها لايعرفه أحد وهو سر مكتوم وهل يظن العاشق أن كتمان المحبة عن الناس وهو ما بين دمع هائل وقلب ملتهب ممكن؟⁰

وقد أدى الشاعر اهتمامه في هذين البيتين في إظهار دور كل عضو من أعضائه ليبرز أحاسيسه ومشاعره فذكر الفم، والعين، والقلب، والخذ، ثم ذكر بعض الأشياء التي تصف لك حاله، وأنه في زنزارة من الحياة وبؤس من العيش ولا مجال من أن يتنفس براحة وهدوء، فذكر السلوان والصمت، والدمع، والدم، والنار، والكتم، والاضطرام، ولاشك أن هذه من أدوات العذاب سواء في الدنيا أو في الآخرة⁰ وبهذا استطاع الأديب أن يعطيك صورة حية من حاله وجو كدر أسف الذي يعيشه، وكل هذا لتدرك حقيقة الكد والجهد الذي يقاسيه ويمكن أن تشاطره فيما هو فيه⁰ إتيان الأديب بهيئات هيئات يشعر كحكما قاطعاً بأن هذا الحب لا يخفى على أي إنسان ولا ينبغي أن يخفى إلا إذا ركب الجمل قصداً للسفر إلى تلك الديار وهي ديار الأحبة وكم لشاهد تلك المحبة قد أصبح يقيناً ويعني أنه زار المصطفى واتصل بدياره ورأى الآثار التي عاش فيها ولاشك إنها آثار باقية في قلب كل إنسان يؤمن بيوم الحساب، واستمر قائلاً ولولا الحب لما رقى الماء أي لما نزل الدمع على الآثار ولا سهر الليالي لذكر الشجر الطيب الذي يتخذ منه الدهن يعرف بدهن البان²²⁰، والجبل أو الرمح اللذين هما أيضاً من آثار ديار المحبوب صلى الله عليه وسلم⁰

قد أحسن الأديب حسن التصوير في هذا الدور فجاء بعبارات جميلة ملائمة وأصدر حكماً في حقه، واستدل بما لا يخفى واشترط ذلك أن يكون على الجمل، وأظهر بأن الحب منه وإليه يتحتم الشوق والغرام وهذه الكرة والفرقة من أجل حبه صلى الله عليه وسلم بلا جدل ولا ريب⁰ ويبرز الأديب محاسن الألفاظ وجمال المعاني ودقة الصياغة ورصانة الإبداع فقال أن الدمع قد ظهر في وجهك وهو ظاهر على خديك وأنت ضعيف فقدت القوة والعزم وأن علامات

²²⁰ الشيخ إبراهيم الباجوري، حاشية الباجوري على البردة، المرجع السابق، ص: 9.

الصدق فيما تنكر أصبح واضحاً يرى، فلماذا تنكر هذا الحب بعد شهادة العدلين وهما الدمع والسقم أو العدول وهو مدارر الدمع المتتابع والأسقام أياماً وأياماً 0 ثم قال قد ظهر فيك ماتكتمه ظهوراً فصار تحس به بعد أن دام ساتراً، وأظهرت الشوق فيه بعد أن مضى الدهر وأنت في الحزن وكذلك أثبت الحزن ونيران الشوق التي تنتشرها رياح المحبة عند سماع ذكر المحبوب خطين على وجهك خط الصفرة وخط الحمرة لامتزاج الدمع بالدم وأثر العبرة مثل العنم وأثر الضنى مثل مياه البحار وبهذا ظهرت علامات كل ما تنكره في وجهك فأصبح لا يمكن استمرار هذا الإنكار الجدلي 0

من هنا يظهر أن الأديب استطاع أن يستخدم في هذا الدور أسلوب الاستفهام في محله الجميل بحيث يظهر رونقاً أدبياً وأسلوباً بلاغياً جذاباً وكان ذلك التناسق الترتيبي جيداً حيث يعترف الشاعر بمصداقية القول ويثبت نوعية المشاعر والمعاناة وأجاب بنعم صدقت إن الحب عذاب ثم أشار إلى أماكن حساسة التي ينال منها هذا الشعور الغرامى وهو أحشاؤه وفؤاده يحرقه للشوق وأدى الأمر إلى الاعتراف بأنه رجع من كتمان السر الذي كان يخفيه سابقاً، نعم فقد لازم السير ليلاً، والخيال للحب من يحبه فجعله ذلك يتعذب ويخرج من جسده العرق، وهذه دلالة واضحة على صعوبة الحال وإحساس أليم، وهذا هو حال أمر الحب أحيانا تنال منه تليذناً وسعادة، وحيناً آخر آلام وعذاب 0

9- مودة حين فاقت فيه مقدره * حتى بدت جهرة للناس مسفرة

سطحت لأن بها فى الناس مشهرة * يا لائى فى الهوى العذرى معذرة

منى إليك ولو أنصفت لم تلم

10- قد كنت قبل على الكتمان من حذر * عن الوشاة ولم أبرح على خطر

حتى تهتك سر القلب عن خبر * عدتك حالى لاسرى بمستتر

عن الوشاة ولادائي بمنسجم

في البيتين السابقتين أضحى الشاعر يعتذر بأسلوب تحسري بعد أن أدرك أن الحق تبيّن وبات جلياً ولامجال للدوران في هذا الأفق⁰ فأشار بأن المودة فاقت قدرته حتى تبين لونها كاشفة بين الناس وتضحّت ثم دقت في مسمع الناس واشتهرت بين أعينهم معاً، والمعنى أقر للناس ما كان ينكره من أمر المحبة وبعد أن أجاب على هذا الإنكار وكأن السائل لومه ورجع يوبخ السائل في لومه من أمر هذا الحب إذ لامجال للوم في هذا الحب الذي يشبه الحب العذرى²²¹ وبهذا يعتذر نظراً لما بلغ إليه من الجحد والتعب والعشق المميز، وهذا البيان منه إلى الذي يلومه بل ولو أردت أن تكون منصفاً لما ألقيت على لومٍ كبير وبلغ الأمر إلى هذا الحد، واستمر الأديب في البيت العاشر يظهر تأسفه من أن كتمانته في السابق حذره لم يسده عن سماع الوشاة ولم يخرج من الخطر حيث أدى الأمر إلى إظهار خبر القلب وسره فتجلى ما كان يخفيه في داخل قلبه وقد جاوزت إليك سر حال الذي كنت فيه، وأعلم حقاً أن سره لم يكن مستتراً عن المشيعين بين الناس أن يفشي بين الناس بهذا الشكل التأسفي⁰

أجاد الشاعر وأظهر لونه وتمادى بما في صميم قلبه وألقى صورته وظلّ قائلاً أترك تلك النصيحة وإن تراها تنفعني وأنا لست عاملاً بها، وأن قلبي قد شغفه الحب وكذلك السمع الذي يتم الاتصال به عن طريق إلقاء النصيحة قد سد ولامجال لقبولها ثم تمادى الشاعر وكأنه يخشى معاودة النصيحة لترك أمر هذا الحب وإبعاده عن غرامه وأجاد في العبارة المتميزة ليختصم الأمر فوراً. فاستعمل هيهات يزعه لومكم والنفع الذي ترجونه لاينفع وأخلصتم النية في النصح لكن لست أصغي إليه إن المحب عن اللوم في صمم منعدم الاتباع والطاعة، وتركه مافيه وعليه⁰ وهذا من باب حسم الجدل ليستريح الشاعر من تكرار النصيحة وإلا فإن النصيحة يسمعها

²²¹ أي الهوى المنسوب إلى عذرة وهي قبيلة مشهورة باليمن يؤدي بهم العشق إلى الموت لصدقهم في الحب ورقة قلوبهم⁰ وقيل الهوى العذري وهو الحب الذي من شأنه أن يقبل عذر صاحبه عند كل أحد لكونه مفرطاً .

وقد يتلذذ بها فعبر كأنه لا يسمعها بأذنيه إبعاداً للمساءلة وحسماً
للجدل وسداً للمعاودة 0

12 أعجب بحالي في قولي وفي عملي * أظل لا أستفيق الدهر
من زللي

ولم أصح لنذير بعده أجلى * إني اتهمت نصيح الشيب في
عدلي

والشيب أبعد في نصحي عن التهم

ثم ختم الشاعر الدور الأخير بأسلوب التعجب يريد بذلك " ما
أعجب حالي فيه قولاً وفعلاً ولن أبرح هذا الأمر مدى الدهر بل
ولستم أنتم فقط حتى نذير الشيب الذي لا مجال لتكذيبه أو تهمة فإذا
نزل برأسي أعلم أنه قد قرب أجلي ولن أسمع لنصيحته وإنما أتهمه
وإن كان هو أبعد عن التهمة إلا أنني لن أسمح لأي شيء يكدر هذه
المحبة أو يضع حجاباً، وكل هذا الغزل وشكوى الغرام يكون في
حقه صلى الله عليه وسلم وهذه هي مصداقية قوله تعالى "ورفعنا لك
ذكرك" 222.

ركون الشاعر وإلحاحه في حب المصطفى صلى الله عليه
وسلم يدل على بيئته الدينية وحياته العلمية ومكانته الاجتماعية التي
ذكرت في سيرته وشخصيته .

العتاب والاعتذار 223 من هوى 224 النفس 225:

222 سورة الشرح، الآية: 4

223 (التحذير، الهوى، والنفس) فالتحذير من كلمة - حذر - وبابه طرب ورجل حذر بكسر
الذال وضمها أي متيقظ ويأتي بمعنى التخويف. ومنه قوله تعالى " يحذر الآخرة ويرجو رحمة
ربه " أي يخاف عذابها

224 الهوى: محبة الإنسان الشيء وغلبته على نفسه وقلبه؛ ومن هنا يقول الله تعالى: " ونهى
النفس عن الهوى " معناه نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي وعدم الطاعة لله تعالى
"وقيل الهوى: هو فعل ما نهى الله عنه وترك أو امره إيفاءً لما تريده النفس في غير طاعة الله
تعالى ولا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم. ومنه قوله تعالى " أفرأيت من اتخذ إلهه هواه
وأضله الله على علم. " .

225 النفس: من كلمة (نفس) بمعنى الروح ومنه قوله تعالى " وما أبرئ نفسي إن النفس
لأمارة بالسوء " سورة يوسف، آية: 53 أي من الزلل لأن جنس النفس كثيرة الأمر بالسوء
ومعنى: تخويف النفس أو الروح من فعل رزيلة التي قد تعصف بعاقبتها وترغيبها من فعل
مستجدات بها تحسن العاقبة .

الأدوار تتكون من ستة عشر الأول أخذ الخمس بيتي من نفسه الاتعاض، ويناديه نداء التماس اليقظة ويتهمها بالعمى عن سبيل الهدى لعدم احتفاظها بالعهد، لأنها مالت إلى الغي كما لام الناظم نفسه بعدم الاتعاض. وينادي الخمس نفسه بيا أيتها النفس التي عمت وأصبحت من بين نفوس عمت عن سبيل الرشد للغي ولم تحتفظ بالعهد بل صارت غليظة ويظهر حرف النداء (ياء). وانطلق ينادي النفوس التي سدها الهوى عن بصر الحقائق والعواقب لهذه الحياة التي تختم لامفرة بالعدم، وكون النفوس تميل إلى الهوى، أصبحت لا ترى إلا الضلالة هي الهداية والكذب هو الصدق والخيانة هي الأمانة، والسماء هي الأرض، والدنيا هي الآخرة. ثم استمر الشاعر قائلاً إن نفسي قد عمت بل وغالت في المعاصي وأنها بصفتها الأمانة بالسوء لم تتعظ لابنذير الشيب أو العجز والضعف الذين ينال الإنسان بمرور الأيام وبتوالي السنين. وقف وقفة لطيفة انظر كيف مزج الشاعر تخميسة بقصيدة البردة مزج الدم باللحم حتى لا يميز القارئ الفرق المتواجد بين الأصل والتخميس .

1- يامن نفوس عمت والعهد ما حفظت* وعينها أبداً للغي قد لحظت

فإن نفسي قد أعمت وقد غلظت * فإن أمارتي بالسوء ما تعظت

من جهلها بنذير الشيب والهرم

2- أضعت عمري تباعا غوى الشعري * وخضت في كل واد للهوى خطرا
قد اقترفت ذنوبالم تزل تترا * ولأعدت من الفعل الجميل قرى

ضيف ألم برأسى غير محتشم

الدوران المتقدمتان تمثل تواضع الشاعر وزهده وتكشفه في الحياة لذا يتأسف تأسفاً أليماً عن إضاعة العمر وإتباع الغواية، والخوض في كل مخاطر الهوى، اقتراف الذنوب الكثيرة، عدم الزاد بالأعمال الصالحة وأن الشيب في الرأس الذي هو إشارة إلى أن صاحبه قد طعن في السن وأشرف على نهاية المطاف قد حل الشيب

إنظاراً وإشعاراً بأن ما تبقى من العمر ليس إلا قدر استعداد المسافر رحيلته وحمل بضاعته للانصراف فوراً .

وتحدث الشاعر بإعجاب عن صمود القلب في أمر الهوى بعد انظار المشيب وعدم تخوفه بعد التأكد من اقتراب الموت وحلوله، وأن طول الشيب وكثرته في الرأس بل وتغير لون الحياة الأولى من النضارة والفتوة اليانعة إلى المشيب والعجز يكفي هذا أن تكون زاجرة ومخبرة ومنذرة وأضاف الشاعر لو كنت أعلم أي يكون هكذا حالي لما وقرته واحترمته إذ أنني كتمت سري ولكن من الأسف تبين لي أنه لم يكن مكتوماً بل بدا منكشفاً أمام الكل والجميع .

الأدوار التالية تظهر مشهداً جديداً من هذا العمل الخمس الجميل

4- كم قد نصحت لنفسى من بدايتها * ولم تزل تتمادى فى عمايتها حتى عجزت جهارا من رعايتها * من لى برد جماح من غوايتها

كما يرد جماح الخيل بالجم

5- فالجوع بين قوى أركان قسوتها * والذكر يطفؤ من نيران صبوتها

والنفل بالليل يشفى داء نشوتها * فلاترم بالمعا صي كسر شهوتها

إن الطعام يقوي شهوة النهم

ويظهر كيف استعمل الشاعر "كم" لتكثير النصيحة لنفسه منذ البداية على إقلاع المعاصي وتركها ومع هذا كله لم تدع شيئاً منها بل استمرت في عملها صماً وعمياناً وأدى ذلك إلى عجز فضيح من منعها معصية ربها، وصيانتها من المنكرات ثم استمر الكلام بأسلوب كأن فيه يأس ونوع من العجز المرهق ونهاية خاسرة، وكأنه يقول ليتني أتدارك الأمر في أوانه وأقلع عن المعصية في ساعتها وأسيطر على الأوضاع بقوة قاهرة وأستخدم اللجام كما يستخدم في أمر الخيل مع مابه من قوة وغلظة لكن الأمر يكون هيئ عند التحكم عليه باللجام ورده إلى الصواب .

استخدم الشاعر أسلوباً خبرياً وهو يؤكد مصداقية قوله، وكأنه يبين لنا أن من لجام النفس الجوع الذي يهدم أركان شدتها، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم " فعليه بالصوم فإنه له وجاء " 226 ثم بين ثانياً بأن ذكر الله يطفى ويقضي على نيرانها الملهوبة، ومنه قوله تعالى " ألا بذكر الله تطمئن القلوب" 227 وكذلك النوافل بالليل تعالج أمراضها وسرطانها القاتل، فقد ثبت عند أهل الحديث أن الله تعالى ينزل في ثلث الليل الأخير فيقول " من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، ومن يستغفر لي فأغفر له" 228 وموضوعنا معالجة قضايا أدبية لا غير ولكن لتندارك دقة المعالجة وفكرة ثاقبة وشعور قوي فيما يقوله هذا الأديب وما يعبره بقلمه ودواته معاً ثم ختم القول فلا ترد اطمئنان النفس بالمعاصي وهذا لايزيدها إلا تمادياً في المعاصي والاصرار عليها، واستدل بأن أكل الطعام لايزيد إلا قوة في زيادته وكثرته في البطن .

فقد أصدر أديبنا أمراً صارماً نسبة للنفس وهوها فقال: إلزم جهاد النفس، وهو أصعب الجهاد في حياة الإنسان ثم في نفس الوقت حذاريك أن تتكاسل في أمر جهادها وإذا تركتها عما تعودت عليه من أمر هواها فصار هناك تعب، وملل، وكسل، وصعوبة، في إرجائها وعند ذلك حصلت المصيبة لأن كثيراً ما بنشاط جهادي وتهذيب نفساني تنس النفس هواها وتستقيم على فطرتها ورشدها، ثم حُتم البيت بمثال واقعي مجرب كون النفس كالطفل إن تركته على حب الرضاع والمألوفات تمادى فيه ولا يعيش إلا به، وإن أفطمته ينفطم فكذلك النفس إن تركتها على المعاصي دامت على حبه وشغفت عليه حباً. يقول الشاعر.

7- ورائها الذنب فاجهد أن تجليه * وحظها اللهو فاحرص أن تخليه

226 شرف الدين النووي، صحيح مسلم، المطبعة المصرية الأزهر، 1347 هـ 1929 م. ط 1،

ج 1 ص: 266.

227 سورة الرعد، 28.

228 شرف الدين النووي، صحيح مسلم، المرجع السابق، ص: 220

واهدم هوى إن أرادت أن تعليه * فاصرف هواها وحاذر أن
توليه

إن الهوى ما تولى يصم أو يصم
8- ولا تكن غافلاً فالنفس ظالمة * تلهو نهاراً وطول الليل
نائمة
رضها لتتقاد كرها وهى راغمة * وراعها وهى فى الأعمال
سائمة

وإن استحلّت المرعى فلا تسم
9- فإنها لم تزل للغى ما نائلة * ولم تزل قط فى الأزمان
غافلة
كم أطعمتك سموم البيش جاهلة * كم حسنت لذة للمرء
قاتلة

من حيث لم يدر أن السم فى الدسم
10- إذا تخليت عن حرص وعن طمع * ونلت زهداً من
الدنيا على ورع
فاحذر فإن لها مكرًا على خدع * واخش الد سائس من
جوع ومن شبع

فرب مخصصة شر من التخم
يبدو أن هذا الشاعر ملم بأحوال النفس وطبيب لتلك المضغة
الخطيرة، فالقلب من أصعب الأمراض دواءً وأشدّها خطورة وقد
ثبت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل " ألا إن
فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد
كله ألا وهى القلب" 229 ومن هذ المنطلق تدرك هذه الخطورة بكل
معانيها ومحتوياتها الجدية والفنية، ومن هنا أيضاً استمر الشاعر
بإصداراته الترتيبية مشيراً بأن الذنب يغشها واللهو يعجبها، فالنفس
ظالمة تقضى النهار لهواً وتجتاز مسافة الليل نومًا، ولا سبيل للعلاج
إلا بإرغامها على الصواب كرها، وإلزامها قهراً، إذ أنها دائماً تميل

²²⁹ ابن حجر العسقلاني، (الإمام) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية، رقم
1900، ج1/ص: 137، دون ذكر التاريخ والطبع.

إلى الضلالة، وثم هي لاتخلو من الغفلة والانشغال، وكم أطعمتك
سُمًا قاتلاً وأنت لاتدري وزينت لك لذات تقتلك وأنت لاتشعر ولا
تدرك فضلا من أن تحس بها، ثم ذكر الشاعر في البيت العاشر
حقيقة الدواء وكل هذا لا يضر إذا تخليت عن حرص الدنيا وعن
طمع شهواتها واكتسبت زهداً فراراً لدينك وورعاً لصيانة أعمالك
الصالحة وتحذرت من مكرها وخداعها وهما سلاحان للقضاء عليك

واخش كذلك الدسائس من جوع كالحدة وسوء الخلق، وعدم
الالتزام بالحلال، وتجاوز الحدود إلى المحرمات والدسائس من
شبع الكسل وحب الراحة والميل إلى عدم العبادة، وهي مفسدة
عظيمة فكم من الجوع أشر من كثرة الأكل لما يلي ذلك من مفسد
متنوعة وعواقب وخيمة ونهاية يعترىها الويل والثبور .

وتدبرت قول الشاعر يظهر صورة أدبية أخرى فيها جمال المعاني
المستهدفة للقارئ وتنسيق فقرات البيت الخمسة وترتيبها ترتيباً
دقيقاً بحيث أصبح جزءاً لا يتجزأ عن أصل البردة موسيقياً وونغماً
وقافية، شكلاً، ومضموناً. وتلك إصابة لعمرى تستحق ثناءً ومجداً
لأصالتنا المجيدة وتاريخنا المشرق لحضارتنا السابقة والقادمة لهذ
التراث العظيم .

11- وذكر مجالس آثام وقد خبأت * وكل جارحت بائت بما
خطت

وكلها من سقام الجرم ما برئت * واستفرغ الدمع من
عين قدامتلت

من المحارم والنرم حمية الندم

12- واحذر عوائق من دنيا وكن فهما * وازهد فبالزهد يرضى
كل من سلما

وجانب الناس بالأوقات مغتتما * وخالف النفس والشيطان
وعصهما

وإن هما محضاك النصح فاتهم

13- إن العوائق قطاع لمن فهما * فلا تثق منهم إلا ولا
قسما

لاسيما النفس والشيطان فارعهما * ولا تطع منهما خصما
ولا حكما

وأنت تعرف كيد الخصم والحكم

14- للحب برق وما أنا فيه من زلل * وبني سقام أطب
الناس من علل
أقول قولاً بلا فعل كذى قبل * أستغفر الله من قول بلا
عمل

لقد نسبت به نسلاً لذي عقم

15- إني وعظتك وعظا ما اتعظت به * أيقظت قوما وإني
غير منتبه
أقول قولاً وبني قولاً بموجبه * أمرتك الخير لكن ما
أتمرت به

فما استقمت فما قولي لك استقم

16- والنفس ما فتأت إلى اللآن غافلة * والسير جد ولما
ألق راحلة
ولم أحصل لبعده السير زاملة * ولا تزودت قبل
الموت نافلة

ولم أصل سوى فرض ولم أصم

فقول الشاعر خبأت، وخطئت، وبرئت، وامتألت قافية ذات
إيقاع نغم واحد وهذا يدل على الدقة في التنسيق واختيار الألفاظ
المناسبة، ومن ناحية المعاني الجميلة تشهد ذلك جلياً في قوله
وإرشاده بمحاذرة العوائق من الدنيا وبالزهد تنال السلامة وباغتنام
الأوقات تكسب الخير ومخالفة النفس والشيطان تصل إلى بر الأمان
ولاشك إن هذه الجزئيات تعطي الإنسان نشاطاً قلبياً وتحريضاً نفسياً
جميلاً وخاصة في الوقت الراهن .

وأن في الحب لمحة من البرق ولا ينزلق إليه الأديب فيشغله
عن آخرته ثم رجع الأديب فجاء بأسلوب متغير وكأنه التفات إلى
الحقائق، فإذا هو يقول وبني سقام ومرض ولكن مع ذلك أطب
الناس من مرضهم وعللهم بدلاً من أن أهتم بنفسي في معالجة
أمراضي وأسقامي واستخدام الأدوية المناسبة لي حتى أكون شافياً

سليماً معافاً ثم أضاف قائلاً وكأنه يعاتب نفسه ويلومها على قصورها وفتورها عن أداء الواجب وإقامة الفرائض فتمثل كأنه يقول قولاً ولا يعمل في الماضي ولا في المستقبل واستغفر الله من هذا الفعل وهو القول بلا عمل وهذا عمل الصالحين واستمر الشاعر في ملامة نفسه، أنه وعظ الناس وأرشدهم وهو لم يكن رشيداً، وأيقظ قوماً عن غفلتهم وضلاتهم وهو لم يزل غير منتبه ويقول قولاً في النهي عن المنكر وعليه مثل ما ينهى، أمر بالخير ولم يأتهم به وعلى العموم أنه لم يكن مرشداً مستقيماً على اتجاه صحيح، ثم ختم الفصل باللوم أيضاً على نفسه إلى الآن لم تنزل نفسه غافلة، والمسيرة طويلة، ولم تكن للسير راحة تحمله إلى حيث يسير. فكل ذلك كناية على عدم عمل الخير الذي يكون زاداً له عند الله يوم القيامة، ولم يجد لبعد المسير ما يحمله هو وأمتعته، وصرح أخيراً أنه لم يتزود بالنوافل من صلاة وذكر وقراءة قرآن وغيرها، ولم يصل ولم يصم سوى الفرائض والواجبات دون غيرها .

مدح النبي صلى الله عليه وسلم 230:

230 المدح لغة: مدحه كمنعه يمدحه مدحاً ومدحة بالكسر والجمع مدحٌ أحسن الثناء عليه ونقيضه الهجاء، المدح بمعنى الوصف بالجميل يقابله الذم: بمعنى عدَّ المأثر ويقابله الهجو مدحته مدحا أثنيت عليه بما فيه من الصفات الجميلة خلقية كانت أو اختيارية ولهذا كان المدح أعم من الحمد

الأدوار الأربعة تتحد عضويتها في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم عموماً ويلام الأديب نفسه وينتقد شخصيته تواضعاً وحباً للمصطفى حتى يعبر نفسه بالظالم للسنة المصطفى الذي أحيا ظلام الليل بالصلاة وطلب المغفرة والشكر لله تعالى استهل في قصيدته بلوم نفسه ووصفها بأربعة أشياء كلها عيب بمقامها ولا يليق أن تصحب هذه الأشياء فذكر تعودها بهواها، والكسل، ولم تكتسب بعمل خير إلا الجدل طوال اليوم والليل بل وأنه ظلم سنة المصطفى الذي أحيا الليل بالنوافل وعمل الخير إلى أن ورمت قدماء الطاهرين وقياماً بالليل للتقرب والشكر لله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة .

1 - تعودت نفسى الأهواء والكسلا * أظل طول نهاري خائضاً جدلاً

والليل إن جن سدفا بت منجدلاً * ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى

أن اشتكت قدماء الضر من ورم
2- أظل بين رغيف ناضج وشوا * في ظل قصر هروبا من
ظها ونوا
وما اقتديت بمن وصل الصيام قوا * وشد من سغب
أحشاه وطوى

تحت الحجارة كشحا مترف الأدم

وأما المديح والمدحة بالكسر والأمدوحة بالضم: ما يمدح به من الشعر. لسان العرب ابن منظور المرجع السابق ص: 445 وإتفاق المباني واقتراق المعاني لأبي الربيع سليمان ج 1 ص: 252.

المدح: وهو أيضاً حسن الثناء، يقال: مدحته مدحة واحدة، والمدح مصدر على الصحيح. وقيل المدح هو ما زال يذكر محاسنه ومناقبه ومحامده وفضائله ومكارمه ومساعيه ومفاخره ومآثره ومعاليه ويقال منه مدحه وقرظه وأطره ومجده وزكاه في الدين المآثر ولا تكون المآثرة إلا في الحمد. وقيل مدحته مدحاً من باب نفع أي أثبتت عليه بما هو فيه من صفات جميلة .

واصطلاحاً: هو عبارة عن وصف الرجال وامتداح مزاياهم والتحبيب إليهم والتقرب إلى مقامهم بأحسن أسلوب وأبرع صورة. وبمعنى آخر قيل هو ذكر أخلاق الإنسان الفاضلة والثناء عليه بالجود والكرم، وسمو منزلته ومنزلة أبائه وأجداده وأنسابه وقبيلته ومدح الرسول هو ما قيل في مدحه صلى الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى عترته وشمائله ومحاسن الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. فنون الأدب العربي الفن الغنائي، لسامي برهان ص: 5 والمدائح النبوية عند علماء زاريا، ناصر مرتضى إبراهيم بايرو كانوا المرجع السابق، عام 2001م ص: 25.

3- وهمتى جمع من مال ومن رتب * وما اقتديت بذى
زهو وذى أدب
وقد أتته الدنيا من غير ما طلب * وراودته الجبال الشم
من ذهب

عن نفسه فأراها أيما شمم
4- طابت حلاه وقد نارت بصيرته * والبر شيمته
والزهد سيرته

لم تلتفت قط لدنيا سريرته * وأكدت زهده فيها ضرورته
إن الضرورة لاتعدوا على العصم

ثم استمر الشاعر عاتباً نفسه أيضاً بأنه لم يعلم إلا أكل الرغيف
واللحم الشهى، وكذلك لم يزل في ظل القصور بعيداً عن الشمس
وهجيرها ولم يقتدي بالمصطفى صلى الله عليه وسلم الذي داوم
وحافظ على صيام السنن والفرائض كلها وهو الذي أيضاً سد بطنه
بالحجر من شدة الجوع فربطه عليه الصلاة والسلام في حاصرته
ليخفف ألم الجوع في معدته . ثم تقدم الشاعر في البيت الثالث بنفس
الأسلوب من ملامة نفسه أن همه جمع المال والرتب ولم يقتدي
بصاحب العظمة والأدب في الناس الذي جاءته الدنيا ولم يطلبها بل
وردها فوراً والحاصل أن الجبال من الذهب طالبت به بأن تفنيه من
الفقر ولكنه أبى وأعرض إعراضاً شديداً لمعرفة منه أن ما عند الله
خير له وأبقى خلاف الدنيا الزائلة الفانية وكيف تحاذي الباقية
الخالدة، إذا نظرت إلى هذا البيت وماقبله سوف تلمس انسجاماً كاملاً
لهذه الأبيات بكل معناه اللفظي والمعنوي .

في هذه الأدوار ترغيب في حب المصطفى صلى الله عليه
وسلم لما يزينه من أخلاق حميدة، وصفات مجيدة، وزهد فريد،
وقلب سليم، وتوكل عظيم، الذي يمثل نبوته وزهده وورعه، وقد
ركز خلال هذين البيتين على صفاته وأخلاقه فقوله طابت حلاه
تزينت عينه وتنور بصره وإدراكه أو يكون المعنى سلمت قلبه
ورضيت بحالها للفقر واستنارت بصيرته بمعرفة الأفضلية للآخرة
والصرف عن الدنيا وسرعة زوالها إذ أن طاعة الله من شيمته،
والزهد من أخلاقه، وأن قلبه لم يلتفت إلى الدنيا مرة وأكدت زهده

في الدنيا كما أثبتت وقوعه في الضرورة وأن ضرورة الحياة من فقر وجوع وغيرهما لاتجاوز الأنبياء لكونهم المعصومين .

ثم تطرق الأديب إلى بعض أخلاقه وأن ظنه لله تعالى أحسن ظن وقلبه مطمئن بوعدالله في الدنيا وفي الآخرة ولم يحزن قط فضلاً من أن يأسف عما يعانيه أو فقر نزل عليه، وكيف تنادي بالضرورة وتجده إلى من لولاه لما وجد هذا الكون، ولكانت الدنيا معدومة حسب قول الشاعر:

6- محمد المصطفى 231 الأخيار آل لؤى * محمد منتقى الأبرار
ءال قصي

محمد مجتبي النبلاء كاشف الغي * محمد سيد الكونين
والثقلي

ن والفريقين من عرب ومن عجم

7- داع إلى الله هاد قوله سدد * وفي إجابته يا صاحبي
سعد

والأمر والنهي منه كله رشد * نبينا الأمر الناهي
فلاأحد

أبر في قول لا منه ولا نعم

8- هو الأمين الذي عُلِمَت أمانته * هو الكريم الذي ظهرت
أمانته

هوالمكين الذي عرفت مكانته * هوالحبيب الذي
ترجى شفاعته

لكل هول من الأحوال مقتحم

9- محى غوى الشرك على سلف غيصبه * برى قواه وجرى
رين مثلبه

أتى بدين حنيف غير مشتبه * دعى إلى الله
فالمستمسكون به

مستمسكون بحبل غير منفصم

10- إن النبوة تدرى الشمس في أفق * بل أي مرتبة للخلق لم تفق

إن النبيئين فاقوا كل مستبق * فاق النبيئين في خلق وفي خلق

ولم يدانوه في علم ولا كرم
وانظر في الدور السادس إلى العاشر يظهر ما يقوله الشاعر من نسبه صلى الله عليه وسلم إلى أجداده من أنه ءال لؤي، وءال قصي، وأن الدين الذي جاء به كاشف عن الغواية والهلاك، وهو سيد الكونين والثقلين الأول الدنيا والآخرة والثاني الإنس والجن ثم الفريقيين من عرب ومن عجم، وأنه هاد وداع إلى الله وإلى طريق مستقيم قوله وأفعاله سديدة وأن من أجابه في دعوته فقد فاز وسعد في الدنيا والآخرة وما يصدر منه من أمر ونهي كله رشد وهداية وأنه صلى الله عليه وسلم هو نبينا الأمر الناهي فلا أحد أكثر منه برًا وطاعة إذا قال لا من أن يتمثل بنهي أو قال نعم من أن يتمثل بالطاعة وسرعة الإجابة لله تعالى فيما دعا إليه، ولم يزل الشاعر يمدح النبي صلى الله عليه وسلم من أنه قد علمت أمانته وهو أمين وقد ظهرت أمانته أيضاً وهو كريم وقد عرف مكانته وهو مكين الذي أمكنه الله تعالى وهو الحبيب الذي يرجو كل الناس شفاعته لكل حال يقعون في الدنيا والآخرة، ثم استمر بقوله أزال آثار الشرك والكفر وأخلص أذاه وقادورته وقد أتى بدين قويم لم يكن المشتبه ودعى إلى الله وأن المستمسكين به هم الفائزون الآخذون بحبل الله التي لا تنقطع أبداً.

ثم استمر قائلاً بأن النبوة نورها وضياؤها وبركتها قد فاقت الشمس بل وجعلت في الأفق فضلاً من أن يتساويان في الأمر لا يمكن بكل جزئيات الأمر إذ أن الشمس تنير البلاد والرسالة تنير القلوب والبلاد معاً، ولا شك هذا تصوير فني أدبي عال بل وبمنتهى الجمال والرونق، وهذا الأسلوب جذاب يوحي كفاءة أدبية بأقصاها، اقرأ بقية البيت لتدرك محور قولنا بكل الأحقية وتمكن فيما نقول، وأن النبوة تفوق أي منصب وأي جاه وزعامة في هذا الكون أيضاً هي هذا المنصب والحاصل إن النبيئين فاقوا كل إنسان مستبق في عمل الخير

جاوزوا البشر وإن كانوا منهم في صفاتهم الخلقية والخلقية ولم يقترب إليهم أحد من الناس في علم ولاكرم أو جود سنة الله ولن تجد لها تحويلاً .

قد تحس شعوراً لا يحس به إلا من كان حبيباً له صلى الله عليه وسلم، ولا شك تشاطر الأديب مشاطرة كاملة وقد تتغير أنابيب الدم تغيراً جزئياً وحتى كلياً إحساساً بالمشهد الوصفي الذي يقوم به هذا الأديب بوصفه حتى كأنه يعايشك في تلك القرون التي مضت معايشة حية، وأن الرتبة والعزة كلها منهم وكلهم متساوون في شرف النبوة ومقام الرسالة وإن كان هناك تفاوت بينهم وهذا الكلام لا ينفيه قطعاً إذ أن أولي العزم من الرسل لهم أحقية متميزة ونبينا صلى الله عليه وسلم منهم بل وكل الرسل والنبين يقتبسون من نور المصطفى يقتبسون وينغمسون في بحر منه وكلهم أيضاً من رسول الله آخذون وملتمسون فمن مغترف ومرتشف من مائه الدائم الوجود .

وقد استمر الشاعر بنفس المدح له عليه الصلاة والسلام حيث أن نورَه هو أصل الأنوار ومجدهم وهديه كذلك أصل لما لهم ورشدهم ولعل يقصد تفاوت نوايا الأنبياء، وهم متفاوتون في العلم والحكم وهو صلى الله عليه وسلم فوقهم جميعاً وأن الله اختاره من بينهم وهو سبب تسميته بالمختار ومن المصطفين هذا لاشك سيرته وأخلاقه، وله الوسيلة التي هي منزلة له في الجنة ودرجته فيها، وهو الذي تم معناه من النبوة والرسالة وصورته من جمال خلقه وصفاته الحميدة. ثم بعد ذلك اصطفاه حبيباً له تعالى ولنا معشر الأمة المحمدية فضل كبير وحظ وافر، بأن كنا في زمرة وأمه وهو صلى الله عليه وسلم إنساناً بشراً سوياً وأنه مخصص بمقام من أحسن المقامات وأجملها بل وله الوسيلة ذخراً وفخراً له من خصائصه وأن الوسيلة أو المقام فرد من جواهره ومحافظة له عند الله، وهو صلى الله عليه وسلم منزله أن يشاركه أحد لامن الأنبياء والرسل ناهيك عن بقية الناس، وجوهر الحسن فيه غير منقسم مع غيره لما في ذلك من التزامه له وإن البعض يرون أن يوسف عليه السلام قد أوتي شطراً منه وحتى افتنن به والله أعلم .

وفي مدح النبي جماعة رضوا بما عندهم من أوصافه
المستحقة له ولم يجرمهم الأمر أن يدعوا بما دعتهم النصراني في
نبيهم، والبعض قصدوا المدح بالغلو، كما فعلت النصراني أيضاً
لنبيهم عيسى عليه السلام، فحذر الأديب من ذلك، فقال لا تقصد
المدح له بمثل ضلالة النصراني، وختم البيت بقوله ابتعد واترك ما
إدعتهم النصراني في نبيهم واحكم بما شئت فيه من مدح واقتد آثار
الحكمة والفصاحة التي تليق بمقامه ودرجته صلى الله عليه وسلم .
16- كل الكمال له فانصب بلا سرف* عبارة الخلق عما فيه في
طرف

إن كنت مادحه حثا على نصف* وانصب إلى ذاته ما شئت
من شرف

وانصب إلى قدره ما شئت من عظم
17- أقسمت أن إله العرش فضله* وهو الذي لجميع الخلق
أرسله
لكل مكرمة للخلق أهله* فإن فضل رسول الله ليس
له

حد فيعرب عنه ناطق بضم
18- آياته أفخمت من حجه خصما* وأخرسته قولي عنه
منحزما
وأنها قطرة من غيثه ديما* لو ناسبت قدره آياته
عظما

أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم
19- ودينه السمع دين غير مشتبه* وهديه الهدى حقا عند
منتبه
فاسلك طريقته راض بمذهبه* لم يمتحنا بما تعيا
العقول به

حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم
20- نور من الله سد الأفق وانتشرا* ورحمة أرسلت للناس
فاعتبرا

وعروة الله للثقلين خير عرى * أعياء الورى فهم
معناه فليس يرى

فى القرب والبعد فيه غير منفحم
ومن قرأ الأدوار يتمتع الشاعر بمدح الرسول صلى الله عليه
وسلم ذكر بعض صفاته وأخلاقه حيث انطلق يقول كل صفات
الكمال التي لا تتصف بصفات الخالق، وكل صفة كمال المروءة
والأخلاق الفاضلة وحسن السيرة والخصال الحميدة وانصبها إلى
النبي صلى الله عليه وسلم مادامت ليس فيها شرك، وأيضاً أن كل
نبي لا يليق له في حقه البرص، والعمي، أو أن يكون أخرس أو أبكم،
أو مجنون، وهذا معنى الكمال الذي يليق به صلى الله عليه وسلم أما
حقيقة الكمال فلا يليق إلا بالله تعالى لذا في قوله قال فانصب بلا
سرف أي بلا غلو في وصفه صلى الله عليه وسلم، وجمال الخلق له
في غاية من الجمال والرونق وحسن المنظر وإن كنت مادحه
فارغب وحاول التوسط بين الغلو والإفراط وأنسب إلى ذاته صلى
الله عليه وسلم ما شئت من شرف وعلو منزلة وأنه يحتل مكاناً عالياً
بين الأنبياء والرسل لرفعة قدره وعلو مكانته بين الخلائق جميعاً .

ثم أيضاً اذكر ما شئت من قدره وعظيم خلقه وجميل سيرته
وتواضعه كل هذه من سمو قدره وعظيم مكانته الذي اختاره الله
تعالى له قال تعالى " ورفعنا لك ذكرك" 232. وفي البيت تماسك
لكافة وحداته فيدل على القدرة العالية لصاحب التخميس وانسجام
المعنى المطلوب إنسجاماً حقيقياً لفظياً ومعنوياً. وقد تقدم الشاعر
بالقسم يقسم أن إله العرش فضله ثم أرسله لجميع الخلق وبكل كرامة
ومعجزة أهله حجة للخلق كافة بل فإن فضله وميزته صلى الله عليه
وسلم ليس له حد ولا حدود فيحدده الناطق ويرتله المتكلم بالفم .

وأن آياته فاقت وجاوزت كل من جادله ونازعه في أمر
الرسالة وظهر الحق أمامه ظهوراً قاطعاً لامرد له في ذلك حتى
جعلته كالرجل الأخرس الذي لا يستطيع الكلام وجزم عن جدله
وخصومته ورفضه عن قبول الحق مع فيضان الحجة، وقوله " أنها

قطرة من غيظه ديما " الضمير يعود إلى آيات من كثرتها كقطرة ماء لا شك أن هذا تشبيهه بليغ وقد بلغ الأمر ذروته، وأيضاً أن قدره صلى الله عليه وسلم فوق آياته إذا وباسمه يحي الميت بعد أن كانت عظامه بالية حين يدعى، ويريد الشاعر أن يظهر قدر ممدوحه ودرجته العالية وما يكمنه فيه من شرف وعلو منزله عند الله تعالى وكل آياته ومعجزاته وحتى بعض الرسل قد أثبتوا ذلك في بعض الكتب السماوية المعروفة

فإن دين محمد صلى الله عليه وسلم دين السماحة لاتعتريه الشبهة أو المشقة والكلفة وأن هديه حقاً عند كل عاقل منتبه غير مغفل، فلما ذكر الشاعر هذه الأشياء ثم استمر وهو يدلي بنصيحة منه إلى السّامع أو القارئ أو هما معاً كي يسلك هذا السبيل مؤمناً وراضياً بهذا لدين الحنيف وأنه صلى الله عليه وسلم ولم يبتلينا بخطاب منه لاتتهدي به عقولنا إلى المراد منه حرصاً، علينا فلا نشك أو نعجز فيما أتانا به ولانهمم فيه وذلك لشدة رغبته لنا في هدايتنا، وأنه صلى الله عليه وسلم نور من الله انتشر في آفاق المعمورة وعم العباد والبلاد وأنه رحمة أرسله الله للناس فليعتبر المعترف وأن رسالته حبل شديد الوصل بين الخالق والمخلوق لكل من الإنس والجن وقد فاز كل من تمسك به، وقد أعجز الناس كافة فهم معناه، ولعل هذا اصطلاح مجازي، ولكن معناه الحقيقي أنه بشر قال تعالى "قل إنما أنا بشر مثلكم" 233 ولا ننسى أن الشاعر يمدح ممدوحه في هذا الفصل ويرغب ويحرض الناس على ذلك وأما إدراك معناه فلا أحد يرى ويشهد لقرب زماني ومكاني والبعد كذلك زماني أو مكاني إلا ظل سائلاً عن حقائق معناه وفضله صلى الله عليه وسلم.

عمد الشاعر إلى بيان كنه النبي عليه الصلاة والسلام فمثله بنور الشمس حين تظهر، ولا يستطع الإنسان مداومة نظرها مع مالها من بعد، فقال إن النبي تراه منيراً وينشر فيه نور النبوة وخاصة عند ما يصعد إلى السماء ولعل هذا يكون عند مسيرة الإسراء والمعراج وأن أعين الناس لاتقدر إلى نظرتة كأنها في

رمد ومرض وشبه الأمر بالخفاش الذي لا يستطيع النظر في ضوء الشمس، ولا يتمكن له التجول في النهار ناهيك عن طلب المعيشة .
ويقول الأديب في ممدوحه حيث جعل آيات الله تعالى هي أخلاقه صلى الله عليه وسلم وهذا يعود إلى قول عائشة - رضي الله عنها - في تفسير قوله تعالى: { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ 234 } : ((كان خلقه القرآن)) . 235 وأن الهدى الذي جاء به فهو طريقه وكان أنسه في الغار وغيره ومناجاته مع الله تعالى رفيق حياته وقد التزم ذلك طوال حياته، وكيف يدرك حقيقته في هذه المعمورة أناس وهم تسلوا واكتفوا بالحلم دون النظر إلى حقيقته، ورسالته، ونبوته، وهديه، وسلمه، وحربه، فهذه الأشياء هي التي تعطيك حقيقة صورته صلى الله عليه وسلم ثم استمر الأديب بذكر بعض الأعضاء التي بها قد يدرك الإنسان حقيقته، فإذا عجز فليعلم أنه عجز على الإطلاق، فذكر العقل، والفهم، والعلم، وإن لم يكن عضواً وقد حار، وولى، وكل هذه تدل على الدنو وعدم الوصول إلى حد الكفاية لإدراك هذا الممدوح إدراكاً حقيقياً، قد صار العقل في المغامرة، والفهم في الانكسار، والعلم أصبح منكدرًا، وأن مبلغ العلم أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم .

وقد استطاع الشاعر أن يسجل تشبيهاً بليغاً في إظهار وصف ممدوحه بقوله شمس الهدى قد بلغ الغاية في أمور عجائبه ثم أسند بعد ذلك تشبيهاً مرسلًا بقوله أن الرسل جاءت (كفجر في مراتبها) وأنه (له الوسيلة) التي هي درجة أو منزلة في الجنة (حقًا وصلى الله عليه وسلم هو صاحبها) وأن الأنبياء به تم جمال مواكبهم في مسيرة النبوة ومنه نالوا رضى الله، بل والحاصل أنه شمس فضل وسائر الأنبياء هم كواكبها، ومن هنا نشم رائحة التلميح من الشعراء الذين سبقوه كقول أحدهم (فإنك شمس والملوك كواكب) 236 ثم

234 سورة فصلت: 6

235 عبد الرحمن بن حمد العباد البدر، من أخلاق الرسول الكريم، الكتبية الشاملة، قسم السيرة، ص: 21. دون ذكر التاريخ والطبع .

236 هذا قول نابغة الذبياني وهو يعتذر للنعمان فهو صدر البيت وعجزه (إذا طلعت لم يبد منهن كوكب) أحمد الإسكندري وغيره، المفصل في تاريخ أدب العربي ج 1 وزارة المعارف العمومية دون ذكر التاريخ، ص: 81 .

استمر ببيان أن الشمس تظهر أنورها للناس فينكشف الظلم، كماكشف بنور الرسالة ظلام الكفر والجهل معاً، فأصبح نور الإيمان وضياء فجر الإسلام يعم العباد والبلاد .

1- كانت كواكبها جندا له مددا * لكل سار هدى فى قصده
رشدا
منها استمدت لما أسدت به سددا * حتى إذا طلعت فى الأفق
عم هدا

للعالمين وأحييت سائر الأمم 237

لقد أدخل المؤلف زيادة بيت في التخميس ومضمون البيت وصف الرسل بالكواكب وهم بمثابة جند وعون ومدد له صلى الله عليه وسلم وكل منهم أصبح هادياً ومرشداً في حد ذاته وهو ما يريده ومن هديه صلى الله عليه وسلم انتشر حتى عم الآفاق للعالمين بعد الطلوع وأحيا به سائر الأمم .

25- له المكارم فى التعداد تتسق * ومن سنا بشره قد أشرق
الفجر
من حسنه البدر جلى وانجلى الفسق * أكرم بخلق نبى زانه
خلق

بالحسن مشتمل بالبشر متمم

26- بل من سنا وجهه بدر التمام خفى * كفاك فى مدحه المتلو فى
الصحف

ما أحسن القول من شاد فقل وصف * كالزهر فى ترف والبدر
فى شرف

والبحر فى كرم والدهر فى همم

27- فإنه الفرد حقا فى رسالته * كأنه البدر باد وسط هالته
كأنه الليث يخشى من بسالته * كأنه وهو فرد من
جلالته

فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

لاشك أن من قرأ الأبيات السابقة يجد فيها غاية فى الجمال والرونق، وفصاحة اللسان وجذابة الأسلوب، حيث تدق نغمات،

وترن الألفاظ بكل عذوبة وحلاوة، وله من المكارم تتسق بعضها مع البعض لما بلغ ذلك ذروة في الحسن وقد أدى الأمر بانطلاق نور الفجر وشروق ضوئه، وكذلك من حسنه ظهر ضوء القمر وجماله، وانتهى معالم الفسق وظلامه، ثم انطلق يدعو ويتضرع إلى الله بأن يزيد الكرم في خلقه الذي زانه خلق النبوة، وطبيعة الرسل، فقد حوى كل أطراف الحسن واشتمل طلاقة وجهه وبشاشته ليعم الخير لمن أرسل إليهم بل وقد ذهب الشاعر إلى أبعد من هذا وهو قوله أن البدر الذي بلغ تمامة يوم الرابع عشر قد خفى نوره بالمقارنة بوجه المصطفى، ولاشك هذا صحيح إذ أن نوره أضاء هذه المعمورة بأكملها وعمت هدايته آفاقها بل ويكفيك مدحه المتلو في القرآن الكريم " وإنك لعلی خلق عظیم "238 وما أحسن القول الذي أجاد في مدحه وأنه صلى الله عليه وسلم كالزهرة في غلاف والقمر المنير في شرف، يا لهما من الغاية في الحسن والجمال والرونق، وأنه كالبحر في الكرم والجود، وكالدهر في العزمات والحوادث، والعرب يشبهون هذا لما في الدهر وأيامه من الحوادث والوقائع .

ولم يتوان الشاعر في تسجيل أغراضه وأهدافه وعمق أحاسيسه الداخلية التي أصبحت خارجية على رغم أنه في المقطع الأول حيث شبهه بالفردية في الرسالة وفي الثاني البدر وسط بهجته والثالث بالليث في الشجاعة والبسالة، والرابع أنه وحيد في الدرجة والقدر حين تراه بكل هيبه ووقار في وسط جيشه وخدمه .

وأما البيتين الأخيرين فقد أجاد الشاعر فيهما وأحسن القول وركز تشبيهه للنبي صلى الله عليه وسلم في نوره وضيائه وإشراقه نور الرسالة وضياء النبوة، فشبهه بالبدر في الضياء وكالسراج في الغرفة، كيف يسطع نورهما وينتشر ضياءهما ويكشف الظلام وإذا تكلم كأنه مبتسم فيألفه الناس ويحبونه بل وأن نورانية ذاته كاللؤلؤ المخبوء في صدف حين الكلام والبسمة، فقد أثار هيجان الحب والشوق معاً في صدر الحبيب لحبيبه الممدوح اسمع إليه ما يقوله:

29- من لى بزورة مغناه فالزومه * من لى بزورة مأواه
فأخدمه

وإن أثم تراه ثم أئتمه * لاطيب يعدل تربا ضم أعظم
طوبى لمنتشق منه وملتثم

عند نظر لهذا المصرع وتدبرك له سوف تحس ملامح الحب
والشوق الشديدين المنبتقين من صدر الشاعر لأنه يريد أن يغطي
كل الفراغ الذي يراه ناقصاً في إيفاء المحبة وتخفيف النار الملتهبة
في صدره وأعماق قلبه ولذا انطلق قائلاً أين لى بزيارته فالزومه،
وكيف لى بزيارة داره فأخدمه، وثم أراه فأكون لثاماً له، يا ليت هذا
التعبير الصادر من أعماق قلب الأديب إظهاراً لشوق، وتفجعاً
بالضمير، وغاية في الخيال، ولاطيب على وجه هذه المعمورة يعدل
تلك التربة التي بها وري ذات المصطفى صلى الله عليه وسلم
وطوبى للذات والتربة، لعمرى إنه كلام ينبغي أن يكتب بماء الذهب
ويعلق على الجدار إكراماً له وإجلالاً.

ذكر مولده 239، وأخلاقه:

قبل الانطلاق في هذا الموضوع يلزم بكل جدارة وضع
صورة مختصرة لتاريخ مولده صلى الله عليه وسلم. في عام الفيل
وفي شهر ربيع الأول الذي أصبح يعرف بربيع الأنوار، من ليلة
الاثنين الثاني عشر منه طلع فجر النبوة المحمدية. هذا الذي عليه
أكثر المؤرخين للميلاد النبوي السعيد 240. ولد سيد المرسلين
بشعب بني هاشم بمكة بعد أربعين سنة خلت من ملك كسرى
أنواشروان، ويوافق ذلك العشرين أو اثنين وعشرين من شهر أبريل
سنة 571م حسبما حققه العالم الكبير محمد سليمان المنصور
الفوري. 241

239 الولادة: يقال ولدت المرأة ولاداً و (ولادة) وأولادة أي حال ولادها والمولد الموضع الذي
ولد فيه وهو مصدر الميمي يصح لأن يراد به الولادة أو زمانها أو مكانها. وميلاد الرجل: اسم
الوقت الذي ولد فيه. حرم الولادة". وهو ما تولده المرأة بعد الحمل من ذكر أو أنثى أو هما معاً
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: " الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة".

240 أبو بكر جابر الجزا نري، هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يامحب، طبعة دار
الشروق جده، ص: 61.

241 صفي الرحمن المباركفوري، رحيق المختوم، طبعة دار القلم، بيروت لبنان، ص: 43 .

فإن مولده عليه الصلاة والسلام وأخلاقه يعد من أكبر الأحداث في تاريخ البشرية في هذه المعمورة، الآيات الباهرة والمعجزات القاطعة والبرهان الخالد قد أحاطت بذلك الحدث الوجودي لخير الخلق على وجه تربة المعمورة جمعاً، سجل الأديب الحدث التاريخي مجسداً وهو يقول:

1- أبان مظهره من عظم معجزه * كما أبان لنا من عظم مظهره
أطاب أصلاً وفرعاً طيب جوهره * أبان مولده عن طيب عنصره

يا طيب مبتداً منه ومختتم
2- يوم أبان مناتهم وجنهم * أنار للناس طراً مع جنهم
يوم به ثل عرش قد أكنهم * يوم تفرس فيه الفرس أنهم
قد أنذروا بطلول البؤس والنقم
3- يوم رمى ما بذات القوم ما يرع * وأيقنوا أن أحداثاً بهم تقع
وسار كسرى على كمد به جزع * وبات إيوان كسرى وهو منصدع

كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
4 قد عرفوا بسقوط من على شرف * لما تساقط في إيوان من شرف
وقد تخلت جنان الخلد في ترف * والنار خامدة الأنفاس من أسف

عليه والنهر ساهي العين من سدم
وكل من يرتل هذه الأبيات يشعر ويحس معاً بأن الغاية في إظهار مولد النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغت أقصاها، وأن صورة المعجزة لوجوده تكمن في عظمة الحادثة وأن أصله وفرعه من تاريخ نسبه الشريف الذي يتصل بإبراهيم على وجه الصحة وبنوح على وجه الشك وبآدم عليه السلام على اختلاف الأقوال.²⁴² ومعجزة أخرى هي ما ظهر وتبين لأصنامهم

²⁴²عبدالمك بن هشام المعافري (ابن هشام)، السيرة النبوية، دار الغد الجديد المنصورة الطبعة الأولى 2003م ج1ص:5

وشياطينهم واتضح ذلك لهم وكذلك من المعجزة عن مولده صلى الله عليه وسلم أن أهلك الكفار وأذهب ملكهم بعد أن كانوا في وكنات العرش لملكهم وتفطن الفرس أن مولده صلى الله عليه وسلم إنذار لهم بسوء العاقبة وحلول العقاب عليهم، ثم وقد أيقنوا أن أحداثاً مؤلمة تحل عليهم وأصفة الهلاك تأصف بهم في نهاية المطاف، وليس هذا فحسب، وحتى كسرى أصبح في هم وغم، ومن أكبر الآيات أن جدران قصر كسرى 243 قد انصدعت لتكون آية من آياته صلى الله عليه وسلم، وأن قوة جيوش كسرى غير ملتزمة، ومن آيات ولادته أيضاً خمود النار المشتعلة طول الدهر، وهي نار كانت يعبدها الفرس ولم تخمد قبل تلك الليلة بألف عام وقيل ألفي عام 244. وكذلك الماء، هناك مشهداً آخر من دلائل النبوة المحمدية الفريدة من نوعها عبر تاريخ الأمم في هذه المعمورة عند ومن ذلك قوله:

5- سارت قريظة أن حرقت بريرتها* وساءها أن ترى يبسا
خُصيرتها
وستبدلت برخاء بؤسا دويرتها * وساء ساوة أن غاضت
بحيرتها

ورد واردها بالغيب حين ظمي

في هذا الدور بيان معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ومن أصناف المعجزات الباهرة له صلى الله عليه وسلم هو أن سارت قبيلة بني قريظة وهي من قبائل اليهود التي تبرز عداوتها للنبي صلى الله عليه وسلم أن حرقت حقولها لثمار وساءها أيضاً أن ترى ديارها مخرب ويابسا وليس هذا فحسب بل قد غيروا نعمة العيش التي كانوا يتنعمون بها في ديارهم ولعل هذا يرجع إلى مؤشرات النصر التي سينالها النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدومه، وأن رسالته تفوق كل الرسائل السماوية وتبقى خالدة على وجه الأرض طراً .

²⁴³ ملك كسرى هو: أنواشروان بن فيروز.

²⁴⁴ إبراهيم الباجوري، حاشية الباجوري على البردة، المصدر السابق، ص: 42.

ثم استمر الشاعر يعلن هذا الميلاد العظيم، ويبشر العالم بقدم
الخير له، وإنه بداية النور ونهاية الظلام، فجر للإسلام وزهوق
للباطل وسعادة للعباد والبلاد .

7- بشائر الحق للأهواء وازعة * أخبار أخبار بالميلاد
شائعة

شوارق الحق للأبصار طالعة *والجن تهتف والأنوار ساطعة
والحق يظهر من معنى ومن كلم

8- لكنهم بهما حقا عمى وصمم * فأنكروا الحق والبرهن
حين نجم

لم يهتدوا والهدي كالنار فوق علم * عموا وصموا فإعلان
البشائر لم

تسمع وبارقة الإنظار لم تشم

الحدث التاريخي العظيم لمولده صلى الله عليه وسلم هو من
بشائر الحق المعروفة، وأن أخبارهم وحتى رهبانهم انتشر فيما بينهم
أمر ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم والعيون صدقت بضياء الحق
أنها طلعت، وليس عالم الإنس فحسب، وحتى عالم الجن يهتفون
بقدمه، وقد ظهر الحق حساً ومعنى الله أكبر والله الحمد، ومع ذلك
كذبوا وتولوا ولم يهتدوا إلى ذي العرش سبيلا، وعمّ بصرهم وسدوا
آذانهم وأنكروا الحق، وتولوا عنها بعد أن كان كالنار فوق العلم من
شدة الظهور .

في الأدوار التالية يظهر الشاعر حقيقة إحداهم هؤلاء القوم وما
قاموا به ضد النبي صلى الله عليه وسلم من حرب ضروس
وخاضوا عداوة عليه وعلى رسالته منذ ولادته إلى يومنا هذا:

9- كم هاتف سمعوا فصعت بواطنهم * وأركسوا للذي أملاه
خاننهم

وعاندوا الحق والشيطان فاتتهم * من بعد ما أخبر الأقوام
كاهنهم

بأن دينهم المعوج لم يقم

10- من بعد ما سمعوا ما كان في كتب * للأنبياء وتقريراً لكل
نبي

وشاهدوا إذ أتى عجا على عجب * وبعد ما عاينوا فى الأفق من شهب

منقضة وفق ما فى الأرض من صنم
من الملحوظ فى الدورين السابقين ثبوت أنواع من البراهين التى
تقرر شدة عنادهم وكفرهم لهذا النبى وبرسالته الخالدة، وكثيراً ما
سمعوا هاتفاً يهتف بولادته ويصدق بنبوته وما جاء به من الحق
وأوجد ذلك لهفاً فى قلوبهم لما يكثرون من الشر والحق، وقلبوا ما
سمعوا من أمر الإيمان به ووقفوا أمام الحق عناداً وأضلهم الشيطان
عن الحق وكل ذلك بعد ما عرفوا حقيقة الحال من كاهنهم، الذى
يصدقونه ويتبعون قوله لكن بأن دينهم غير صحيح، و تأتى نهايته
بوجود النبى صلى الله عليه وسلم ويبشرهم بقومه. وليس هذا
فحسب، فقد سمعوا أخباره فى كتبهم السماوية مثل: التورات،
والإنجيل، وعاينوا أيضاً شرراً متطائرة ترمى الشياطين الذين
يسترقون السمع، التى تعلن البشارة بولادة المصطفى صلى الله عليه
وسلم كذلك كان أمر الأصنام فى إنقضاى وسقوط فى تلك الليلة
المباركة .

وبعد هذه القضية أتى بقضية رمية صلى الله عليه وسلم
بالحصى من راحتيه للمشركين يوم بدر وهو مصداقية قوله تعالى "
وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" 245.
ويظهر فى الدور الثانى نوع آخر من معجزاته صلى الله عليه
وسلم الذى يرتله هذا الشاعر ويدونه بشكل جميل يدهش العقول عن
إدراك هذا الكنه البشرى .

13 - فى راحتيه ندى للناس يوم ظما * وفيهما النصر والأنكاء
حين رما

كم عسكر لعدو ظل منهزما * نبذا به بعد تسبيح ببطنهما
نبذ المسبح من أحشاء ملتقم

وفى هذا البيت سرد للمعجزة من كفه عليه الصلاة والسلام
حيث نبع الماء من كفه وروى الصحابة حتى رواء، كما كان أيضاً
من كفيه المباركتين رمى بالحصى يوم بدر وتم النصر بإذن الله

على الكفار وأنزل عليهم نكابة من البلاء والعذاب برميه عليهم في ميدان المعركة، ونتيجة ذلك هزم جيش المشركين هزيمة منكرة وفي المصراع احتمالان، الأول احتمال تسبيح الحصاة في كفه صلى الله عليه وسلم قبل الرمي أو فيه احتمال أن النبي سبح بنفسه قبل أن يرمى بالحصى وهذا أي التسبيح يديمه الأنبياء والرسل كما حصل ليونس بن متى في بطن الحوت وبعد تسبيحه نبذه الحوت من بطنه بإذن الله، والله أعلم .

معجزاته الحسية الصغرى 246:

وفي هذا المقام ينبغي أن نذكر أهم معجزاته صلى الله عليه وسلم على سبيل المثال:

1. مدحه للقرآن الكريم المعجزة الكبرى القرآن الكريم " فقد عجز عالم الإنس والجن على أن يأتوا بمثله وحتى لو كان بعضهم لبعض ظهيراً ونصيراً. والقرآن أكبر معجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم " ومن معجزاته عليه السلام:
2. شق القمر
3. نزول المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم.
4. نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم.
5. انقياد الشجرة له صلى الله عليه وسلم.

فقد تبلغ معجزاته ألفاً وقيل ثلاثة آلاف سوى القرآن الكريم فإن فيها ستين ألف معجزة تقريباً. 247

فقد استهل الشاعر بسرد بعض إرهاباته صلى الله عليه وسلم وهي سجود الأشجار له قبل النبوة، وبعدها كما جاء عند أهل السير والمغازي اسمع ما يقوله الشاعر:

كم آية أصبحت لعلاه شاهدة * كم معجزات أتت للخلق واردة
أف لطائفة أضحت معاندة * جاءت لدعوته الأشجار ساجدة
تمشى إليه على ساق بلا قدم

1 المعجزة: هي من قوله (عجزه تعجيزاً) ثبطه أو نسبه إلى العجز (والمعجزة) واحدة (معجزات) الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

المعجزة: اسم فاعل مأخوذ من العجز الذي هو زوال القدرة عن إتيان بالشيء من عمل أو رأى أو تدبير. فالمعجزة هي الأمر خارق للعادة المقرونة بالتحدي التي تظهر على يد نبي مرسل للدلالة على صدق رسالته، وقيل إنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة. وقيل أنها ماخرق العادة من قول أو فعل إذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقتها على جهة التحدي ابتداءً بحيث لا يقدر أحد على مثلها ولا على ما يقاربها .

هي ما يعجز البشر عن الاتيان بمثله فيكون ما يأتي به النبي معجزاً من سائر الناس بحيث لم يقدروا عليه أفراداً أو جماعات لأنه خارج عن طوق البشر واستطاعتهم، فإن قرن بالتحدي كأن معجزة الخاصة بالأنبياء وإن لم يقرن بتحدي فهي كرامة.

247 إبراهيم آل جارالله، بهجة الناظرين فيما يصلح الدنيا والدين، طبعة دارالطبية للنشر والتوزيع، الرياض، ص: 258.

لما دعاها أجابته وما انتشبت * بل أنها عجلا لدعائه انتدبت
وسلمت ثم عادت مثل ما انتصبت * كأنما سطرت سطرا لما
كتبت

فروعها من بديع الخط باللقم

وفي هذين الدورين تتضح ملامح المعجزة وكلها تثبت علو
المنزلة له صلى الله عليه وسلم حيث أن الآيات أصبحت شاهدة،
وكثيرا من معجزاته أتت إلى الخلق لتكون حجة لهم إن صدقوها أو
عليهم في حال تكذيبهم لها فويل لمن كذبوا وعاندوا بعد ما تبين لهم
الحق ومن ضمن معجزاته صلى الله عليه وسلم إجابة الشجرة له لما
دعاها، فتمثلت بين يديه وهي ساجدة بلا ساق ولا قدم، وما تأخرت
بل تعجلت وسلمت عليه، وهذه معجزة أخرى تسليم الشجرة عليه
وعودتها إلى مكانها، ومعجزة ثالثة وكأنها سطرت خطا في وسط
الطريق، وذلك لمشيها المستقيم بلا إعوجاج أو عدم الاستقامة. ومما
ورد عن ابن عمر رضي الله عنهم قال: كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر فدنى منه أعرابي فقال: "يا أعرابي أين تريد؟"
قال إلى أهلي. قال: "هل لك إلى خير؟" قال: وما هو قال تشهد أن
لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمد عبده ورسوله" قال: ومن
يشهد لك على ماتقول؟ قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي
وادعها فإنها تجيبك " فأقبلت تخذ الأرض حتى قامت بين يديه،
فاستشهدها ثلاثا فشهد أنه كما قال، ثم رجعت إلى مكانها. "248
وعند بريدة: نحوه وفيه فمالت الشجرة عن يمينه وشمالها وبين
يديها وخلفها، فتقطعت عروقها ثم جاءت تخذ249 الأرض تجر
مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله فسلمت عليه قال الأعرابي
مرها فلترجع إلى منبتها، فرجعت، فدلّت عروقها فاستوت .

وبعد ذكر معجزة الشجرة انطلق يسرد معجزة ظلال الغمام له
صلى الله عليه وسلم، اسمع وهو يقول:
أضحت ظلاله إليه ثم دائرة * في رفقه نزلت للفيء هاجرة

248 أبي الفضل عياض البحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، للطباعة

والنشر والتوزيع، 1415 هـ - 1995 م بيروت لبنان، ص: 224.

249 المرجع السابق، ص: 225.

واستأثروا بالظلال هوى مكابرة * مثل الغمامة أنى سار سائرة
تقيه حر وطيس للهجير حمى

وبكل تأكيد إن هذه المعجزة التي أشار إليها الناظم لعبارة الألى
الألباب أصبحت الغمامة تظلل النبي صلى الله عليه وسلم بشكل
مستدير، وأن الظلال يرافقه ليقيه من حر الشمس وعذاب الهاجرة،
ولاشك أن دارس هذه الأبيات يدرك حقيقة التحدي لهذه المعجزة ولا
يكون هناك تصرف لأي إنسان بالغمام والتظلل بظلاله والتحكم في
هذا العالم إلا أن تكون معجزة حقاً ومن نبي مرسل. اسمع ما يحكيه
سيدنا ميسرة مما شاهده من معجزات هذا الحبيب صلى الله عليه
وسلم في معجزة الظلال خلال رحلته المباركة إلى الشام، "وكان
مَيْسِرَةً إِذَا كَانَتْ الْهَاجِرَةُ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ يَرَى مَلَكِينَ يُظَلِّلَانِ رَسُولَ اللَّهِ
{صلى الله عليه وسلم} من الشمس فوعى ذلك كله مَيْسِرَةً وكان قد
ألقى الله عليه المحبة من مَيْسِرَةٍ وكان كأته عبداً له وباعوا تجارتهم
وربحوا ضعف ما كانوا يربحون فلما رجعوا ودخل رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} مكة رآته خديجة وهو على بعيره ومكان
يُظَلِّلَانِهِ فَأَرْتُهُ نِسَاءَهَا فَعَجِبْنَ لِذَلِكَ وَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ {صلى الله
عليه وسلم} فَأَخْبَرَهَا بِمَا رَبِحُوا فِي وَجْهَتِهِمْ تَلَكَ فَسُرَّتْ بِهِ فَلَمَّا دَخَلَ
مَيْسِرَةً عَلَيْهَا أَخْبَرْتَهُ بِمَا رَأَتْ فَقَالَ مَيْسِرَةٌ قَدْ رَأَيْتَ هَذَا مِنْذُ
خُرُوجِنَا مِنَ الشَّامِ وَأَخْبَرَهَا بِمَا قَالَ نَسْطُورُ الرَّاهِبِ وَبِمَا قَالَ
الآخر. 250.

وبعد الكلام عن معجزة الغمام تطرق الأديب إلى الكلام عن
معجزة أخرى وهي انشقاق القمر، ومنه قوله تعالى " اقتربت
الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر "
251 ولاشك أنها معجزة خالدة الذكر استمع إلى الشاعر يقول:
سبحان من هو أعلاه وفضله * على جميع الورى طرا وبجله
ورحمة لجميع الخلق أرسله * أقسمت بالقمر المنشق أن له
من قلبه نسبة مبرورة القسم

250 عز الدين بن جماعة الكتاني، المختصر الكبير في سيرة الرسول، المكتبة الشاملة قسم
السيرة - (ج 1 / ص 13)
251 القمر آيه 1

بدأ الشاعر بالتسبيح لئيبه عن جلال الله وعظمته الذي أعز هذا النبي وكرمه وشرفه وفضله، ومجده على كل الورى وأنه تعالى لجميع الخلق من إنس وجن أرسله رحمة للكون طراً، ثم استمر الشاعر يقسم برب القمر ليستدل على جلاله الحدث وهو انشقاق القمر لما سأله أهل مكة أن يأتيهم النبي صلى الله عليه وسلم بالآية فدعا القمر وانشق نصفين، نصف سقط على جبل أبى قبيس، ونصف آخر دون الجبل، وقيل النصف الثاني سقط على جبل الشام 252. ثم أردف الشاعر المماثلة من انشقاق القمر بشق صدر المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذه نسبة متأكدة ولوقسم وحلف بالله تعالى على ذلك يكون القسم مبروراً ولا يكون عليه كفارة. وأهل مكة شاهدوا هذا المشهد العظيم، وحتى في الجزيرة العربية وخارجها مثل بلاد الهند وغيرها. 253 وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اشهدوا " 254

وبعد هذا سلك الشاعر يبرز معجزة أخرى للنبي صلى الله عليه وسلم التي تمس جانباً هاماً وهي حجب الكفار عن رؤيته صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه في غار ثور، وذلك عند الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة المعروفة بيثرب في تلك الأيام اسمع قول الأديب:

عناية الله لاحظة لذي عظم * حقت له سابقاً يا صاح في قدم
ولم يزل من عدو الله في عصم * وما حوى الغار من خير
ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عمي
قد ارتجوا أن ينالوا فيهما عظما * ثم اقتفوا أثره طلباً له أمما

252 إبراهيم الباجوري، حاشية الباجوري، المرجع السابق، ص: 50
253 الدكتور سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، مكتبة الفلاح الكويت، ط 2، 1405هـ

1985م، ج 4 ص: 213.

254 القاضي عياض، الشفا في حق المصطفى، المرجع السابق ج 2 ص: 213 .

لما أتوا عنده ألفوا له عصما * فالصدق في الغار والصديق
لم يرما

وهم يقولون ما بالغار من أرم
رأوا على الغار نسج العنكبوت علا * والعنكبوت أجادت نسجها حالا
بعد الحمام الذي في الغار قد دخلا * ظنوا الحمام وظنو
العنكبوت على

خير البرية لم تنسج ولم تحم
ويبدو هنا ما قلناه من أن هذه المعجزة هي الجسر الوحيد
لإنقاذ هذا العالم كله، ولو نال الكفار هذا الرسول الأمين لبقى هذا
الكون في ظلمة داجية كما حصل لذكريا ويحي عليهما السلام، وإن
عناية الله أزلية الوجود أحاطته ولم يزل المصطفى في عصمة
وعناية ربانية من كيد الكفرة وشر الفجرة، وأن الغار قدحوى كل
صدق هو النبي صلى الله عليه وسلم والصديق هو أبوبكر رضي الله
عنه والكفار عموا وصموا ولا يهتدون إليهما، وقد أرادوا أن ينالوا
منهما شراً بل وقد اقتفوا أثره ليدركوه ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره
ولو كره الكافرون، ولما وصل الكفار إلى الغار أدركوا حفظة من
الله ولم لا! وهو أول الأنبياء وآخر الرسل والنبي في الغار وأبوبكر
صاحبه معه، ولكن الكفار لم يروهما ولا يوجد فيه أحد فيه،
واعتمدوا على أن في الغار نسج العنكبوت وإنها معجزة خالدة
للبشرية" وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر "

255

ومن لاحظ معجزة أخرى من معجزاته الباهرة يعيش معها
لحظة ليتشاطر الأديب لحظة المحبة له صلى الله عليه وسلم ونحس
إحساس الوجدان فيتحرك القلب ويديم الشعور على تلك الأحداث
المثيرة فهذه المعجزة ليس إلا كلام عن الوحي من السماء الذي هو
من أكبر المعجزات ومن هنا يقول الشاعر:

13- قد خص بالشرف العالی على رتب * والوحي يأتي بلا قول

ولا طلب

ورحمة الله يحويه بلا سبب * تبارك الله ما وحي بمكتسب

ولا نبي على غيب بمتهم

ومعجزة الوحي من أكبر المعجزات له صلى الله عليه وسلم إذ إنها مخاطبة الله تعالى رسوله بما يخص أمر الدين والحياة ثم بعدها الجزاء سواء كان بالحسنات أو السيئات فالحاصل أن معجزة الوحي هي همزة وصل بين الخالق والمخلوقات بواسطة النبي الأمي صلى الله عليه وسلم لهذه الأمة، وأن الله تعالى خصه بالشرف والمرتبة العالية وأن الوحي يأتيه بلا قول كما ينطق الإنسان ولا طلب فيكون صعب المنال، وأن رحمة الله تنوط به، وأنها فضله الذي يعطي من يشاء من عباده بلا كد ولا كسب تبارك الله أن الوحي ليس من أمر الكسب كما يزعم الفلاسفة والملاحدة، وكذا ليس هناك نبي بمتهم عن أمر الغيب الذي يخبر الأمة به " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى "256.

ثم انتقل الشاعر إلى ذكر معجزة أخرى وهي تبرئة النبي صلى الله عليه وسلم بمن كسرت رجله ولمن أرمدت عينه بتفل من النبي فعوفي في الحال اسمع قول الشاعر

14- وملجأ الخائفين حي ساحتَه * ومورد يسع الرواد باحته
ولا يزيغ الجوى إلا أراحتَه * كم أبرأت وصبا باللمس راحتَه
وأطلقت أربا من ربة اللمم

وإنه صلى الله عليه وسلم مأوى الخائفين ومغزاهم في سعة داره وفناء بيته، وأنه يسع الرواد، وكثيراً ما يبرئ المريض بلمس يده الشريفة ويطلق المريض حراً بقضاء حاجته وشفائه من عقدة الجنون وغيره، والأمثلة في هذه المعجزة الكريمة كثيرة منها أن عين قتادة أصيبت يوم أحد فردها النبي صلى الله عليه وسلم فصارت أجمل عينيه، وأن محمد ابن حاطب احترقت يده فمسحها بيده الكريمة فعوفي في الحال، وكذلك رمدت عين علي فتفل فيها النبي صلى الله عليه وسلم فشفيت، 257 ومثل هذا كثيراً. ثم خاض الشاعر بالكلام عن معجزة أخرى وهي سقيه صلى الله عليه وسلم

سورة النجم 3 . 256

إبراهيم الباجوري، حاشية الباجوري على البردة، المرجع السابق، ص: 55 . 257

بعض الصحابة دعاؤه عند القحط فسقى الله العباد والبلاد يقول
الشاعر في المطلع :

15- قد بان للكل عندالله حظوته * أروت جموعا من الأظماء
ركوته

كم قد أزاح غشاء الشك رؤيته * وأحيت السنة الشهباء
دعوته

حتى حكمت غرة في الأعصر الدهم

فالشاعر انطلق بحرف التوكيد (قد) ليؤكد ما هو عليه ويقصد
ظهور الفوز والمقام الرفيع له صلى الله عليه وسلم، وأنه سقى
جموعاً من الصحابة بإنائه الجلدي الصغير، وذلك لمعجزة اختص
بها صلى الله عليه وسلم وبكل تأكيد هذه معجزة كبرى والمعجزة
الأخرى هي أنه صلى الله عليه وسلم بدعوته أحياء الله الأرض في
سنة القحط والجذب التي حلت بهم حتى غلب البياض السواد لعدم
النبات وظهور الصحراء القاحلة على البلاد في ذلك الوقت .

انتهى تخميسه لقصيدة البردة ثم زاد بعد ذلك تسعة أبيات
أخرى خمسة. وهذه الأبيات التسعة تعلم وقد أظهر بعد سرد
المعجزة أن اقتداء الرسول صلى الله عليه وسلم سبيل النجاة , وقوم
الباحث بتحليل هذه الزيادة كالتالي يقول الشاعر 258

في الحال حين دعا الرحمن أنزله * حتى غدا محصبا ما كان
أمله

وبالرخاء يومن شافى المحال أبدله * لما شكا وقعه البطحاء قال
له

على الربا والهضاب انهل وانسجم

وفت يروق الندى وزوت خيانتها * فأعربت كل فيحاء رطانتها
وأنبئت كل جدباء خزانتها * فأدت الأرض من رزق أمانتها
بإذن خالقها للناس والنعم

أوسعت كلا للناس حين روت * وأعشبت كل قيعان لها فجوت

258 وأن الشاعر ما ذكر سبب الزيادة ولم يشر إليها في إحدى أبياته، ولم يعلق ولو في
الحاشية، ولم أجد نسخة أخرى للبردة تختلف عن هذه النسخة الموجودة في يد الباحث .

وكل بؤس وجدب حل قبل زوت * وألبست حلا من سندس ولوت

وأوسعت عمما برؤوس الهضب والأكم
والعشب مزهرة تبدى فوائدها * والكمثرى أينعت تعطيك عائدها
والتين قد أثمرت تبلى عوائدها * والنحل باسقة تجلو
قلائدها

مثل البهار على الأبصار والعلم
5- وبتلت الأرض ماطابت وماخشبت * كلتا هما غرست
نخلا وقد حرقت
فأنبتت كل مزروع وما لبثت * وفارق الناس داء القحط
وانبعثت

إلى مكارم نفس النكس والبرم
6- يارئما حصر آيات له وسرد * قد رمت حصر كثير فات
كل عدد

وءاية منه فاقت فهم كل أحد * إذا تتبعت آيات النبي فقد
ألحقت منفخما منها بمنفخم
7- كساه مولاه نورا من لوائحه * مواهب ومزايا من
مدائحه

بفضله نلت نشرا من روائحه * قل للمحاول شاو فى مدائحه
من المواهب لم أشدد لها زيم
8- مدائح فيه قد ألفيت منشدها * حمدا لمن ألهم النيات مقصدها
ووفق الكلمات له وأرشددها * ولا تقل لى لماذا نلت جيددها
فما يقال بفضل الله ذابكم

9- يختص من شا بما قد شاءه فضلا * وسر أقداره قد حير
العقلا

عناية منه حصتنى بها نقلا * لولا العناية كان الأمر فيه
على

حد السواء فذو نطق كذابكم
ويلاحظ لما شكى النبي صلى الله عليه وسلم القحط إلى الله
تعالى بدعوته وقبل الله دعوته في الحال وأنزل المطر لأن دعوة

الأنبياء والرسل مستجابة ولما كثر المطر شكى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عليه الصلاة والسلام (حوالينا لا علينا) توقف نزول المطر وكذلك دعوته لأهل مكة أصابتهم السماء حتى جرى الماء على الأرض والوديان نعمة من الله تعالى ثم استمر يفصل ما حصل بعد نزول الغيث بدعوته فأصبحت الأرض مخازن الماء في الآبار والوديان والأنهار فأنبتت الحبوب والنخيل فتزينت الأرض بهذه النباتات وانتشر الرزق بإذن خالق الأرض لجميع الكائنات من الناس والأنعام والحيوان وكذلك الطيور.

وصف الناظم الأرض وما لبست من كل وحضر ووشح وحلل حيث أن كل واحد يعبر عن زينة شهيرة وهو كناية عن سقاية الله تعالى العباد والبلاد، 259 وغيره وربت الأرض حتى على رؤس من الجبال والشلال فصارت مزينة.

وتكلم أيضاً أن النخل قد انبثقت خيراتها وتكاثر ثمارها بجميع أنواعه فأصبح يرى مثل ما يرى العين البهار والعلم من بعد ومن قرب لأن كلاً يعجب الإنسان في حالة رؤيته.

و في الدور الثاني يقول ذهب القحط فأصبحت الأرض صالحة للحرثة والزراعة وتولت الشدة والفاقة عن الناس الذين هما أفسدا حياتهم وظهر أثره عليهم وأن مايعانونه من الضرّ وكدارة المعيشة من أجل القحط وقد فارق الناس ضر القحط وتوجهوا نحو المكارم والسعادة وطيب العيش بعد ماسئموا طويلاً من الزمن بفارغ الصبر واحتساب إلى الله.

إن الذي يقتدي بأخلاق الرسول ويقف عند أوامره يعيش سعيداً ويصبح كريماً، وإذا أردت أن تذكر مزايا الرسول تجد أنه فاق كل آدمي من البشر ولو تتبعت آياته ومعجزاته لأدركت فضلها وإعجازها منه صلى الله عليه وسلم، واستمر الشاعر يقول أن مستواه الأخلاقي والديني فاق كل بشر، الذي يطلب فوزاً من عطائه صلى الله عليه وسلم ويحاول نيل فضله بمدحه عليه الصلاة والسلام

259 والمراد بكل الإنسان والإبل يرتزقون بنعمة الله فوق الأرض والخضر هو لون زاهي رائع يشير إلى نزول الأمطار وانتشار الخير، والوشح عبارة عن النقوش والألوان الزاهية الجميلة والحل جمع حلة وهو زينة من سندس وذهب وفضة

كلها لاتأتي سدى بل هي موهبة وفضيلة لم تكن ثيابا تلبس فيلبسها كل واحد كما شاء وحين شاء، انظر إلى قوله أيضاً:

فالدور الأول يقول لا تكن حاقداً أو حاسداً لرجائك موافقتك الصواب وبفضل من الله على عبد من عباده ينال ميزة من الله تعالى على أحد ولا تسأل كيف وجد هذا فلان، ولم أكن أجده لأن الله تعالى ما كان يسأل عما فعل ومنه قوله تعالى "أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا." 260

وختم بقوله لولا المولى الذي فضل رسله وأنبياءه ما أوضحوا للناس الصراط المستقيم من خير وشر، ولولا النبي والعناية الإلهية لكان الأمر بلغ حد السوء فيصبح الناطق كالأبكم .

القرآن الكريم 261: المعجزة الكبرى القرآن الكريم

هذه المعجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، تذكر لنا النور الذي جاء به القرآن الكريم وبعض معجزاته وما يحتويه من المناقب والفضل والشرف، ومعجزاته تصل إلى ألف معجزة وقيل ثلاثة آلاف كما سبق .

وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله أنزل هذا القرآن أمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبة فيه نبؤكم

وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تتقضي عجائبه، هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم والنور

260 سورة الزخرف 32 .

261 مصدر قرأ قراءة وقراءة وقرأنا على وزن غفران ورجحان فهو بمعنى القراءة، وهمزته أصلية ونونه زائدة.

هو كلام الله تعالى المنزل على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس. ابن منظور لسان العرب مادة (ع) طبعة دار المعارف، وأبو بكر جابر الجزائري، هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب ط دار الشروق جده، ص: 496. وإبراهيم آل جار الله ط دار الطيبة بالنشر والتوزيع الرياض، ص: 258.

المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع، عصمة
لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعذب
ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، ونحوه عن ابن
مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان، فيه نبأ الأولين
والآخرين، 262 ويقول الأديب:

يامادحا غيره بمدائح كثرت * وواصفا غيره لجوائز نذرت
ومثنيا غيره بمآثر عفرت * دعنى ووصفى آيات له
ظهرت

ظهور نار قرى ليلا على علم
مآثر المصطفى درر لها عظم * جواهر هي لم تعرف لها
قيم
نظمتها نجما تحى بها ظلم * فالدر يزداد حسنا وهو منتظم
وليس ينقص قدرا غير منتظم
3- فأين مدح الورى فيمن سما وعلا * فلا يرى مثله فيما
بقى وخلا

على خلا نقه القرآن قدنزلا * فما تطاول ءامال المديح إلى
ما فيه من كرم الأخلاق والشيم
تمكن الشاعر من النداء بأسلوب جهول ثم أضاف على ندائه
العطف يريد بذلك التنبيه للذي جهل وغفل عن هذا الكنز القرآني
الخالد ويريد بذلك رد العقول والقلوب إلى هذا القرآن المعجز وتنبيه
الضمانر والأفئدة إليه، فإن الذي يمدح غير القرآن أويظن أنه ينال
رضى الله والجوائز من غيره ثم يعكف على ثناء غيره بعد أن كان
القرآن آياته ظاهرة ومعجزاته باهرة كما كانت النار التي توقد
للضيف على الجبل المرتفع ليلاً ظاهرة ومكشوفة لا يحجبها شيء
كذلك كان هذا القرآن الكريم .

وبدأ الشاعر يصف هذا النور الرباني بالدر اللامع المشرق المنير
من الدر وكونه جوهر وهذا الدر يزداد حسناً في حال كونه منتظماً
ومرتباً ولا تنقص درجته في غير حالة الانتظام.

ثم مال إلى أسلوب الاستفهام في البيت الثالث وكان في السؤال تعجب بمعنى ماذا قدم هذا البشر فيمن على اسمه وارتفع قدره وليس هناك مثيله في الماضي أو الحاضر وأن هذا القرآن نزل على الخلائق طراً رحمة للعباد وأن هذا العمل المدحي آمالي فيه لا يكون طويلاً مهما طال، لأن مدح النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو رسول هذه الأمة وقد وصفه الله بأخلاق فاضلة وشيم كريمة ولا يكون في حقه أي تطول إلا أن يكون تقصيراً في حق قدره ومنزلته .

ثم تتابع الأديب القول بأن آيات قاطعة التي تهدي إلى الرشد وعليها بناء التقوى فيها مواعظ وقصص وعبر تصفي القلوب وتزكي النفوس من خبث ورجس، تقرأ من خلال هذا الكتاب العظيم بتوارث وتوال، علوم وأحكام، ووصف الشاعر القرآن بجدارته ومهارته بالمرضعة، وكأنه يرضع هذه الأمة متى بعد الرضيع عن اللبن مات، فالقرآن أصل كل علم ومبدأ كل معرفة، ومصدر كل فن على الاطلاق. ولأن آيات الله تعالى آيات حق وصدق منه توصف بالقدم وغير محدثة ولا مخلوقة. والشاعر يذكر لنا معجزة القرآن الدقيقة واحدة تلو أخرى اسمعه يقول:

5- أي بوعد من الرحمن تبشرنا * فيها وعيد عن العصيان

يزجرنا

فيها مواعظ في الأحوال تبصرنا * لم تقترن بزمان وهي

تخبرنا

عن المعاد وعن عاد وعن إرم

أعظم بأي من القرآن موجزة * لكل تفضيل معنى الدين محرزة

لكل علم لباغ فيه مبرزة * دامت لدينا ففاقت كل معجزة

من النبيين إذ جاءت ولم تدم

وأتى الشاعر بمعجزة أخرى تبدو من خلال دراستك لهذين

البيتين وهي تبشير القرآن بالوعد والوعيد، لمن فعل الحسنات ثواباً

ولمن فعل السيئات عقاباً وفيها مواعظ وعبر تبصرنا، وتنهانا عن

السيئات، وتأمرونا بفعل الخيرات، مع أن القرآن لم يقترن بزمن من

الأزمان عبر العصور حتى يقال إنه حادث وأن هذا القرآن وآياته

تخبرنا عن المعاد وهو أصل كل يقين بحيث يحصل الجزاء والعقاب يقص كذلك أخبار قوم عاد وإرم وثمود وغيرهم من الأمم الماضية الغابرة .

لم يقف الشاعر عند هذا الحد من ذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم بل اعتبر كل آية منه معجزة بنفسها يطلب منك تعظيم كل آية وتعتبر وقاية وتعويذا من شياطين الإنس والجن، وأن القرآن وآياته دامتا بين أيدينا بصيانة من الله تعالى وحفظه، وهي فوق كل معجزة من معجزات الأنبياء والرسل حيث أنها لاتدوم بل تضيع عبر الأيام والليالي أو تحرف كما حصل لبعض الكتب السماوية كالإنجيل .
وقدحذر الشاعر الذي يحاول تأويل آيات القرآن والأخذ بالمشتبه منه وأن هذا غير حاصل على الإطلاق، فقد حاول عدد من الملاحدة إثارة هذه الفتنة وإيقاعها بين الأمة الإسلامية منهم المستشرقون 263 مثل قرآن فوبيا، وقرآن أميركا أون لاين 264 ولكن حال دون ذلك وعد من الله تعالى وحفظه، وأن ما في القرآن كفاية لكل عاقل فطن منتبه، وآيات القرآن محكمة لاتبقي ولا تذر أي شبهة بآياته محكمة الحكمة للذي يريد الشقاق والفتنة ولاتجد طالب الحكمة غير القرآن الكريم وهذا أيضا معجزة كبرى. ويقول الشاعر في حديثه عن معجزة القرآن الباهرة :

7-قف حيث حد تنل ما شئت من أرب* وما تعدى لها حدا ذوو
أدب

وإن أبيت فلا تلقى سوى تعب * ما حوربت قط إلا عاد من
حرب

أعدى الأعدى إليها ملقي السلم

8-بل آية أعجزت دعوى مناقضها * وقد حمت عن مداخل من
يخانئنها

²⁶³ أ.الصاديق بشيرنصر، قرآن فوبيا، المجلة التواصل العدد 8، ديسمبر 2005م ص: 147-
148 تصدرفي الجماهيرية الليبية

²⁶⁴ المصدر السابق ص: 130. قرآن أميرك: عبارة عن ذكر بعض السور على موقع الانترنت بعنوان A.O.L. مثل سورة المقاطعة، وسورة المسلمون، وسورة الدعاء أول سورة المقاطعة نجم 1 ونضرب الأمثال للجهال لعلهم يعقلون 2 مثل الذين يدعون إلى مقاطعة الغرب والأمريكان وما ينتجون 3 والسورة عبارة عن 26 آيه.

وحصنت كل ثغر من يركبها * ردت بلاغتها دعوى
معارضتها

رد الغيور يد الجاني عن الحرم

9- لها معارف جلت عن زها عدد * لها علوم علت عن كل
مجتهد

فإن ما قلت لا يخفى على أحد * لها معان كموج البحر في
مدد

وفوق جوهره في الحسن والقيم

10- موارد كلها حلوت مشاربها * لوأرديها وإن جمعوا
مواهبها

وكلما كررت تبدو غرائبها * فما تعد ولا تحصى عجائبها
ولاتسام على الإكثار بالسام

وبتدبر هذه الأبيات الأربعة بدقة يحس ما عبر به الشاعر
إحساساً أدبياً، حيث يقول (قف) إنه فعل أمر يحث السامع بانتظار
الأوامر والحدود الشرعية وإياك أن تخالف أمر من أوامره إذا كنت
ذي أدب وأخلاق وبهذا تنال ما شئت من جزاء وثواب، ثم أشار
وإن أبييت ورفضت فلا تنال أو تلقى سوا تعبته وما حارب أحد هذا
الدين قط إلا أصبح وأضحى ينتصر عليه هذا الحق الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

لم يكتف الشاعر بهذا فقد استمر قائلاً، إن آيات القرآن
ومعجزاته أعجزت دعوى مناقضها لأنها دعوى كاذبة خاطئة،
وكذا المعجزة سدت جميع المنافذ من يجادل بها وحفظت أيضاً كل
الأبواب كبيرها وصغيرها لمن يركبها ويزيفها لمجادلة الحق .

وأن بلاغة القرآن ردت دعوى المعارضين كما كان رد
الغيور يد الجاني عن ملامسة الحرم والمقدسات الطاهرة بالسوء،
وأراد الشاعر أن ينوه بأن ثمة معجزات أخرى يحتويه هذا القرآن
المعجز، أن فيه المعارف والعلوم تفوق عدد نجوم الزها أو النباتات
الحضراء الكثيرة، وكل مجتهد وتفوقه علوم القرآن العاجزة الوحيدة
وأن هذه المقولة لا تخفى على أحد لمن يكون له أدنى إلمام بالمسألة،
ومعجزاته أيضاً لها معان كموج البحر في المدد، وكما أن القرآن

معجزاته فاقت عن جمع كل عالم مجتهد، وفيه شواهد أقوى من أن يقال إنه قول رجل إنسان آدمي، حيث توجد خوارق عادات من علوم الغيب وأخبار الأمم والأنبياء وتاريخ الملوك ، وفيه من المعاني أيضاً التي تعبر عن المعجزات أكثر من موج البحر كما سبق، ومعانيه فوق الجوهر المستخرج من البحر في حسنها البديع وفي قدرها وشرفها .

واستمر يقول بأن موارد القرآن كلها عذبة حلوة لمشربها ولوارديه وحتى لو عدّوا مواهب القرآن هكذا يجدونها عذبة سهلة الشرب وطيبة التناول، وإن كرر ترتيل آياته سيجد ويشعر حساً ومعنى، وتتبين له معجزات القرآن وكأن كل يوم جديدة وغريبة في اللفظ والمعنى، ولا يمكن تحديد العجائب القرآن، وكذلك لا يمكن أن تواظب وتكثر قراءته فتحس بالملل فإن من أدى ما فيه من الواجبات والفرائض وأحيى ليله بالنوافل وواظب ترتيله وقراءته، فقد قرت عينه فطوبى له يوم القيامة لأنه ظفر وفاز باعتصامه بحبل الله تعالى فليحاول أن يعتصم بها كل مؤمن بربه تعالى.

ثم تمايل الأديب إلى أسلوب أدبي جذاب وخاض في مدح هذا الكتاب العظيم يقول الشاعر :

12- والذكر حبل إله العرش أنزله *بشرى لمن كان حامله ورتله
طوبى لمن فهم آيا منه أهله *قرت بها عين قاريها فقلت له
لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

13- بشرى لمن كان من آيا له حفظا * وكان فيما قرى
مستفهما يقظا

وبالمواعظ منه صار متعظا * إن تتلها خيفة من حر نار
لظا

أطفأت حر لظى من وردها الشبم
14- قدفاز تال له في كل مأربه * وخص من ورده الصافي
بأعذبه

ياطيب مورده يا صفو مشربه * كأنها الحوض تبيض
الوجوه به

من العصاة وقد جاءوه كالحمم

ويعبر الشاعر بأن الذكر الحكيم تولى إله العرش إنزاله بنفسه بشرى وطوبى وكذلك قرّت عين القارئ المرتل، والفاهم المطيع، وحامله الحافظ في صدره، وضبطه في وعائه، لقد فاز وظفر بهذا الحبل المتين الذي تولى حفظه وعصمته من شر شياطين الإنس والجن. ثم عاد الشاعر مرة أخرى يجدد شعوره ويحقق طموحه عبر خياله ويثبت معجزة هذ القرآن العظيم ويهنئ كل من قام بحفظه ويفهم معاني آياته، ويتعظ بها، ويقتدي بأوامره، ويتعد من نواهيها، لأن القرآن بأي صورة قرأته تجد الإجابة إذا الهدف نيل رضى الله، فذاك ولو قرأت بغية النجاة من نارلظى تنال مُناك، ولكن الشاعر هنا يستعبر ويكنى حيث شبه الأديب الآيات القرآنية بالماء البارد في إطفاء النار المحرقة، ومن ثم تطرق الشاعر إلى ذكر مناقب من باشر تلاواته التعبدية بأنه فاز في كل مقاصده وحوائجه في الدنيا والآخرة، وليس هذا فحسب ويكون من الذين يفوزون بشرب الحوض له صلى الله عليه وسلم من غيرشك أو أدنى ريب على وجه العموم أو الخصوص، وهنيئاً لمورد هذا المشرب وطوبى لشارب هذا الحوض العظيم وتبيض الآيت الوجوه كما يبيض الحوض وجوه العصاة بعد أن كانت محرقة بالنار، ثم يصب عليها ماء الحوض وتعود عليها الحياة من جديد، وقد تجلت من الشاعر قدرته في إظهار هذه المعجزة الفريدة عن طريق اختيار كلمات جزلة جميلة ومن ثم ترتيبها ترتيباً لغوياً سليماً وكل من يرتل الأبيات القادمة يحس ويشعر في أن واحد المظهر الجميل والحجة القاطعة على إعجاز هذا الكتاب الجليل، إسمع قوله:

15- أضحت سلالم للجنات موصلة * أعلت لتال لها فى الخلد

منزله

وفى الموازين أضحت صاح مثقله * وكالصراط وكالميزان

معدله

فالقسط من غيرها فى الناس لم يقم

16- أى من الله يعلو من يكررها * درساً وفى قلبه الصافي

تدبرها

مجانبا من غدا بالجحد يكفرها * لاتعجبين لحسود راح
ينكرها

تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم

17- والذكر ما فيه من عوج ومن أود * وليس فيه مجال ما
لمنتقد

وقل لمنكره بغيا على جسد * قد تنكر العين ضوء الشمس من
رمد

وينكر الفم طعم الماء من سقم

فالآيات القرآنية وترتيلها ومن ثم ما يكمن فيها من المعجزة
أصبحت مدرجاً من المدارج الموصل إلى الجنة العليا ولقارئها
منزلة خالدة في الجنة، وميزانه سيكون ثقيلاً بثواب قراءته له، وأن
القرآن كالصراط في الاستقامة، وكالميزن في العدل والقسط، وفي
غير القرآن الناس لا يقومون على الحق والعدل والاستقامة كما يريد
الله تعالى، وأن هذه الآيات وحي من الله يعلو نحو المجد من يكررها
يأخذ دروساً وعبراً في قلبه إيمان وتقوى وتدبر، وهو جانب كل من
ظل يجحد بها ويكفر، وليس في أمره عجب إذ إن الكفار هكذا كانوا،
ومنه قوله تعالى " فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله
يجحدون 265 " إنما هو تجاهله والحال أن لهم فهماً ثاقباً وإدراكاً
شاملاً لحقائق الرسالة ومعجزة النبوة كما ذكرت الآية الكريمة سر
قلوبهم ونفاق ضميرهم واعتقاد أفئدتهم .

والحق أن الذكر الحكيم ليس فيه إعوجاج أو انحراف
ومعجزاته تفوق عقول جاحديه وتعجزهم كما حصل لمسيلمة 266

265 سورة الأنعام، آية، 33 .

266 مسيلمة الكذاب: هو مسيلمة بن حبيب الحنفي من أهل اليمامة وكان قد أسلم ثم تنبأ في سنة
10، وزعم أنه شريك لرسول الله في النبوة، وكان قد كتب إلى رسول الله: أني أشركت معك، فلك
نصف الأرض، ولي نصفها، ولكن قریش قوم لا يعدلون. فكتب إليه رسول الله: من محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة الكذاب: أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده،
والعاقبة للمتقين، قتل مسيلمة في المعركة الشديدة التي استشهد فيها خلق من الصحابة، قيل أربع
مئة وقيل ستمئة، طعنه أبو دجانة الأنصاري، فمشى إليه مسيلمة في الرمح فقتله، ورماه وحشي
بحربته فقتله، وهو يومئذ ابن مائة وخمسين سنة و مولده قبل مولد عبد الله والد النبي صلى الله
عليه و سلم. تاريخ اليعقوبي - (ج 1 / ص 156) وتاريخ الخلفاء لعبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي، مطبعة السعادة مصر ط 1 1371 هـ 1952م (ج 1 / ص 67)

الكذاب والرد الحاصل في البيت هو قل لكل منكروه ابتغاء الحسد والغل وقساوة القلب إن كنت منكراً لهذه المعجزة التي تعجز البشر، قذتكر العين ضوء الشمس من رمد وكذلك قد ينكر الفم طعم الماء من سقم، فالأمر شتان بين هذا وذاك مهما بلغ عناد المعاند، وفجور الفاجر، وحسد الحاسد، يعلم علم يقين بأن هذا القرآن معجزة خالدة تعجز البشر بل الثقيلين من إنس وجن .

الإسراء والمعراج: 267

وفي هذه الفقرة قضية إسراؤه ومعراجه صلى الله عليه وسلم، وهي من إحدى معجزاته التي كانت لها وقعة هزت في قلوب الكفار، وقد لوّنوا أساليب تكذيبها وحاولوا تحريف قصتها إلا أنها قصة مدونة خالدة في صفحات القرآن ومطوية فيه فعند قراءتك للبيت الأول في محيط هذه المسيرة التاريخية تشهد نغمة صوتية تحدد لك نوعية المعجزة اسمعه يقول:

وكان سدره مأوى الخلق فاحته * والأية الكبرى لكل راحته
ومورد الكل في الدارين راحته * ياخير من يمم العافون ساحته

²⁶⁷ الإسراء من (سرى) يسري بالكسر (سرى) بالضم و (مسرى) بالفتح (سرى) أي سار ليلاً وبالألف لغة أهل الحجاز وجاء القرآن بهما جميعاً ومنه قوله تعالى للبحان الذي أسرى بعبده. وكذا قوله تعالى: "والليل إذا يسر".

وحقيقة الإسراء هو ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم من بيت أم هانئ إلى المسجد الحرام ثم إلى المسجد الأقصى على البراقة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ومنه قوله تعالى: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياته، إنه هو السميع البصير".

وأما المعراج فمعناه الصعود به سلم أو درجة تعرج عليه الأرواق عظام والجمع مع أريج ويجوز معراج، والمعراج يسلم ومنه ليلة المعراج المعراج هو صعود النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء السابعة بواسطة معراج ممتد ما بين السماء والأرض فعرج بصد حبة أخيه في الرسالة جبريل عليه السلام فانتهيا إلى السماء الدنيا وحتى السماء السابعة.

سعيًا وفوق متون الأينق الرسم

فالكلام عن سدرة المنتهى وعطفها بالمأوى يتضح لك نوعية مزج المعجزتين الكبيرتين اللتين شاهدهما النبي صلى الله عليه وسلم خلال رحلته الفريدة بل وقد يسر الله له الوصول إليهما وهما راحته لما فيهما من الوسعة والرحاب، وأن الآيات الكبرى لكل إنسان مكان لراحته في هذه الرحلة العظيمة له عليه الصلاة والسلام

ثم استمر بذكر مناقب هذا الرسول الكريم وخصائصه الجميلة ومزاياه الفريدة بقوله يا خير من قصد المحتاجون رحاب داره لقضاء حاجتهم ونيل عطايه مسرعين الراكبين ظهور النوق للوصول إلى ديار هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم .
الأدوار التالية مناقب أخرى اشتاق الأديب لذكرها وكلها تظهر في جوانب مشرقة وخصائص متميزة لمعجزة الإسراء والمعراج
إسمع:

ومن هو العروة الوثقى لذي حذر * ومن هو الملجأ الأكفى
لمنتصر
ومن هو السيد الأرجى لمعتذر * ومن هو الأية الكبرى
لمعتبر

ومن هو النعمة العظمى لمغتتم
أسريت كيما ترى آيات ذي قدم * وما بالآيات من طرق ومن
حكم
على براق المعالى لاعلى قدم * سریت من حرم ليلا إلى
حرم

كما سرى البدر في داج من الظلم
رقيت تحرق أطباقا مذللة * كأن في حجبها سبلا مسبلة
ما بين قدس لقدس صار مرحلة * وبت ترقى إلى أن
نلت منزلة

من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
ترى عجائب آى من غرائبها * ما زلت ترنوا الأعجب من
عجائبها

وأنت بين الملا أبهى مواكبها * وقدمتك جميع الأنبياء
بها

والرسل تقديم مخدم على خدم
الجواب لهذا الاستفهام التقريرى بمعنى هو العروة المتينة،
والملجأ المرجو، والسيد لكل الخلق وإرساله رسولا آية كبرى
ونعمة عظى لهذه الأمة .

ثم بين الشاعر أن الرسول ذهب لرؤية آيات كبرى وما لها من
الحكمة والمعجزة على براق المجد لاعلى القدم والمشى، وأن
الإسراء وقع من حرم مكي إلى حرم قدسي، ثم ختم بتشبيه بليغ
ليصور لك أوضاع الرحلة ونورانيتها، وأنها تشرق السماء الدنيا
كما تشرق مناكب الأرض، وبداية لنزع الشك في قلوب هذه الأمة
إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وبعد أن رقى أطباق السماء بكل سهولة كأن فيها طرقاً ممهدة
وسبلاً فجاءاً، حدد المسافة لرحلة الإسراء، كما حدد أيضاً لرحلة
المعراج، إلى أن نال المنزلة العليا ليشهد ملكوت السموات عند ذي
العرش، ومن ثم قدمته الأنبياء والرسل إماماً لهم عند الصلاة خلال
هذه المسيرة المشهدية الربانية .

فلما عكف الأديب على ذكر مميزات المعجزتين الإسراء
والمعراج تمادى في ذكر الصورة التي أدرج النبي صلى الله عليه
وسلم إلى أفق السماء وارتقى إلى منتهى الغاية، حتى سار إلى
الملكوت، ومن ثم إلى الواحد الفرد الأحد بمفرده ولأرفيق له صلى
الله عليه وسلم لجلالة الموقف وخصوصية المكان، ولم يزل يقترب
إلى جلالته ويرتقى درجة تلو الأخرى حتى لم يدع مجالاً لكل
مستبق أو طالب رفعة إلا سبقه بمكارم خلقه وفضيلة صنعه وشفقته
ورحمته لأمتة. إسمع مايقول الشاعر حيث يردد مناقبه ويهتف
بمزيته:

10- سموت عن بشر طرا وعن ملك * وعن سماء وعن
عرش وعن فلك

وجئتنا بصلاة منه مع نسك * فخرت كل فخار غير
مشترك

وجزت كل مقام غير مزدحم

11- سموت للقرب في حفظ وفي أدب * حتى إذا لم تدع شاوا
لمقترب

فحسب عليك ما قد نلت من أرب * وجل مقدار ما أوليت من رتب
وعز إدراك ما أوليت من نعم

12- حمدالمن با تباع النور أهلنا * بنعمة من أيادمنه جللنا
به على الأمم الماضين فضلنا * بشرى معشر الإسلام إن
لنا

من العناية ركنا غير منهدم

13- صرنا بحمد إله من جماعته * حتى رجونا نصيبا من
شفا عته

فقنا سوانا لانا من رعايته * لما دعى الله داعينا لطاعته
بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

في هذه الأبيات يظهر جلياً رفيع القدر، والمنزل العلى حتى
سما عن كل البشر، والملك والسماء، والعرش، والفلك، واخترق
أجواء السماء وارتفع فوق الكوكب والفلك وجاء بشعيرة الصلاة،
وجاوز الحدود والحُرَّاس والأبواب، وفتحت منافذ السماء واتصل
بغاية العلى في فناء السماء السابعة وعلى رحاب الجلالة ولم يلق
زحماً ولم يصبه تعب .

ثم تطرق الكلام أيضاً عن بعض سلوكه صلى الله عليه وسلم
حيث أنه ارتفع قربة لجلال الله في حفظ وفي أدب وقد كفاك العلى
والمجد يارسول الله مانلت من قدر ومن كرم وكما تجل إحصاء
قدر ما وليت من الرتب وكذا تعزز إدراكه أيضاً. وبعد ذكر تلك
المناقب والصفات العلى بدأ الشاعر يشكر ويثني على الله بأن جعلنا
من أمة محمد وهي الأمة التي نالت الأفضلية والميزة الخاصة،
والشكر أيضاً بأن صرنا من أمته ونرجو شفاعته يوم الحشر، وقد
أجبنا لما دعانا إلى طاعة الله وهو أكرم الرسل وكنا أكرم الأمم .

ذكر بيان لجهاد، التوسلات والمناجات :

الجهاد 268:

هذ المقطع يحتوي على ثلاث فقرات، وكل فقرة يندرج تحتها عدة ادوار، والهدف منه دراستها دراسة أدبية، وجهاد النبي صلى الله عليه وسلم يذكر لنا ما يتعلق بغزواته وحروبه وسراياه والخسائر التي تكبدها الكفار والانتصارات التي نالها والصلح وشجاعته صلى الله عليه وسلم، وبسالة أصحابه واستعداده وعبريته في ميدان الوغى وغير ذلك .

لما بدى للورى أنوار طلعتة * تباشرت أمم أتباع ملته
ويل لأعدائه من سيف سطوته * راعت قلوب العدى أنباء
بعثته

كناية أجفالت غفلا من الغنم
كأنهم خدع وقعت على شرك*بل هم عسافير في شرك وفي شبك
أبادهم فهو وارد رد على درك * ما زال يلقاهم في كل معترك
حتى حكوا بالقنا لحما على وضم
وكم قتيل لهم هاو إلى أبه * وكم جريح طريح في تخضبه
وهارب وهو لم يظفر بمطلبه * ودُّوا الفرار فكادوا
يغبطون به

أشلاء شالت مع العقبان والرخم
لقوا من الحرب في الأيام شدتها * وقد أعدوا لها من قبل
عدتها
هم أمة عجلت في الحال مدتها * تمضي الليالي ولايدرون
عدتها

268 الجهاد من (جهد) دابته و (أجهدها) إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها (جهد) الرجل أي جد فيه وبالغ و (جاهد) في سبيل الله أي بذل وسعه.
الجهاد شرعاً: بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس والشيطان والفساق. مجاهد النفس تعلم أمور الدين ثم العمل بها فمجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشهوات وما يزينه من الشهوات وأما مجاهدة الكفار تكون باليد والمال واللسان والقلب. وأما الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب انتهى.

مالم تكن من ليالٍ أشهر الحرم
ما كان حساً بهم إلا نياحتهم * لا يعرفون لفرط الخوف راحتهم
هاموا لضيء عظيم حل فاحتهم * كأنما الدين ضيف حل
ساحتهم

بكل قرم إلى لحم العدى قرم
يغدوا أمام جنود صاح فالحة * عساكر للقا والحرب طامحة
يقودهم بجموع غير صالحة * يجر بحر خميس فوق
سابحة

يرمى بموج من الأبطال ملتطم
لله در جنود سادة نجب * من كل أشمط ذي رأى وذو أدب
وكل أمر لذي حسب وذو نسب * من كل منتدب لله
محتسب

يسطو بمستأصل للكفر مصطلم
هذه الأبيات تصف الهزيمة الشنيعة التي حلت بالكفار طوال
أيام الجهاد حساً ومعنىً، فإن المعارك البطولية وما فيها من الكر
والفر والإقدام قد صارت حدأ فاصلاً بين الحق والباطل، وعندها
غرس الإسلام رايته على هذه البقعة شرقها وغربها .
وبعد أن ذكر الشاعر حالة المؤمنين بقبولهم رسالة الحق
وقبولهم مباشرة ملة الإسلام، وحذر الأعداء بالويل والقتل تحت
سيوف المجاهدين، وأنهم سقطوا في شرك هواهم، كما يحصل
للطيور عند صيدهم، وتدور رحي المعركة، وينزل البأس على
الكفار حتى أصبحوا كاللحم عند الجزار الذي يضعه على الوضم
من كثرة القتلى والجرحى المطروحين على الأرض وسوء العاقبة
عليهم .

وفي دور الثالث صور الأديب ميدان الوغى بعد أن وضعت
الحرب أوزارها واستهل البيت بكم للتكثير بين قتيل، وجريح،
طريح وهارب، لم يظفروا ولم ينالوا خيراً، بل حتى أدى الهزيمة
إلى الفرار وفي ذلك عار وفي ذكرها عيب ولا يغفر عنها فاعله .

وأرادوا التحصن إلى بيوتهم من شدة حربه وبأسه عليهم صلى الله عليه وسلم وكلما أرادوا الفرار لم يستطيعوا، وشلت أعضاؤهم، فأصبحوا طعاماً للطيور والعقبان والرخم.

فقد أفصح الشاعر القول بأن الكفار لقوا من الحرب أشدها مع أنهم أعدوا لها حتى تمضى الليالي ولا يعرفون حسابها لقساوة الحال ومرها إلا إذا كانت من أشهر الحرم يدركونها لأمنهم من بأس المسلمين فيها، ولم يكن لهم من الأمر إلا نياحة إذ أن الحرب عبّدتهم ولأراحة لهم من شدة الخوف وكراحتهم لدين الحق، يغزون أمام الجيوش الباسلة البطلة وهم عساكر القوة في مواجهة العدو، يرمون بأجساد الكفار مقطعة مفتكة قتيلة. ثم ختم الشاعر البيت السابع بالثناء على الصحابة الكرام الرجال الذين غامروا بحياتهم من أجل هذا الدين حتى النصر، واتصفوا بالأدب والرأى والحسب والنسب والإيمان والتقوى رضوان الله عليهم جميعاً.

بعد أن تناول الشاعر ضروب الهزيمة التي حلت بالكفار والبأس الذي نزل بهم في ساحة المعركة وميدان القتال التفت سريعاً نحو رجال الوغي يظهر تلك البسالة الفريدة والشجاعة الإيمانية التي تمثلوا بها في مختلف المعارك وشتى الميادين إستمع إليه:

جهادهم للأعادي رأس مكسبهم * ففي الجهاد استطابوا ورد

مشربهم

وكلمة الدين عالية بمنصبهم * حتى غدت ملة الإسلام وهى بهم

من بعد غربتها موصولة الرحم

هم خير قرن بدا للناس في حقب * قد أهلوا في الورى رتبا على

رتب

من صحبة المصطفى والذب عن قرب * مكفولة أبدا منهم بخير

أب

وخير بعل فلم تيتم ولم تنم

10- ذادوا جموع الندى ضربوا جماجمهم * ولا ترى آمنا

الإمسالمهم

فلم يزل ذوالعلى يمضى عزائمهم * هم الجبال فسل عنهم مصادمهم

ماذا رأى منهم في كل مصطدم

11- وسل قديسا وسل يرموك ما وجدا * وسل نضيرا غدوا
من أرضهم بددا

وسل يمامة عنهم إن تسل أحدا * وسل حنينا وسل بدرا
وسل أحدا

فصول حتف لهم أدهى من الوخم

12- وقائع أن تصلها عنهم شهدت * بأن راياتهم بالنصر قد
عقدت وأن أسيافهم أمم لها سجدت

* المصدري البيض حمرا بعد ما وردت
من العدا كل مسود من اللمم

13- لله درهم في الحرب حين نكت * كم أنفس لقناهم ثم
قد هلكت

كم في صفوف العدى سمر لهم فتكت * والكاتبين بسمر الخط
ماتركت

أقلامهم حرف جسم غير منعجم

يصف الأديب جرأة الصحابة وشجاعتهم خلال الأبيات المتقدمة
وجهادهم نحو العدو هو غايتهم ولم يعرفوا خوف الموت، أوجب
الدنيا، ورفع الدين هو هدفهم السامي إلى أن أصبح الإسلام ديننا قويا
بل أقوى على وجه الأرض، وأنهم خير قرن وصاروا مثلاً أعلى
لهذه الأمة بصحبة النبي وملازمته طوال أيام الرسالة، وببسالتهم
ضربوا وجوه الأعداء وجماعهم، ولن تجد مفلتاً إلا المسالم منهم،
ولم يزل رب العزة ينصرهم ويعززهم ومن ذلك شبه الشاعر هؤلاء
القوم بالجمال لصلابتهم وقوتهم في مواجهة أعدائهم وقد قضا
عليهم في الميادين، طوبى لهؤلاء البررة ومقامهم الكريم .

ليؤكد الشاعر تلك المشاعر الوجدانية أتى ببعض الأمثلة الحية

في قوله:

14- وسل قديسا وسل يرموك ماوجدا* وسل نضيرا غدوا من
أرضهم بددا

وسل يمامة عنهم إن تسل أحدا * وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا
فصول حتف لهم أدهى من الوخم

وسؤالك لواقعة اليرموك وبنو نضير اليهودية المعادية وواقعة اليمامة وأحداً ومواجهة حنين، وكذا حادثة بدر الكبرى، كل هذه الوقائع تؤكد ما يقوله الأديب من بسالة المحاربين المجاهدين .
واسأل جميع معارك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كيف كان قتلهم للكفار قتلاً مريراً، وكذلك سل خبرهم وصدمتهم للكفار، وكيف دارت رحى الحرب في تلك الميادين من معارك دارت فأصرع الكفار وأشد بلاء لهم .

ثم استمر الناظم بقوله عن الشجاعة التي أجبرت حتى سجدت بعد أن ركعت لأسياف المجاهدين مع عنادهم الجبار في أمر الحق، وارتفعت راية الإسلام ورفرفت في سماء الجزيرة، والشجاع الذي يصمد كالجبل يطعن فيريق دماء الكفار هدرأ وله من الله تعالى الثواب والجزاء يوم الحساب والسيف الذي يسل أبيضاً فيصير أحمرأ لما صدر في جسم العدو فمزقه تمزيقاً .
ويتلو الشاعر الصفات المجيدة والشجاعة الفريدة للمجاهدين وهو يقول:

15- فلا عدو إذا لاقوه يعجزهم * ونصرة الحق شيمتهم

وحيزتهم

تراهم إذ صراخ الحرب يبرزهم * شاكي السلاح سيما

تميزهم

والورد يمتاز بالسيما عن السلم

فقد استمر فيه الشاعر بذكر الأبطال وأسلحتهم حادة ونيتهم قوية ولا تجد عدواً إذا لاقوه يعجزهم، وأن نصرة الحق صفاتهم وأخلاقهم، وخاصة عند إجابتهم لطبول الحرب، فلا يخافون مبارزة الكفار ولهم علامة تميزهم عن غيرهم، وشجر الورد يتميز بعلامة من شجر السلم في طيب الرائحة وخشونة الملمس وغيره.

وتكلم الشاعر في هذه الأبيات عن منهج إلهي جعل النبي صلى الله عليه وسلم أمته عليه، وجاهد في الله حق جهاده في إثباتها وتوحيد أمته عليها إلى يوم القيامة، وفي هذا يقول الشاعر:

20- صرنا بحمد الله أهل قبائمه * لنا بالإيمان مسك حبل

عروته

فهو الإمام الذي قهرت سطوته * أحل أمته في حرز ملته
كالليث حل مع الأشبال في أجم
21- به أمنا بحمد الله من وجل * به برئنا بإذن الله من علل
به نصرنا على الأعداء عن عجل * كم جدلت كلمات الله من
جدل

فيه وكم خصم القرآن من خصم
22- أتى بأي الهدى للخلق موجزة * في ضمنها حكم كالشمس
مبرزة

لكل معنى غدت للعلم محرزة * كفاك بالعلم في الأمي
معجزة

في الجاهلية والتأديب في اليتم
فبنعمة من الله أصبحنا من أهل قبلته وأن مسك الإيمان وحبل
الله المتين كان من فوزنا واتصالنا مع الله قوي جعلنا نبي الرحمة
على المنهج القويم بعد أن حارب الكفار وقهرهم وصار الكفر تحت
سطوة سيفه .

وجعل أصحابه في عمل نشر دينه وأنزل أنصاره في حفظ
شرائعه وأحل أمته في حفظ ملة الإسلام، مثل الأسد يحفظ أولاده في
غابته. ثم قال وبايماننا بهذ الدين نجونا من الخوف وبرئنا من كل
عيب وعلل وعلى هذا نصرنا الله على الأعداء كلهم وكثيراً ما جادل
المجادل لكتاب الله تعالى من أجل الخصومة والجدال فقط، لا لطلب
الصواب في إثبات حقائق الأمور وأحسنها.

وأنه صلى الله عليه وسلم أتى بأي الهدى إلى الخلق مرشدة
وفيهما أحكام كالشمس في النور والضياء لهذه الأمة وهذا الكتاب
المعجز يحفظ كل معان العلم ودرجته وكفاك أن أعزك الله بالعلم
والحال أنت أمي لا تقرأ ولا تكتب معجزة باهرة. وفي الجاهلية
تولى الله تأديبك وفي حال اليتم تولى أمورك جميعاً ومنه قوله تعالى
" ألم يجدك يتيماً فأوى " 269.

التوسل 270:

في هذا الموقف تحدث الشاعر عن ثلاث أفكار أولاها إظهار الندامة فيما مضى من عمره، ومن ثم بيان ثقة رجائه بشفاعه المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنه قصد بهذا المدح وجه الله تعالى لاحطام الدنيا الزائلة يقول في التحسر والندامة معاً:

لما انحنى ظهر من أوزار مكسبه * وازداد ثقلاً على ثقل
بمركبه

ولم يتب من رزائل سوء مذهبه * خدمته بمديح أستقبل به
ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم
قد خضت في كل واد هام صاحبه * وردت ورداً له سمتى
مشاربه

قد حث لى عملي يبست مكاسبه * إذ قلداني لاتخشى عواقبه
كأننى بهما هدي من النعم

3- أضعت عمراً مضى في الغى وانصرماً * فرغت من ذاك
سنى يا أخى ندماً

وحق لى أن أبيض من العيون دماً * أطعت غيِّ الصبا في
الحالتين وما

حصلت إلا على الآثام والندم

قد بعت دينى بدنياً مع قذارتها * أخرج الدين سعياً في
عمارتها

يا صفقة من خذاعه في إشارتها * فيا حسرة نفس في تجارتها
لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم

وليس حق لشىء مثل باطله* وليس عالم شىء مثل جاهله

270 التوسل معناه: التقرب إلى الله تعالى، توسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل، وتوسل إليه بعمل، وتوسل بكذا تقرب بحرمة أصرة تعطفه عليه ومنه قوله تعالى: "أولئك الذين يدعون ويبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب". وفي حديث الأذان "اللهم آت محمد الوسيلة" والمراد بالوسيلة في حديث الشفاعة يوم القيامة وقيل منزلة من منازل الجنة لسان العرب ابن منظور مادة (و) 2 مذكورة في العقيدة لدورة التدريسية لمعلم اللغة العربية وثقافة الإسلامية اعداد الدكتور صالح بن سعد السحيمي من مطبوعات جامعة الإسلامية بالمدينة المنورة دون ذكر التاريخ الطبع (3) سورة الإسراع الآية 57 (4) صحيح رواه البخاري المرجع السابق باب الدعاء عند النداء (8) الحديث رقم 614

غبن لشاري ردى ما يفاضله * ومن يبيع أجلا منه بعا
جله

بين له الغبن في بيع وفي سلم

فمجموعة الأدوار في هذه الفقرة من التوسل تبلغ ثلاثة عشر دوراً يشعر فيها الأديب بندامة كبيرة وتحسر عظيم على فوات الوقت والأوان لأيامه الغالية وأوقاته الثمينة وانطلق يقول لما اكتسبت ذنباً وثقل ظهري وازداد ثقلاً بمسيرى ولم يقدم توبة مما جناه من الذنوب والخطايا، قدمت خدمة هذا المدح لتكفر عني خطيئتي وآثام عمرى التى أتلفتها فى الشعر واللهم وغيره، ثم استمر فى البيت الثالث يقول ضيقت عمرى فى الغى والغفلة وقضيت سنواتى فى الندم على الفوات ولم يبق إلا أن تفيض عيوني لامن الدمع بل من الدم ندماً على الخسارة والخذلان أطعت هواى أيام الشباب ولم أربح إلا الندامة وآثام الذنوب .

وقد نفت الشاعر التفات الندم وتحسر وشعر فيه يأساً حيث أكد أنه باع الدين بالدنيا الفانية ومع ما فى الدنيا من القذارة والتعب وقد خرب دينه سعياً فى عمارة الدنيا الزائلة ثم شرع ينادى نداع الويل والندم لتلك الصفقة الخادعة الخاسرة كما حصل لخداعة ثم أكد النداء ثانية لخسارة النفس فى هذه التجارة فإذا هولم يحصل على خير سوى الذنوب والندامة بما كسبت يديه.

فيا كربة من باعها بعرض الدنيا وحطامها الفاني .ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: " فكل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها" 271. وقال أيضاً ياويل نفسى فى هذه التجارة الخاسرة لم أشتر أعمال الخير بثمن من الدنيا بل العكس ولم أطلب الشراء، ثم تكرم الأديب مع ما فيه من هذه الحالة السيئة والندامة اليئسة يذكر حقائق الحياة بأنه لا يستوى الحق والباطل، كما لا يستوى العالم والجاهل، فقد ثبت بيع الغرر والغبن للذى يشتري القبيح بدل الجميل ومن يبيع آخرته بدنياه وجنته بالنار فقد خسر فى الدنيا وويل له فى الآخرة سوف يظهر له الجزاء فى البيع وفى الثمن .

وبعد ذلك أكد الشاعر ثقته بالله تعالى على رجائه بشفاعة المصطفى
صلى الله عليه وسلم وفي ذلك أظهر كبير رجائه وفيه جميل عباراته
وحلاوة منطوقه وحسن صياغته قائلاً:

خدمته أرتجى منه شفى مرض * فى القلب والجسم من كرب
ومن مرض

ومن ذنوب أثارى لى جوى مضض * إن آت ذنبا فما عهدى
بمنتقض

من النبى ولا حبلى بمنصرم
بجاهه أرتجى غفران معصيتى * فى راحتيه شفاء لى وأدويتى
ولا أره يخلينى بمعصيتى * فإن لى ذمة منه بتسميتى
محمدا وهو أوفى الخلق بالذم

فإنه رحمة بعثت إلى الأبد * للعالمين جميعا وهو معتمدى
قد مال فى أمورى كل مستندى * إن لم يكن فى معادى آخذا

بيدى

فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

ببابه لذت كى ألقى مراحمه * وبى جراح قشت أرجو مراحمه
لأبرح الباب كى أعطى مغانمه * حاشاه أن يحرم الراجى
مكارمه

أو يرجع الجارمنه غير محترم

شرح الأديب كلامه برجاء فى خدمته التى قدمها نحو حبيبه
رجاء أن يشفى من مرض قلبه وآثام معصيته وجسمه من دروب
الكروب التى أثارى الجروح من نزيف الدم وآلامه، وإذا ارتكب
ذنباً فما وعده بمنقطع من نبى الرحمة ولا الحبل الذى يتوسل به
بمنقطع .

وبجاه المصطفى يرجو غفران ذنبه ومعصيته وأكد أن شفاءه
من مرضه وأد ويته لعلاجه فى راحتيه صلى الله عليه وسلم، ولا
أحسبه يتركنى بما ارتكبت من الذنوب والخطايا وكان له ميعاد فى
ذكر اسمه الطاهر وهو حبيبه صلى الله عليه وسلم. والحبيب لا
يترك محبوبه فى شدة أو ضيق والحال أنه فى الميعاد والمواثيق.

ولم يزل الأديب في هذه الأبيات يظهر تعلقه ورجائه بنيل الشفاعة مع ما ينوء به من الخطايا وكثرة الذنوب، واستمر يؤكد إيمانه بهذا النبي بقوله أنه صلى الله عليه وسلم بعث رحمة بعث لهذه الأمة إلى الأبد للعالمين جميعاً وهو خير معتمدى، وأكبر الويل لي إن لم يكن المصطفى آخذاً بيدي يوم القيامة. وهي عبارة عن عدم شفاعته صلى الله عليه وسلم له.

وإن لم يحصل له هذا فقد حق عليه الهلاك والويل المبين. ثم ختم هذا الغرض بإظهار شدة تعلقه حيث يقف ببابه ملاذاً لينال مراحمه وله جراح يرجو براءته ولا يترك الباب الذي تعلق عليه حتى يجد غنيمته وشفاعته وهيئات أن يبعد الطامع الراغب عطائه وجوده أو يتقلب الذي يلوذ إليه غير مكرم ولا محترم. وبعد هذا كله ثم تطرق الشاعر إلى قضية أخرى وهي أنه قصد بهذا المدح رحمة الله لا الدنيا وحطامها إستمع إليه:

ما تورطت شفتيه لوائحه* فشمت من برقها حقاً روائحه
وقمت بالباب منتظراً منائحه* ومنذ ألزمت أفكارى مدائحه
وجدته لخالصي خير ملتزم

12 ما زالت النفس تخشى سوء ما اكتسبت* لكن به ترتجى
غفران ما رهبت

ودركها عن غنى الدارين ما طلبت* ولن يفوت الغنى منه يدا
تربت

إن الحيا ينبت الأزهار فى الأكم
13- وهذه بضاعتى المزجات وهى قفت* ولا مدائح للمداح
وهى وفت

قصدي رضاك فجد بعناية عطفت* ولم أرد زهرة الدنيا التي
اقتطفت

يدا زهير بما أثنى على هرم
ولما بدأ الشاعر هذا المدح شممت من نوره حقاً رائحة من الشفقة وعند ذلك لزمت بابه أنتظر شفاعته، ومنذ أن كلفت تفكيري في نظم قصيدة مدحه وجد الإخلاص في ذلك خير كفيل له. وأن نفسه ما زالت تخشى سوء ما عملت وبشفاعة المصطفى ترجو

غفران ما تخافه من الذنوب والخطايا وبيعتها من هدايتها، لم تطلب مرة أنها تستغنى من شفاعته وعطائه فى الدارين، ولن يبعد الغنى والرزق مادام يد الفقير من حبه جادت، إن الماء ينبت الأزهار من بذره.

وعمله السيئة التى خلطتها بالعمل الصالح والآخر سيئاً قد ردت وأن قصدي رضاك لا الدنيا وزينتها، ولا جزاءها الذى ناله غيره، لأن عواقب ذلك وخيمة خاسرة كما كان لزهير فى شعره لملك من ملوك العرب وهو هرم بن سنان فأعطاه ما أعطاه فانتهدت إليه الدنيا .

المناجات وعرض الحاجة 272:

فى هذه النقطة أظهر الناظم حاجته لشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم. لأنه أكرم الخلق وأولى بشفاعة أمته، وأن رحمة الله تعالى واسعة، ثم ختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولكن صاحب التخميس لم يصل إلى نهاية الفصل، وتوقف فى البيت التاسع والحاصل أنه توقف وترك أبيات الخاتمة فقط. إسمع إلى قول الشاعر فى المناجاة

قصد الفقير خلاص من تكسبه * بعد الرضى منك مع
فوز بمطلبه
أنت الملاذله فى كل مأربه * يا أكرم الخلق ما لي من
ألذبه

سواك عند حلول الحادث العمم
إليك لذت أراح قلبى من الكرب * وداونى من سقام بي
ومن وصب

²⁷² معنى الع رضى:رض ل ه ك ذ ا ل ه ا ر و ا ب ر ز ه إ ل ي و ه ي ذ ه ق و ل ه ت ع ا ل ي : "وَعَلَمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ" بمعنى الحاجات: الحاجات و(حاجة حاج) وحوج جمع بوزن عنب ومعناه احتاج إليه وعلى غير القياس حائجة وأنكره الأصمعي ومنه قوله تعالى: "لَمَّا كَانَتْ يَغْنَى عَنْهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا".
سورة يوسف آية: 68

بك استجرت أجرني عن هوى عطب* ولن يضيق رسول
الله جاهك بي

إذا الكريم تجلى باسم منتقم
والنفس ما فتأت تخشى معرفتها* فاشفع لها وأزر عنها
مضرتها
ومنك ترجو فابلغها مسرتها* فإن من جودك الدنيا
وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم
3- أقول للنفس لما شفتها وجمتت* لاتجزعي لمعاد منك ما
انصرمت
كم رحمة لذوي العصيان قد قسمت* يا نفس لاتقنطي من
زلة عظمت

إن الكبائر في الغفران كاللحم
في هذا الخصوص مناجاة وعرض الحاجات فقد كان لشاعر
خير أداء وأسلوب جميل وأوضح في مستهل بيته الأول بأن الفقير
المسكين يقصد بهذا العرض التخلص كلياً من ذنوبه وجرائمه إذا
فاز برضوان من الله ثم بشفاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنت
الملاذ يارسول الله في كل حاجاته ومقاصده يا أكرم الخلق على وجه
هذه المعمورة لا يوجد من ألوذ به سواك، لأنال شفاعتك بحلول
أحداث القيامة والحشر .

والدور الثاني لم يزل الشاعر يتقلب بين خوف ورجاء ويلوذ
بخير ملاذ ويستجير بخير مجير ويستسلم أيضاً بأنه لوأنتقم لن
يضيق بجاه الرسول لأنه يعلم أنه نال جزاءه وأنه لايزال شفيحاً
وكريماً في كل موقف وحول على الإطلاق.

في دور الثالث والرابع لازال الأديب يظهر خوفه لثمار خبيثة
جنتها يدها ويرجو الشفاعة والخلاص منها خلاصاً نهائياً وتسمعه
يقول في موقف الرجاء لا تخافي أيتها النفس وكم رحمة قسمت
لذوي العصيان فقط رجاءاً من الله ورغبة من شفاعة المصطفى
صلى الله عليه وسلم ومهما بلغت الذنوب عظمة وكثرة وإذا شاء الله
تعالى غفرانها تكون كاللحم قياساً .

فلما التفت الشاعر رأى خير مخرج من هذا كله أن يلوذ إلى
التوبة بكل مصداقيته وإخلاصه فقال:

توبى إلى الله إن التوب يهدمها * واستغفري الله إن
الله يعلمها

ورحمة الله أوسع وهي تهضمها * لعل رحمة ربي حين
يقسمها

تأتي على حسب العصيان في القسم
إني وإن كنت عبدا لا يزال يسي * في الدهر كان بأثواب
الذنوب كسى

وحاله أن تشفه حال منكس * يا رب واجعل رجائي
غير منعكس

لديك واجعل حسابي غير منخرم
أجب لعبدك واغفر رب لأزمه * وأعطه ذا العلى ما
كان أمله

وانجه من عذاب قد تهوله * والطف لعبدك في الدارين
إن له

صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم
ففى دور الخامس أمر بالتوبة والاستغفار وبهما تهدم تلك
الذنوب والخطايا كلها ورحمة الله تذهب السيئات وقدم التوبة امتثالا
لقوله تعالى " إن الحسنات يذهبن السيئات " 273 وفى البيت السادس
التفت الشاعر إلى أيامه الأولى بأنه ارتكب صنوفاً من الذنوب
والخطايا حتى أصبحت ثياب لبسه وتزين به والآن يسأل التخفيف
ويكرر رجاءه إلى الله ويتلطف عن حساب يسير ثم ختم في البيت
السابع بطلب إجابة الدعاء ويرجو نيل حاجته والنجاة من عذاب الله
ويرجم اللطف فى هذه الدنيا التى ارتكب فيها ذنبه وجوره وكذا فى
الآخرة التى فيها الحساب والجزاء لأهل السعادة والشقاء. ثم ختم
الشاعر قصيدته بالدعاء لحسن الخاتمة والصلاة على المصطفى
فقال:

8- وا ختم له في الدنا بحسن خاتمة * واحشره في الحشر
في الأهل سالمة

ونعمة منك لاتنفك لازمة * وأذن لحسب صلاة منك
دائمة
ومنسجم

9- موصولة بصلاة منك منسكبا * وآله خير آل في
الورى نجيا

وصحبه خير من في الله قد صحبا*مارنحت عذبات
البان ريح صبا

وأطرب العيس حادي العيس بالنغم
ففى الدورين طلب بحسن الخاتمة وأن يحشر سالماً يوم الحشر
وأن يتغمده الله برحمته ثم الصلاة على النبي وآله وصحابته الكرام
الذين صحبوا المصطفى لينالوا رضى الله عز وجل. وهذا آخر بيت
صاحب التخميس وهو البيت التاسع من الفصل العاشر فى المناجاة
وعرض الحاجات .

مما يؤخذ على البوصيري في بعض أبياته

فقد قام بعض العلماء مؤخذين على البوصيري في بعض
أبياته واتهموه بالغلو في حق النبي صلى الله عليه وسلم حيناً
وبالنقص في حقه حيناً آخر وكان الإتهام في الطرفين الصوفية
وغير الصوفية وقد اتهم الصوفية البوصيري في نقص حق النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله

فمبلغ العلم فيه أنه بشر * وأنه خير خلق الله كلهم
قال الدكتور الشيخ صالح بن الفوزان الفوزان²⁷⁴ ولم يرض
كثير من الصوفية هذا البيت للنص فيه على بشريته وأنها منتهى
العلم فيه فغيروا البيت إلى
مولاي صل وسلم دائماً أبداً * على حبيبك خير الخلق
كلهم

²⁷⁴ صالح بن فوزان الفوزان، حقوق النبي صلى الله عليه وسلم بين الإجلال والإخلال، مكتبة
ملك فهد الوطنية، الرياض الطبعة 10، 2006 ص: 55.

ومن ذلك انتقاد غير الصوفية من الوهابية وغيرهم في قوله:
لو ناسبت قدره آياته عظماً * أحيا اسمه حين
يدعى دارس الرمم

يقول الشيخ محمود شكري الألوسي: " ولا يخفى مافي هذا
الكلام من الغلو، فإن من جملة آياته صلى الله عليه وسلم القرآن
العظيم الشأن، وكيف يحل للمسلم أن يقول: إن القرآن لا يناسب قدر
النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو منحط عن قدره، ثم إن اسم الله
الأعظم وسائر أسمائه الحسنی إذا ذكرها الذاکر لها تحي دارس
الرمم؟ "275

وكذلك قول البوصيري:

ياكرم الرسل مالي من ألؤذ به * سواك عند حلول
الحادث العمم
وقوله:

ولن يضيق رسول الله جاهك بي * إن الكريم تحلى باسم
منتقم
وقوله:

فإن من جودك الدنيا وضرته * ومن علومك علم
اللوح والقلم

ففي البيت الأول علق عليه الشيخ سليمان بقوله: " فتأمل ما
في هذا البيت من الشرك: حيث أن الشاعر نفى أن يكون له ملاذاً إذا
حلت به الحوادث إلا للنبي صلى الله عليه وسلم، وليس الملاذ لله
وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعباد ملاذاً إلا هو. وأن الشاعر
دعى النبي وناده بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه، وسأل
جميع المطالب التي لا تطلب إلا من الله، وذلك هو الشرك في الإلهية
276 .

275 عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (الدكتور)، قواعد عقديّة في بردة البوصيري،

الطبعة الثانية مطبعة الإيمان، الرياض، 200، ص: 5.

276 سليمان بن عبد الله بن محمد عبد الوهاب، (الشيخ)، التيسير العيز الحميد، المكتب

الإسلامي، الطبعة 7، 1988م، ص: 219 .

وعلق أيضاً الشيخ سليمان على البيت الثاني بقوله: " سؤاله منه أن يشفع له في قوله: ولن يضيق رسول الله إلخ هذا هو الذي أراده المشركون ممن عبدوهم وهو الجاه والشفاعة عند الله، وذلك هو الشرك فإن الشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الله فلا معنى لطلبه من غيره تعالى²⁷⁷. وأما قوله ومن علومك علم اللوح والقلم _ في غاية السقوط والبطلان، وأن مضمون مقالته أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب، وقد قال سبحانه وتعالى -: ((قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله)) النمل 65. والأبيات كثيرة والتعليقات واسعة الهدف إظهار وجود هذه المسألة في قصيدة البردة والله أعلم.

²⁷⁷ صالح بن فوزان الفوزان، حقوق النبي صلى الله عليه وسلم بين الإجلال والإخلال، المرجع السابق ، 2006 ص: 55.

دراسة تخميس يهوذا بن سعد

- . الغزل الصوفي الالهي
- . العتاب والعذر
- . مدح النبي صلى الله عليه وسلم
- . ذكر مولده، وأخلاقه، صلى الله عليه وسلم
- . ذكر معجزاته زقصة إرهاباته، صلى الله عليه وسلم
- . مدحه للقرآن الكريم
- . قصة الإسراء والمعراج
- . ذكر بيان الجهاد، والتوسل، والمناجاة

الصوفي الالهي

بدأ الشيخ في تخميسه بالبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم نسبة التخميس إليه، وبعده أتى بدور واحد كمقدمة، ولم يكن أصلاً موجوداً في بردة البوصيري، وقال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وسلم هذا تخميس ليهودا بن سعد بن محمد بن عبدالله على
البردة البوصيرية في مدح خير البرية قصد به التوسل إلى رضوان
ربنا المنان ببركة نبيه الحنان صلى الله عليه وسلم أمين .

حمداً لربٍّ غنيٍّ بارئٍ النسَم * له الوجود كذا البقاء كالقدم
له الكلام وبصر جل عن صمم * الحمد لله منشئ الخلق من

عدم

ثم الصلاة على المختار في القدم

2. أمن تذكر عرفات أو الحرم * أو زمزم أو حطيم كنت
ذا ألم

أولعلو أحد أوترعة النعم * أمن تذكر جيران بذي سلم

مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

3. وحرُّ نفسي خليلي ما بصارمة * جيوش حب غزت ليست

بسالمة

وكيف تسلم بأشواق ملازمة * أم حبة الريح من تلقاء كاظمة

وأومض البرق في الظلماء من إضم

إن جاء ناصح أترضى بما قد أتى * أويستوى عنك ناطق ومن

سكتا

غريق بحر الهوى يأبى بما ثبتا * وما لعينك إن قلت اكفها همتا

وما لعينك إن قلت استفق يهم

5. الله يعلم من في قلبه ألم * للشوق في صدره وهو ينكظم

أموره ظاهر كمن به سقم * أيحسب الصب أن الحب منكم

ما بين منسجم منه ومضطرم

و غصت في البحر لكن كنت في غل * لضرب عشق لخلدي كنت
في علل

لأجل ذاك أجول صرت كالمثل * لولا الهوى لم ترق دمعا
على طلل

ولا أرقى لذكر البان والعلم
والعين لشوقها في ليها شهدت * دموعها تنهمى أبداً بما قد بدت
وشفها الشوق لا عقل بما عمدت * فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت
به عليك عدول الدمع و السقم

يا طالباً للمنى بعد الونى وعنا * بادر وقدم متاباً أو ثناء هنا
فحبذا قلب مشتاق يروم سنا * وأثبت الوجد خطى عبرة وضنا
مثل البحار على خديك والعنم
وخضت بحر الهدى والشوق مزقني * دخلت ظل أمان حباً ألقني
وحر قلبي لأشواقى أحرقني * نعم سرى طيف من أهوى فأرقني
والحب يعترض اللذات بالألم

بدت جبين لذي الأشواق مسفرة * يبدي بما عنده للمدح مقدرة
فلا ترد موردا صارت مكدره * يا لائمي في الهوى العذري
معدرة

مني إليك ولو أنصفت لم تلم
إني أسير الهوى مداوم الذكر * وليس يمكن إخفائي في الفكر
فكيف إخفاء شمس طلعة الظهر * عدتك حالي لاسري بمستتر
عن الوشاة ولا داعي بمنحسم
وانصح لخل بما قد كان ينفعه * فلا ترم بزوال الشيء يودعه
رب الورى في حشاياه ويوقعه * محضنتى النصح لكن لست
أسمعه

إن المحب عن العذال في صمم
ضيعت دهرى في شغل وفي أملي * حتى بدا الشيب لم أصلح به
عملي
كأننى لم أر ما لاح في قللي * إنى اتهمت نصيح الشيب في عذلي
والشيب أبعد ف نصح عن التهم

استهل الشاعر في تخميسه بالشكر على الله والثناء عليه الذي هو غني عن كل شيء وخالق للإنسان بل للكون جميعاً له تعالى الوجود بلا بداية، وله البقاء بلا نهاية، وله الكلام، ومن كلامه القرآن الكريم الذي بين يدي بني البشر، ثم استمر قائلاً إنه تعالى بصير بأعمال العباد وتنزهه عن كل عيب ونقص فضلاً عن الصمم ثم عاد ثانية مجدداً الحمد والشكر لله بنفس الكلمة ليعبر عن اهتمامه بها ولعل السر في هذا من ضمن التبركات بالفاتحة التي هي أم القرآن أو هي أعلى الذروة للشكر على الله تعالى أو لأنها تملأ الميزان 278، وبعد أن أسند الشكر والثناء إلى الله شرع الأديب يظهر بعض أفعاله تعالى وهو إيجاد الخلق بعد أن كانوا في عالم الغيب وهو العدم ثم الصلاة على المصطفى المختار المبعوث منذ القدم 0

2. أمن تذكر عرفات أو الحرم * أو زمزم أو حطيم كنت ذا ألم
أولعلو أحد أوترعة النعم * أمن تذكر جيران بذى سلم

مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

3. وحر نفسى خليلي ما بصارمة * جيوش حب غزت ليست

بسالمة

وكيف تسلم بأشواق ملازمة * أم حبة الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من إضم

والدور الثاني من التخميس انطلق الأديب قائلاً أمن ذكريات عرفات وهي تلك البقعة الطاهرة المباركة التي بالوقوف عليها يتم تقديم أعظم ركن من أركان الحج ثم ذكر الحرم الذي هو الحرم المكي أو مكة نفسها وذكر ماء زمزم وهو "لما شرب له" 279 والحطيم وهو موضع في الكعبة بل إنه بين الحجر الأسود إلى زمزم وإلى مقام إبراهيم في أصح الأقوال ويقول المسافع بن عبد مناف

278 وفي الحديث الصحيح كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله الحمد لله روه البخاري في كتاب التوحيد رقم 58، والدعوات رقم 66 ومسلم كتاب الذكر رقم 20.

279 كما جاء في المستدرک للحاكم، وفي رواية عند البيهقي "طعام طعم" وعند مسلم "شفاء سقم"

الحلف وسط البلد المحرم * عندحطيم الكعبة المعظم
فذكر هذه الأماكن المقدسة: عرفات، والحرم، وزمزم،
وحطيم، وأحد، وترعة نعم، وكلها يتألم الشاعر بذكرها علماً بأن
الحبيب صلى الله عليه وسلم قد قام وعاش فيها بذاته الطاهرة وأنها
لوقوفات تحيي القلوب ومن تذكر جيران ذي السلم الكائن بين مكة
والمدينة وبتذكر هذه الأماكن الطاهرة خلطت الدموع من العين بالدم
لشدة الألم والحزن. لاشك أن هذه مشاعر ووجدان تحرق القلوب،
وتجرح الأفئدة، وتؤثر على الحياة بإمعان النظر فيها 0

ويقول الأديب بعد أن ذكر آثار ديار الحبيب وما يعانيه
واستعمل في ذلك كلمات كانت تعبر عن دقة الإحساس وغاية
الشعور فقد استطاع هذا الأديب أن يأتي ببحر، وجيوش، وغزوات
ومسالمة، وأشواق، ولا تعبر هذه الكلمات إلا عن عذاب شديد
أوحرب ضروس، أوفقد أمن، أونصر عزيز وأشواق تغمى على
صاحبها، وكأن الشاعر يقول هذه الحرارة هي التي تعذبني في قلبي
ونفسي لحب خليل غير منقطع ووصف الحب بجيوش لتدرك حقيقة
شوقه وغرامه، وأن الأمر لم يكن سهلاً فجاء بصورة فنية أدبية
فصور الحب بميدان المعركة ولا يريد الصلح حتى النصر، وكيف
يقبل الصلح والحال أن الأشواق المعذبة له كانت تلازمه ولم يحن
ذلك الوقت بعد، وأصبح الأمر كأنه يخاطب غيره ويقول وهل هبت
الريح من جهة مكة، ولما البرق من جهة الإضم ويقصد بالمكانين
محبته للنبي صلى الله عليه وسلم وشدة شوقه له .

إن جاء ناصح أترضى بماقد أتى * أويستوى عنك ناطق ومن

سكتا 281

غريق بحر الهوى يأبى بما ثبتا * وما لعينك إن قلت اكفها همتا
وما لعينك إن قلت استفق يهم

280 معالم الجغرافية الواردة في سيرة النبوية موقع الإسلام "إنترنت"

281 أتى الشاعر بالزحاف المركب الذي هو الخبل بجمع بينالخبين والطي في تفعلة واحدة
ولا يصح هذا في بحر البسيط لأنه من الشعر الفني، بل يختص بالأراجيز. والأرجوزة ليست
بالشعر الأدبي .

الله يعلم من فى قلبه ألم * للشوق فى صدره وهو ينكظم
أموره ظاهر كمن به سقم * أحسب الصب أن الحب منكم

ما بين منسجم منه ومضطرم

يعيش الشاعر لحظة أخرى حيث يقول إن جاء ناصح
ينصحنى فى أمر الحب لافرق بينه وبين من لم يتكلم عنده لأننى
لاأقبل النصيحة والذي غرق فى ماء الحب لايرضى بأى دليل
ولوصح، وكأنه اندفع يظهر دليلاً فى قوله إن الله هوالذي يعلم
مايتألم به من الآلام والعذاب نتيجة الشوق فى صدره والمتعذب بها
وكانه يحرقه فيه وكل أموره وتقلباته سقمة لانشاط فيها ولاحيوية
عنده لتراكم الأمور وشدة المعاناة، وسوء الحالة، والهدف فى البيتين
إظهار المشاعر والأشواق عند الأديب بغية أن يشاطره غيره فى
معاناته وإحساساته معاً، لعل تحركه بهذا قد يجد منفذاً للراحة لحظة
غرامه الذي يعتز به دون جدل أوريب، نلاحظ أن الباحث قد وضع
خطاً عند بداية البيت الرابع إشارة إلى وجود انكسار الوزن فيه 0
وغصت فى البحر لكن كنت فى غل * لضرب عشق لخلدي كنت
فى علل

لأجل ذاك أجول صرت كالمثل * لولا الهوى لم ترق دمعاً
على طلل

ولا أرقت لذكر البان والعلم

والعين لشوقها فى ليلها شهدت * دموعها تنهمى أبدا بما قد بدت
وشفها الشوق لاعقل بما عمدت * فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت
به عليك عدول الدمع و السقم

ياطالباً للمنى بعد الونى وعنا * بادر وقدم متاباً أوثناء هنا
فحبذا قلب مشتاق يروم سنا * وأثبت الوجد خطى عبرة وضنا
مثل البهار على خديك والعنم

وأما الدور السادس والسابع فيوجد فيهما تصويراً فنياً رائعاً
من الأديب حيث أعطانا صورة حية تحكم بانغماسه فى بحرالشوق
ومع هذا لم ينج من عطش، ولم يقدر على الحصول حتى على
غرفة ماء ليروي ظمأه، ولعشقه هذا أصبح فى مرض ومن أجل
هذا وذاك صار يضرب به المثل، ولولا الحب المحيط به لما نزلت

الدموع على الخدين أوسهر الليل لتذكر مكان البان وجبل العلم.
صوّر الشاعر العين وماتحويه من المتاعب كسهران ونزول الدموع
مدراراً دون أن يسند إليه دية بما يعمل فكيف ينكر الإنسان هذا
الحب بعد إثبات شهادة العدول لهذا الحب شهادة تؤكد مصداقيته من
الدموع والأسقام ففي هذا مقصد للأديب يريد أن يصل إليه إستدلالات
بمدلول عقلي هائل لتوثيق المحبة والأشواق له 0

وفي الدور الثامن أتى بصياغة رائعة فيها بديع فني جميل يقدم
النصيحة للقارئ مع رفضه إياها بما هو مصر فيه ويتماهى في
العكوف عليه ولا يعني هذا أن ليس في الأمر مصلحة إنما هو تفنن
للأدباء، وتغيير للأساليب، وتحريك لحرارة العاطفة، التي تتوهج
من الوجدان والشعور 0 ثم انطلق ينادي طالباً للجزاء لمن يرغبه
وكان الشاعر يبرر ما هو فيه وما يرجو أن ينال بعد الغرام والحب
الشديدين للمصطفى صلى الله عليه وسلم، والذي يريد الجزاء لا بد له
من تقديم توبة نصوحة وعمل صالح متقبل في الدنيا قبل مبادرة
المنية عليه، ولعله يقصد بالثناء حب المصطفى صلى الله عليه
وسلم، وبهذا قد تخفف له شدائده ومعركته الدامية في هذا الحقل
العشقي 0 فاستمر يقول ياليت قلب المشتاق يقصد التوجه والتقرب
إلى الله تعالى وبهذا ندرك تماماً أن نية الشاعر نيل الدرجة العليا
توسلاً بهذا الحب العميق، وأن الحزن والشوق تركا أثراً يعرف به
مثل البحار على خديه من كثرة الدموع 0

وخضت بحر الهدى والشوق مزقني * دخلت ظل أمان الحب
أفلقني

وحر قلبي لأشواقى أحرقني * نعم سرى طيف من أهوى فأرقني
والحب يعترض اللذات بالألم

وبدت جبين لذي الأشواق مسفرة * يبدي بما عنده للمدح مقدرة
فلا ترد موردا صارت مكدره * يا لائمي في الهوى العذري

معذرة

مني إليك ولو أنصفت لم تلم

وبتدبر الدورين السابقين نشم رائحة أخرى تخاطبنا من
عاطفة الأديب عن مدى غليان هذا الحب وحرارته المدفونة لهذا

الشوق الوجداني، حيث قال (مزقني الحب) و(أقلقتني الأشواق)
(حرقني من أهوى فأرقني) تجد رائحة مجازية تحوم فوق أجواء
هذا الأديب، وخاصة أنه وجد سفينة فدخل بها بحر الهدى، وتظلل
بظل الأمانى ومع ذلك لم ينج من الغرق أو من حر الهاجرة 0
وأما قوله في الدور العاشر فإنه يعكس بأن العاشق أصبح
مكشوفاً يعرف حاله في هذا الحقل الحبي الذي يمكنه الزرع
والحصد، ثم أبدى نوعاً من الضعف والخلل في الثقة كأنه تعب
بمعاناة الغرام، ومحذراً غيره بأن لايرد هذا البحر الخصم الصعب
الدخول، وبهذا ندرك إظهار خباء ظل طويل يتأجج في صدره
ولو أن لائمه في الحب كان منصفاً لما لامه بعد، لمايكابده من شدة
وعذاب 0

إنى أسير الهوى مداوم الذكر * وليس يمكن إخفائي في الفكر
فكيف إخفاء شمس طلعة الظهر * عدتك حالي لاسري بمستتر
عن الوشاة ولا داعي بمنحسم
وانصح لخل بما قد كان ينفعه * فلا ترم بزوال الشيء يودعه
رب الورى في حشاياه ويوقعه * محضنتي النصح لكن لست
أسمعه

إن المحب عن العذال في صمم
13. ضيعت دهري في شغل وفي أمني * حتى بدا الشيب لم أصلح
به عملي

كأنني لم أرما لاح فى قللي * إنى اتهمت نصيح الشيب فى عدلي
والشيب أبعد فى نصح عن التهم
وفي الدور الحادي عشر خاطبتنا عاطفة الشاعر بوضوح أنه
أينما صار يديم التفكير والتذكر لحبيبه، ولاشك أن هذا مضر للعقل،
ومنه قوله تعالى " تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من
الهالكين " 282 وقد بَعُدَ به الأمر حتى أنه لا يستطيع أن يخفى
مشاعره في فكره كما لا يمكن إخفاء ضوء الشمس بعد طلوعها وقت
الظهر وكذلك لا يمكن إخفاء سري منك ومن الوشاة 0

ثم استمر الشاعر في الدورين الأخيرين الثانى عشر والثالث عشر، يبرز نوعاً آخر مع كونه يريد النصح مما قديفده وينفعه وفي الوقت نفسه يخاطبنا الشاعر ويقول أن ما يعانيه من الغرام والعذاب ليس من صنعه بل إنما هو وديعة أودعها الله فيه وأبقاها فلا مجال التصرف البشري أو المداخلة، وظل في الوقت نفسه يعاتب نفسه بإضاعة الوقت، وبأن الحياة كلها شغل وآمال، وها هو المشيب قد ظهر في لممه .

العتاب والعذر:

سجل الأديب مشاعره وأحاسيسه في تخميسه لأبيات البردة وتم إنسجام أبيات التخميس بأصل البردة، إلا أن بعض الأبيات تفقد انسجاماً معنوياً أو العكس، ومع ذلك ينال القارئ شوقاً كبيراً، ويجعله يتدبر معاني القصيدة ومحتويات التخميس شكلاً ومضموناً بكل المعايير .

اللوم والتحذير الذي يبوح به الشاعر من إنذار لأمر الهوى وعدم الميل إليه، وأن ذلك يفتح باباً للهلاك وسبيلاً لتغلب الشيطان على المرء وأنه مبدء لسخط الخالق على المخلوق. يقول:

وشيبتي منذر نفسي وما ارتعدت * ولا التفات لها أبداً وما قصدت
إلى أمور الرضى قط وما اجتهدت * فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت
من جهلها بنذير الشيب والهرم

والشبية التي يراه المرء بغتة، دون أدنى ريب تدل على فناء العمر ولكن مع ذلك أن النفس ما خافت ولا قصدت رضى الله تعالى ولا رضى رسوله صلى الله عليه وسلم، وكذلك لم تتعظ من هواها، وكل هذا لجهلها بنذير الشيب والعجز الذين قد يصيبان الإنسان تلقائياً بتوالي الأيام ومرور السنين .

مشاطرة الشاعر نوعية الزجر والنصيحة والإرشادات التي قام بها تجاه من غرته هواه وطمع من خلالها زخارف الدنيا وشهوتها فقال:

فلا تخاف لما من حوبها صدرا * وهدمها لحدود الله ما سترا
ولا شراب لها إلا لما كدرا * ولا أعدت من الفعل الجميل قرى
ضيف ألم برأسى غير محتشم

طلوع شيب لذي عقل فمذره * ضعف العروق فيأتيه بنا ظره
سقوط أسنانه خِلَّ يسامره * لوكنت أعلم أنى ما أوقره
كتمت سرا بدا لي منه بالكتم
ندت ندودا بترك من هدايتها * ودخلت في عرين من عمايتها
كعبتها شهوة دوما لغايتها * من لي برد جماح من غوايتها
كما يرد جماح الخيل باللجم
هي العدوّة كم تردي بقسوتها * وحبها لزخارف وجفوتها
حب الرياسة برطيل لغزوتها * فلا ترم بالمعاصى كسر
شهوتها

إن الطعام يقوى شهوة النهم

فلا يخيفك ما كسبه هواك من الذنوب وانتهاكه حرمانات الله
لم يستر، ولا يكون ساتراً لصاحبه، ولا يسمح له يوم القيامة بالشرب
من حوض المصطفى صلى الله عليه وسلم، إلا ما كان منكدرًا من
صناديد أهل النار والعياذ بالله، ثم استمر يقول فإن ظهور علامات
الشيخوخة وعجز الأعضاء اقتلاع وسقوط الأسنان تاركة الطعام
الذي تعض بها وتمضغه، وكله إنذار قوي وزجر مخيف لنهاية
قريبة وحساب عاجل، ثم سلك الشاعر مسلك الاستعارة في قوله
(كعبتها شهوة) أى اتجه نحو هواه وما يطيّبها نتيجة ذلك أصبح
بعيداً من هداية نفسه فألهمها فجورها ولم يلهمها تقواها، وبقيت في
الضلالة ظناً هي في الهداية، قال تعالى "الذين ضل سعيهم في
الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا" 283. ودائماً يسعى
لتحقيق غاياتها ومع ذلك يتأسف لو كان له قدرة على تحويل أمرها
ووضع لجام لصرفها إلى رشدتها وهدايتها لفعل، هذا دليل على
سيطرة الهوى للمرء وهو من أشد الأمور خطورة وأكبرها صعوبة
في التحكم لما تعتاده عليه من رغباتها وديدنها.

ويقول الشاعر في الدور الخامس إن النفس من الأعداء وقد
تهلك صاحبها من شدة قسوتها وغفلتها وحبها لزخارف الدنيا، كحب
الرياسة، ولو عن طريق القوة لذلك ذكر (الرطيل) الذي هو بمعنى

سلاح، وختم البيت بنهي صارم ألا تطيع أوامر النفس أو شهوتها
فتردى .

وفي أبيات أخرى يزجر عن شرب الخمر، والكسل، ويأمر
بالتزام أعمال الخير وترك العجب، والغيبة، هما مقتان عند الله
وأعمال فاسدة وهي رأس الخطيئة، ولا نجاح إلا لخوف الخالق
سبحانه وتعالى وطاعته، وأن النفس مثل الطفل إن تركته على هواه
يعيش عليه وإن صرفته إلى الطاعة، يقوم عليه مثل الصبي في
الرضاع والفظام .

قم وشمر لإعلاء دين الله الذي أساسه العلم والتعليم، وبه يكون
الدين عزيزاً وبسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم يكون جليلاً
مترفعاً، حذاريك أن تعطي ولاءك للهوى وإن فعلت سرعان ما
تهلك. أجمع العارفون على ذم الهوى وورد في ذلك الآيات،
والأحاديث 284.

وفي الدور الثامن إلى الثالث عشر أتى الشاعر بأسلوب جديد
يذم الهوى والابتعاد عنه في هذا العمل الأدبي الخمس، وأكد
الشاعر أن الهوى علم فنون الشر كثيراً، ثم نهى أي إنسان عاقل
بقبول القول منه علماً بأنه ظالم جائر .

6- فإنها بفنون الشر عالمة * لاتقبل القول منها وهي ظالمة
وإن بدا الدين ترجع وهي عالمة * ورا عها وهي في الأعمال
سائمة

وإن هي استحلّت المرعى فلا تسم
وكم تبانّت بقول النصح قاتلة * رمت إلينا محاسناً شواغلة
ولا تراها سوى بالشر فاعلة * كم حسنت لذة للمرء قاتلة
من حيث لم يدر أن السم في الدسم
لقد نصحت إليك كن بمستمع * مهمى أكلت طعاماً كل بمنتفع
وكثرة الأكل يمنعك من الورع * واخش الدسائس من جوع ومن
شبع

فرب مخمصة شر من التخم
إن كانت نفسك بالأوزار ماهدأت * لكونها أعين الأديان قد فقئت

ككونها بفروض العين قد ظمئت * واستفرغ الدمع من عين قدا
متلئت

من المحارم والزم حمية الندم
إن خفت ربك فاجعل شغلك الخدما * وذرهوى نفسك تسلم وتغتتما
واصحب مطيعا ولا تأوى لمن أتما * وخالف النفس والشيطان
واعصهما

وإن هما محضًاك النصح فاتهم
11- لا ترض بالقول من تراه متهما * ومن يقم لبناء الدين منههما
وجوده فى الزمان يعدل العدما * ولا تطع منهما خصما ولا حكما
وأنت تعرف كيد الخصم والحكم

وبررّ الشاعر قوله بأنه وإن ظهر الدين واضحاً صحيح لا
يقبله الهوى، بل يتراجع علماً بأن هذا دين الحق، وسبيل لنجاة العبد
يوم القيامة، واحفظ النفس وهي في الأعمال كالبهيمة، إذا رأت ما
تشتهيه تقع فيه بغض النظر عن الجواز أو الحرمة، ثم استمر
الأديب يذكر بعض الأنواع من شرورها وهي أن تأتي بأسلوب
النصيحة وفيها سم قاتل أو توسوس للإنسان وتزين له المحاسن
وهي تريد أن تشغله، ولا تنظر إليها ناهيك أن ترضى بها وكثيراً ما
تحسن السم فتراه طعماً لذيذاً ودسماً شهياً وهو قاتل من حيث
لا تدري، ثم بين الشاعر بأنه نصحتك فاقبل النصيحة، وزجرتك،
ومهما أكلت طعاماً كلّ منتفعاً، أي إن أردت أن تعمل عملاً حاول أن
تعمل أجمله وأصحّه عند الله، لأنه ينفعك عند الله يوم القيامة وأما
الأعمال البشعة فلا تنفع عند الله ولا تنال رضا إلا عذاباً وعقاباً منه.

وأضاف قائلاً إن تزجر نفسك من الذنوب، ولا تربي الأعمال
الطاعة سبيلاً، فقد أن الوقت بأن تتعظ وتترك هواها وتكتسب الخير
بالعودة إلى رشدّها وهدايتها، لأنّ الأوان قد فات، والأيام والشهور
تمضي، والرحلة تقرب، ولهذا إلزم الندم على ما فات، واقصد أن
لا تعود إلى ذنب .

فان قبلت هذه النصيحة، وخفت الله إجعل أعمالك خدمة للدين،
وأبعد نفسك عن هواها تفوز، والتزم رفيق الخير واصحبه ولا

ترضى بقرين السوء، فالنفس والشيطان رفيقان خالفهما تسلم، وإن محضاًك النصح فلا تقبل لأنه مزج بسم وغدر .
وقد ذكر الشاعر بعض الأوصاف لقرين السوء، وهذه الصفات هي: الرجل المتهم، والصّاد عن سبيل الله، والذي يحاول هدم الدين بكل وسيلة متاحة له .

فالببيت الثاني عشرة إلى الرابع عشر يقول الأديب:
12- مقالتي بين تلميذي على مثل * مثل الطبيب يداوي وهو ذو
علل

قطعت دهري في شغل وفي خطل * أستغفر الله من قول بلا عمل
لقد نسبت به نسلا لذي عقم
وخضت بحرا لو عظ ما شربت به * أيقظت لكنني لست بمنتبه
لفظي لما قلته قد ءال للشبه * أمرتك الخير لكن ماأتمرت به
فما استقمت فما قولي لك استقم
وعاقل يعتد للسير راحلة * يقوم في ليله بالدمع سائلة
ونفسي ما أتت للبر فاعلة * ولا تزودت قبل الموت نافلة
ولم أصل سوى فرض ولم أصم

لم يزل الأديب يلقي النصيحة ويحذر ويلوم نفسه، ويتغافل كأنه ينصح طالبه وتلميذه بأن يكون ذا أخلاق فاضلة وسلوك طيب ولكنه لم يتمثل بنصيحته وأوامره، وهو الطبيب الذي يداوي وهو مريض قضى دهره وأيامه في أمر قبيح وتجارة خاسرة، ثم استغفر الله من قول بلا عمل، حيث أظهر أنه خاض بحراً ولم يشرب من مائه، وأيقظ الناس وهو لم يكن منتبهاً، أي أمر بالخير ولم يأتمر به، وأن العقلاء يعدون الزاد للرحيل وهو المركب، وكثرة النوافل بالليل، وعاد مرة أخرى يلوم نفسه أنه لم يقم بأعمال البر والطاعات، ولم يقدم كثرة النوافل من الصلاة والصوم، ليجد بها الشفاعة عند الله ويغتتم بالخير في ميزانه .

وختم الشاعر هذا الموضوع ببيان بعض المزايا، التي يتمتع بها العاقل في قيام الليل عبادة، لذا ذكر البكاء لتدرك أن ما يقوم به العبد لا بد من التقوى، ثم كرر الأديب اللوم على نفسه، من عدم البر

والنوافل التي يتخذها زاداً له في هذا السفر الطويل، لكل مخلوق
متنفس على وجه هذه التربة .

. مدح النبي صلى الله عليه وسلم

وفي المدح تطرق الشاعر ثلاث نقاط، التي هي زهد النبي
صلى الله عليه وسلم وتقشفه في الحياة، وعن شرف المصطفى
ومنزلته بين الأنبياء، وصفاته عليه الصلاة والسلام. وظهر ذلك في
الآبيات التالية وهي:

ونمت فى ليلى إيلاء فى الكسلا * علمت طرق الهدى لم أسلك السبلا
دأب الكرام قيام الليل لامللا * ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى
أن اشتكت قدماه الضر من ورم

من العجيب لمن حاز العلا وحوى * ترك الدنيا ترك النطق أى
بهوى

واقبلت نحوه الفاني أبى وزوى * وشد من سغب أحشاءه
وطوى

تحت الحجارة كشحا مترف الأدم

ونعم من فاز بالعلوم والأدب * واختار رب العلى لم يرض بالنشب
وبعد ملك الكنوز يقيم بالسغب * وراودته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فأراها أيما شمم

ترتيل قرآن فى الدياج سيرته * بدرية للدنا بانة بصيرته
لأجل ذا كل من يؤمن عشيرته * وأكدت زهده فيها ضرورته

إن الضرورة لاتعدو على العصم

مالختار دار فناء قط منذ سكن * وتركها جملة لديه وهو حسن
كيف إحتياج إلى مطروحة كالشعن * وكيف تدعو إلى الدنيا

ضرورة من

لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

التزم الشاعر عتاب نفسه وهذا من عادة الأدباء فذكر مناقب
سيئة وأخرى حسنة، وندد القول بأنه اتصف بالقصور وتطفيف
العمل بالنوم والكسل، وترك سبيل الهدى بعد علمه به، وشيمة
الكرام قيام الليل وإحياء سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبعد
أن جعل هذا العتاب كتمهيد بدأ يلتفت إلى زهد المصطفى وتقشفه لما

رأى من خصوصية النبوة وهو تركه للدنيا الفانية وتوجهه نحو الآخرة، مع أنه حوى كل مجد وعلا، بل وقد غفر له ماتقدم و ماتأخر من ذنبه، وفاز بالعلوم والأدب، واختار رضى الله مبتعداً عن غضبه، ولو أراد كنوز الأرض لوجدتها ولكنه يقوم على جوع شديد بعد ماكنوز الأرض تراوده، انظر إلى هذه الاستعارة الجميلة.

وبعد الإحاطة بالبيت الرابع والخامس يظهر جلياً أن ترتيل آيات القرآن سيرته صلى الله عليه وسلم ولم لا! وعليه أنزل، كذا طرده لدنيا زاد فطانتته وأثبت زهده والقضاء على ضرورته، والحال أن الضرورات لا تتحكم على الأنبياء والرسل، وختم الموضوع بأن اختيار المصطفى للآخرة دون الأولى ختماً، وقد طرحها جملة كحطام النبات البالية، ثم أثبت في البيت أن الضرورة لاتناله، إذ لولاه لظلت الدنيا معدومة الوجود. وبعد أن سرد الشاعر الموضوع الأول تشرف إلى ذكر الثاني وهو منزلته بين الأنبياء والخلائق، انظر ما يقوله الأديب من هذا القبيل:

يا سيد الأنبياء حبي فخذ بيديّ * أنت الشفيح ولولاك فلسنا بشيء
شمس الهداية سعد الخلق ذلك أي * محمد سيد الكونين والثقلى

ن والفريقين من عرب ومن عجم

أتى النبي بقرآن هو السند * آياته جملة للأذكياء مدد

لها معان كثير كله رشد * نبينا أمر الناهى فلا أحد

أبر في قول لا منه ولانعم

شفيح كل الورى فازت جماعته * وجاء في آخر ترفع ساعته

وكل من جبه نفقت بضاعته * هو الحبيب الذي ترجى شفاعته

لكل هول من الأهوال مقتحم

أتى بدين قوى غير مشتبه * أهل السعادة تأتي يأخذون به

وكل أخذه فاز بمطلبه * دعا إلى الله فالمستمسكون به

مستمسكون بحبل غير منقصم

بجاهه جلّ نجى نوحا من غرق * به السلامة للخليل من حرق

لولاه لم يخلق الإنسان من علق * فاق النبيين فى خلق وفى خلق

ولم يدانوه فى علم ولاكرم

فقد استهل الشاعر هذا الغرض بنداء وعبر المنادى بأنه سيد الأنبياء يناديه الشاعر لينال الشفاعة وسماه أيضاً شمس الهداية، وسيد الكونين، الدنيا والآخرة والثقلين من الإنس والجن فقد أتى بالقرآن الذي آياته فيها معاني رشد وهو شفيع الورى وكل من لصق قلبه بحبه فقد فاز، وصور الشاعر الموضوع بالبضاعة لشدة حبه والإيمان به، وأتانا بدين قوي عجز البشر في صده والقضاء عليه منذ عهد القديم ناهيك عن الحاضر، والمستمسكون هم الفائزون، فقد استمسكوا بحبل الله المتين وعبر الأديب أيضاً قوله بجاهه صلى الله عليه وسلم نجا نوح من الغرق، وخليل الله إبراهيم من الحرق، بل لولاه لم يخلق الإنس من علق، وفاق النبيين في خلق وفي خلق ولاشك يعبر الشاعر هذا القول بكل إحساس مندفع تجاه ذكر هذه المناقب، ويؤكد لنا منزلته الشريفة ومقامه المحمود بين الأنبياء خصوصاً والخلائق عموماً.

ولم يزل الشاعر يظهر مزية هذا النبي ويرتل مناقبه ويهتف بصفاته لنشاط حقيقة مايقول، بيد لأحد ينكر تلك المرتبة العالية، وذلك المجد، وشرف ذاته الذي يعلمه تاريخ هذا الكون بلا مرأء، ننظر إلى هذه الأبيات لنشاهد معالم أخرى من الرفعة والقدر المنسوب إلى جنابات المصطفى وشخصيته الفذة:

20. وقل زكى زعى ينجى من تلف * كذا بهى سخي صاح من

وصف

أثناه رب العلى يكتب في صحف * وانسب إلى ذاته ما شئت من

شرف

وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

لسائر الناس رب الناس أرسله * وتابع غيره والدين ليس له

لكافة الخلق فضله وأهله * فإن فضل رسول الله ليس له

حد فيعرب عنه ناطق بفم

جند الملائك صاروا كلهم خدما * والأنبياء كلهم أنصاره قدما

لمكته في المدينة أصبحت حرما * لو ناسبت قدره آياته عظما

أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

ببركة منه تيسير لمذهبه * أزال رب الورى ثقلا كمرغبه

وكان موسى الكليم قد أشار به * لم يمتحننا بما تعيا العقول به
حرصا علينا لم نرتب ولم نهم

وفى الدور عشرين أراد الشاعر أن يصف محبوبه بصفات
المجد والكرم التى يستحقها فانطلق يختار الكلمات الجزلة التى تعبر
بدقة عن المعنى الذى يريد أن يسمعها ويرسلها إلى أحباب محبوبه،
ليزدادوا يقيناً وليحسوا بهجة في نفوسهم، فكلمة زكي، وزعي
تعبران غاية طهارته وعدله الشاملة لأمته، وأما كلمتي زهي،
وبهي، فتعبران صفات أخرى التى هي سعة الصدر والنفس والجود
لما يمتلك من كنوز الدنيا وغيرها وليس في الأمر مبالغة الشعراء،
ثم برر الشاعر قوله أن هذا الممدوح أثنى عليه الله في القرآن،
والحاصل انسب إلى ذاته صلى الله عليه وسلم ما شئت من صفات
الشرف والكرم .

وفى الدور بين الشاعر أن الله هو الذى أرسل النبي صلى الله
عليه وسلم إلى الناس كافة وصرح الحقيقة أن تابع غير النبي ليس له
من الدين في شيء، ثم تكرم بذكر تفضيله وتأهيله على الخلق وليس
لهذا الفضل والتأهيل حد ينطق به، وملائكة الرحمن صاروا لشرفه
خدماً والأنبياء أنصاره منذ القديم، ولمكانته العليا المدينة أصبحت
حرماً آمناً، وأن قدره تفوق آياته عظماً، وفي البيت أتى بإشارة
مخفية على سبيل الإلماح عن تخفيف الله تعالى عدد الصلوات
ببركته، ثم بإشارة موسى عليه السلام لنبينا محمد تم تخفيف أمر
ال صلاة، ولو شاء ربنا لابتلانا وامتحنا بها، وكل ذلك حرصاً لنا
معشر الإسلام .

ولم يزل يفصح الشاعر عن وجدانه ويبيوح مجداً وكل
ما يحظى به الرسول من الشرف والكرم واستمر يقول:

24. وحين جاءت الدنا زالت غياهبها * وغيمة الكفر فانجابت
سحائبها

لأنه سيدالخيرات صاحبها * فإنه شمس فضل هم
كواكبها

يظهرن أنوارها للناس في الظلم

طلوع نجم يزيل بعض ما سودا * لكن يبين للمقصود إن قصدا
ونوره نافع إن قمت مجتهدا * حتى إذا طلعت في الأفق عم هدى
للعالمين وحيا سائر الأمم

وانطلق الشاعر يقرأ آيات المجد ويهتف بثنايات العز وهو أنه
لما جاء إلى هذه المعموره زال ظلامها وانتشر البهجة والنور،
وانتهى ظلام الكفر وزالت سحابته، وهوسيد الخيرات، وشمس
الفضل، وسائر الأنبياء كواكبها، ولا يظهر الأنوار إلا في الظلم،
وظلوع النجوم، لا يزيل إلا شيئاً قليلاً، وبسيطاً وطلوع نور
المصطفى في الأفق عم النور جميع العالمين، وأحيا سائر الأمم .
ولم يكتف الشاعر بهذا القدر من شرفه بل استمر يذكر صفاته
ويعلن مدى جلالته، وعظمتها، وما تمتاز به من حسن الذكر،
والثناء، فقال:

معتدل قامة ووجهه طلق * وإن تكلم جاء المسك يعتبق
بحر وجود وفي الخيرات مستبق * أكرم بخلق نبي زانه خلق
للحسن مشتمل بالخير متسم

إن رمت تشبيهه بالحسن من وصف * جبينه فاق شمسا نوره يكف
ولين الجانب بحر لمقترف * كالزهر في ترف والبدر في شرف
والبحر في كرم والدهر في همم

تري قریش عجاباً من رسالته * حتى تحقق حقا من مقالته
الله أرسله ذي من رسالته * كأنه هو فرد في جلالته

في عسكريين تلقاه وفي حشم
ووجهه كطلوع القمر ذي النصف * وثقره كسنا للبرق ذي الخطف
موسع الصدر مرفوع إلى الكتف * كأنما اللؤلؤ المكنون من صدف
من معدني منطلق منه ومبتسم

أغنه يرعد لعظم هيئته * جليسه لا يمل نظر جبهته
تموج النور تغشى عند نظرته * تعيا العقول كلا لا عند رؤيته
كأنما نظرت للشمس من أمم 285

الله شرفه حقا وكرمه * ويأمر الكل بعده وعظمه
وطيب قبره فضلا وفخمه * لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه

طوبى لمنتشق منه ومبتسم

بدأ الناظم يعدد صفاته صلى الله عليه وسلم الخلقية وما تمتاز به، فهو لا بالطويل الشنيع، ولا القصير المخل، وفي وجهه نور الشرف، والنبوة وكلامه يفوح منه المسك طيباً، وهو صاحب الجود، والخيرات ويتميز بصفات الرسل ومناقب النبوة، وهناك تماسك بين البيتين تماسكاً جميلاً، بحيث لا يفصل بينهما دون معرفة بالأصل، والتخميس، وقد استمر يذكر تلك المناقب النبوية وشبه وجهه بضياء الشمس، بل تفوقه وأن جانبه لين من حسن معاملته مع أصحابه، وكالزهرة حسناً وجمالاً، والبدر في غاية النور، والإشراق، وكالبحر عند تدفقه جوداً، وكرماً

ثم ذكر مايمس شجاعته، وبسالته، بين يدي قریش حتى تحقق لها أنه نبي مرسل، وبعد أن شبه وجهه بالشمس جاء ثانياً يشبهه بالقمر في نصفه، ولعل يرى الشاعر أن نور القمر أطف وأجمل من نور الشمس وإلا فالشمس أكثر بهجة، وأقوى ضوءاً، وهو موسع الصدر مرتفع إلى الكتف كأنه لؤلؤ المكنون في غلافه .

وقد زاد الناظم بيتاً ويتضح فيه نور صفاته صلى الله عليه وسلم، وبهجة إشراقه حتى يخافه العدو، ويتلذذ برؤيته الجليس ويتدفق النور في كل ساعة عند رؤيته، والنظر إليه، تلك محاسن لا يجمعها إلا هو صلى الله عليه وسلم، وتعجز العقول والعيون في تعداد صفاته وذكر محاسنه كما تعجز العين نظر الشمس من القرب. ثم ختم القول بأن الله شرفه ورفع ذكره وفضل قبره وكرمه ولا ترب على وجه الأرض يعدل ترباً ضمت ذاته صلى الله عليه وسلم على الإطلاق.

ذكر مولده، وأخلاقه:

تكلم الشاعر هنا عن إشراق وجوده صلى الله عليه وسلم،
وعلامات ذلك،
ثم تطرق أيضاً عن الهم، والأحزان التي حلت بالكفار إثر كيانه،
اسمعه يقول

زمانه زمن فاز بمفخره * وسعدنا كوننا نُحيت منبره
ونوره لم يزل أبداً لمظهره * أبان مولده عن طيب عنصره
يا طيب مبتدأ منه ومختتم

لما إله الورى أمنع جنهم * عن إستراق وبالأنوار أجنهم
وأوجسوا خيفة تثبت 286 ظنهم * يوم تفرس فيه الفرس أنهم
قد أنظرو بحلول البؤس والنقم
وإن يد الحق والبطلان يرتدع * لما لمع برق سعد كُفْرُ ينقطع
ونوره مذ بدا والشرك ينقطع * وبات إيوان كسرى وهو منصدع
كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
ناموا أقاموا زمانا فى شفا جرف * حتى أتى سيد السعداء بالحنف
ينقذهم ويُنَجِّيهم من التلف * والنار خامدة الأنفس من أسف
عليه والنهر ساهي العين من سدم
نيران كفر لقد تطفى جُميرتها * وظنهم قبل ذا تُحمى نويرتها
وماء فارس أن غارت نُهيرتها * وساء ساوة أن غاضت بحيرتها
ورد واردها بالغیظ حين ظم

وتبين الأبيات الأحزان التي حلت بالكفار إثر وجود هذا
الأمين، وتذكر شدة العداوة، والحق، اللتين يكمنان، ويعججان في
صدور الكفار، والمشركين، معاً. ومنه قوله تعالى " ولتجدن أشد
الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا" 287 وعند تدبرك
للبيت الأول تجد الشاعر يثني على أيام الرسول، وسعادة أمته،
وبقاء نوره مدى الدهر، وقد أبان مولده من عنصرين عظيمين،
طيب السلالة، وطيب المسكن المقدس، وياطيب هذا المكان مكة

²⁸⁶ ويبدوا الصحيح هو: تثبيت

²⁸⁷ سورة المائدة: آية 82

المكرمة، والمختتم المدينة المنورة. وكذا لما جعل الله شهاباً رسداً ترمي بشرر لمسترقي السمع من الجن الذين أحسوا بحلول البأس عليهم، وهو النقم، لوجود ما يفسد كفرهم، ويقضى على باطلهم ارتدعوا ببزوغ فجر الإسلام، وبداية نور الإيمان ونهاية الشرك والكفر وانصداع إيوان كسرى، ولما أتى سيد الورى بالنور والدين الحنيف أنقذهم من الهلاك، ولنار الفرس والمجوس، التي تعبد خدمت أنفاسها الأخيرة بوجود نور الحق، ورسالة السماء، وطفأت أيضاً الجمرة المشتعلة في قلوب الحاقدين، وصدور الملحدين .
ثم استمر الشاعر يهاجم كيد الكفار، وعنادهم، للنور المبين الذي نزل ليضيئ أفق هذه المعمورة، وتوحد أمة محمد توحيداً شاملاً، اسمعه يقول:

جاءت تباشر شمس السعد طالعة * ورحمة تأتي لخيرات جامعة
نبراس حين أضاعت وهي رافعة * والجن تهتف والأنوار ساطعة
والحق تظهر من معنى ومن كلم
ياويح مرء إذا نفسا له ظلم * ولم يبال بإنذار النذير ألم
فيا خسارة مرء قد عمى وصمم * عموا وصموا فأعلان البشائر لم
تسمع وبارقة الإنذار لم تشم
كم كاهن مخبر طاحت ميادئهم * ولاقرار لمن هُدمت مساكنهم
قد أهلك الكفر واجتثت أماكنهم * من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم
بأن دينهم المعوج لم يقم

فقول الشاعر (جاءت تباشر) ويقصد بهذا الرسالة المحمدية التي تبشر بالخير ومن ثم طلعت نور السعادة، هتفت الجن بقدم النبي صلى الله عليه وسلم، ويظهر الحق من معنى النبوة، والرسالة، ويعنى عملياً، وقولياً، ثم تقدم الشاعر خطوة نحو الذين كذبوا هذه الرسالة، وظلموا أنفسهم، وأنذرهم بالويل والثبور لما لم يندروا به، وعميانهم عن الحق، وصد آذانهم عن قبول الحق، ورب كاهن أخبر بإنهاء كفرهم، وقلع جذوره، وأن دينهم منحرف وغير مستقيم .

ثم ختم الشاعر هذا المقطع بنجاح كبير، وقوة عظيمة اللتين ينالهما هذا الدين فقال:

حتى بدا الدين مرفوعا ويختتم * وختلت البيع والشيطان ترتجم
وخاب رصد لم توجد لهم كلم * حتى غدا عن طريق الوحي منهزم

من الشياطين يقفوا إثر منهزم

وقد رأوا لإستراق كل مكرهه * نيران تحرقهم من أيما جهة
ورحمة تَبْعُدُّ بكل مُشبهه * كأنهم هربا أبطال أبرهه

أو عسكر بالحصى من راحتيه رمى

6. الله فضل محبوبا له كرما * إذ فى حُنَيْن رمى الجيوش

تنهزما

إذ لم يزل بإله الحق معتصما * نبذا به بعد تسبيح ببطنهما

نبذ المسبح من أحشاء ملتقم

بنجاح هذا الدين، وعون الله سائده، وبه يختتم الرسالة، وخابت
الشياطين حيث تُرمى بشهاب ثاقب، ولم ينالوا ما أرادوا من استراق
السمع، وحتى ظل الشياطين يهربون كرجال أبرهه أوجيوش الكفار
في بدر، وغيره حين رماهم النبي صلى الله عليه وسلم، الله هو
فضّل نبيه، وحببيه ونصره على أعدائه، وعصمه منهم إلى أن
غلبت رسالة الحق أديان الأرض كلها .

معجزاته وإرها صاته صلى الله عليه وسلم

فى هذا الفصل شرع الناظم الكلام فى معجزات الرسول صلى
الله عليه وسلم، وإرهصات نبوته، إسمع إلى الأبيات الآتية:

وكم بمعزة جاءتة ماهدة * كنطق ذيب لراع الغنم راشدة

كفأك وحي الإله صاح شاهدة * جاءت لدعوته الأشجار ساجدة

تمشى إليه على ساق بلا قدم

لاربية لقريش جاء إقتربت * وجاء أمر حقيق كفر ما ذهبت

معاند يحدد لكل ما ثبتت * كأنما سطرت سطر لما كتبت

فروعها من بديع الخط باللقم

من العجائب أن الظل دائرة * فأينما جال جالت فهى وافرة

تقيه ما يتقى للحر فاترة * مثل الغمامة أنى سار سائرة

تقيه حروطيس للهجير حم

نقاه رب العلى طفلاً وكملة * وبعد تنقيه للقلب أرسله

وأظهر الدين دين الكفر بدله * أقسمت بالقمر المنشق أن له

من قلبه نسبة مبرورة القسم

بدأ المخمس كلامه بكم للتكثير، وكانت تأتيه المعجزة بارزة،
منها كلام الذئب لراعى الغنم، ودعوته لشجرة فأنته ساجدة تمشى
إليه بلا ساق ولا قدم وانشقاق القمر الذي نزلت فيه الآية في قوله
تعالى " اقتربت الساعة وانشق القمر"288 ومع ذلك أنكر
مجاحدوا الحق، وحتى بثبوت القرآن، ووضوح الآية الكريمة .

واستمر يتكلم عن معجزة الغمام الذي يُظل النبي صلى الله
عليه وسلم، ويغطي سماءه ليقيه من حر الشمس، وألم الهجيرة أينما
جال النبي اتجه معه، وبعد سرد تلك المعجزات أضاف معجزة
أخرى، وهى شق صدره عليه الصلاة والسلام لما كان صبياً، ومن
ثم أرسله نبياً ومرسلاً إلى الثقيلين كافة، وغلب دين الحق على الكفر،
وعلى اختراعات باطلة، وعادات فاسدة .

ثم تحدث الشاعر عن عصمة الله لنبيه صلى الله عليه وسلم،
وهذه معجزة عظيمة وقال فيها:

كشفٌ لما ستر المولى على العدم * على رفيقين حفظ الله لم يرم
سراقة سارع وسار بالندم * وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرفٍ من الكفار عنه عم

وَنِعَمَ غَارِ الَّذِي قَدْ يَجْمَعُ الْعِظْمَا * وَحَازَ خَيْرَ الْوَرَى خَيْرًا وَمَنْ
كِرْمَا

وَذَاكَ غَارِ حَقِيقِ فَائِقِ الْعِظْمَا * وَالصَّدَقِ فِي الْغَارِ وَالصَّدِيقِ لَمْ
يِرْمَا

وَهُمْ يَقُولُونَ مَا فِي الْغَارِ مِنْ إِرْمِ
حَوْكُ الْعِنَاكِبِ بَابِ الْغَارِ قَدْ سَدَلَا * وَبَاضَتْ الطَّيْرُ حَتَّى قِيلَ مَا
دَخَلَا

سِتْرَ الْمَهِيْمِنِ مَسْبُولٍ لَقَدْ نَزَلَا * ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ
عَلَى

خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسَجْ وَلَمْ تَحْمِ
وَنَفْسِ أَهْلِ التَّقَى لَيْسَتْ بِرَاجِفَةٍ * وَلَوْ تَرَى بِفَنَاهَا كُلَّ رَاجِفَةٍ
لَخَوْفِ رَبِّ الْوَرَى لَيْسَتْ بِخَالِفَةٍ * وَقَايَةَ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنِ مَضَاعِفَةٍ

من الدروع وعن عال من الأطم

فعند تواجد الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق في الغار حاول سراقاة العثور عليهما، وردُ خاسئاً نادماً، فقد حوى الغار الخير، والكرم، وعمى عيون الكفار عن رؤيتهما، ونيل شخصيتهما، يقولون ليس في الغار من أحد، لاشك أن هذه معجزة لايسأل عنها، وكانت خيوط العناكب قد سدت باب الغار، وباضت الطيرة في عشها، وجزم القوم بعدم وجود كائن حي فيه، وبرر الشاعر بستر الله هو الذي نزل، وسد باب الغار، وعمى عيون قريش عن نيل مرامهم، وغايتهم، ولكن كل ذلك لم يهز نفسيهما لما فيها من الإيمان واليقين بالله، ووقاية الله خير من الدروع، ومن كل سلاح يتسلح به الإنسان.

ثم استمر الشاعر متوسلابه صلى الله عليه وسلم وبفضل رسالته لينال شفاعته، ومرضات ربه في يوم اللقاء به فقال:
ومطلبى فى الدنا إتباع مذهبه * وليس عندى سواه من ألؤذبه
وعدله ظفر الإنس وحنّ به * ما سامنى الدهر ضيما واستجرت
به

إلا ونلت جوارا منه لم يضم
قصدت مورد عدل كن لمورده * من أم خير الورى يظفر بمقصده
عست عيونى تراه حين مشهده * ولا التمست غنى الدارين من يده
إلا استلمت الندى من خير مستلم
11. ونومه نوم معصوم وخوله * رب العلى فيه تمييزا
وأنزله

منازلا لعلوم السر جمّله * لاتنكر الوحى من رؤياه إن له
قلبا إذانامت العينان لم ينم
تكنمت معجزات فى طفولته * إلى بلوغ سنين من كهولته
وبعد ها طلعت شمس رسالته * وذاك حين بلوغ من نبوته
فليس ينكر فيه حال محتلم

فغاية الشاعر في هذه الدنيا إتباع مذهب المصطفى صلى الله عليه وسلم، واللجوء إلى بابه وعدله وشريعته ظفر كل الخلائق بها من إنس وحن وغيرهما وكلما استجار به وجد منه خير جوار،

وخير ملاذ منه صلى الله عليه وسلم، وقد قصد الشاعر فضائله ومورده العظيم، ويرجو أن ترى المصطفى عيناه مشاهدة، ثم تطرق الأديب إجمالاً لذكر معجزاته عند طفولته، وحتى بلوغه، وكهولته، وعند ما تمت رجولته أرسل نبياً إلى أمته برسالة لتتير هذا الكون جميعاً .

وبعد هذا كله أنشد الشاعر مجموعاً من الأبيات يذكر فيها رحمة المصطفى لأمته وفضله لهم فقال:

تعاظم ذوالعلى يعطى بلا سبب * نبوة ورسالة بلا كسب
فضل المهيمن إن جاء بلا نصب * تبارك الله ما وحى بمكتسب
ولانبي على غيب بمتهم
وجاء بالحق قد بانف فصاحته * أو إليه وقد تمت فلاحته
وكل من ذل باب العز ساحته * كم أبرأت وصبا باللمس راحته
وأطلقت عرباً من ربة اللمم
أزاح عن مكة الأفيال سورته * كدفع أحزاب عن طابت سطوته
وأشبع الألف من جياع دعوته * وأحيت السنة الشهباء دعوته
حتى حكمت غرة في الأعصر الدهم

في هذه الأبيات تمجيد لجلال الله وعظمته، أنه يعطي من شاء، ومتى شاء بلا سبب، وأن الرسالة والنبوة ليستا أمر مكسوب، وأن فضله تعالى يأتي بلا تعب جل الله تعالى أن الوحي ليس أمر مكتسب على الإطلاق، جاء بالحق فيها فصاحته، وخيراته، أزال عن مكة أفيال أبرهة وجوده ومنزله، كما دفع عن المدينة جيوش الأحزاب قوته وسطوته، وأشبع الألف طعامه للذين يقاسون الجوع .

سرد الشاعر هذه المعجزات كلها ليظهر رحمته وشفقته لأمته صلى الله عليه وسلم .

مدحه للقرآن الكريم:

قد سبق الحديث عن تعريف القرآن الكريم في المبحث الثاني من هذا الفصل، وهذا المقطع يحتوى على سبعة عشر بيتاً، والهدف منه بيان النور الذي جاء به هذا الكتاب العظيم، ومعجزاته الفريدة، بين يدي بني البشر إلى يوم القيامة. يقول الأديب:

أصابع منه بالماء قد انفجرت * حنين جذع شوق منه إشتهرت

نطق للناقة بين الناس انتشرت * دعنى ووصفي آيات له ظهرت
ظهور نار القرى ليلا على علم
لئالى الدين لم توجد لها قيم * وجوهر الفضل لم توجد له قسم
أسلوبه الخاص فد فاقت كذا نظم * فالدر يزداد حسنا وهو منتظم
فليس ينقص قدرا غير منتظم
هو الإمام يؤمنا كذا الرُّسُلا * نظيره لم يكن فيما بدا وخلا
ودينه نسخ الأديان والمِلل * فما تطاول آمال المديح إلى
ما فيه من كرم الأخلاق والشيم
زالت بها شعودات أي ومَخْبِئَةٌ * عن كل دهر مضى فينا محدثة
وفي الحقيقة للعلوم مبحثة * آيات حق من الرحمان محدثة
قديمة صفة الموصوف بالقدم

سجل الشاعر خلال هذه الأبيات معجزات متعددة للرسول
صلى الله عليه وسلم كنبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم،
وعن عبد الله رضي الله عنه قال إنكم تعدون الآيات عذابا وأنا كنا
نعدها بركة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا نأكل
مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام قال
وأتى النبي صلى الله عليه وسلم بإناء فوضع يديه فيه فجعل الماء
ينبع من بين أصابعه 289 وحنين الجذع لمنبره لما جاء بمنبر جديد .
عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر حن الجذع حتى أتاه
فالتزمه 290. وكلام الناقة له عليه الصلاة والسلام، وحديث الناقة
التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها
وأنها ملكه، وفي حديث العنز التي أتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في عسكره وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم
زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم 291، فأروى
الجند .

289 الأصبهاني، دلائل النبوة، مؤسسة دار الشعب، قصر العين القاهرة، 1982م / 1405هـ

ص: 399

290 الأصبهاني، دلائل النبوة، المرجع نفسه .

291 القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، المرجع السابق، ج 1/ ص: 315 .

وأن آيات القرآن، ومعجزاته، ظاهرة واضحة بين يدي أمته، وهذا الدين لا يوجد له مثل وإنما هو جوهر الفضل، والدر، والياقوت، يزداد حسناً ويكثر فيه جمالاً، هو إمام للأمة والرسول قاطبة ولانذير لسيد الورى في السابق والحاضر، وأن رسالته نسخت جميع الأديان السماوية، والملل، وهو الرسول الذي حظى بأخلاق كريمة وشيمة فاضلة .

ومما ذكره بعض العلماء أن كتاب الله العزيز منطوق على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أوعاها في أربعة وجوه:

أولها حسن تأليفه والتتام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة لعادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب .

الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاهه أبو جهل منكراً عليه قال والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار منى والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، وفى خبره الآخر حين جمع قريش .

الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين)292 وقوله تعالى (وهم من بعد غلبهم سيغلبون)293 وقوله (ليظهره علي الدين كله)294.

292 سورة الفتح: 27

293 الروم: 3

294 التوبة: 33

الوجه الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ 295 .
وبعد الكلام عن نور القرآن ومعجزاته تمكن الناظم من إعادة الشوق مجدداً ليسوغ معجزات أخرى حتى يتبين مصداقية قوله ودعواه فقال:

بالصفح والعمو والخيرات تأمرنا * عن بطل والإثم والفساد تزجرنا
بمدح أحمد خير الخلق تذكرنا * لم تقترن بزمان وهي تخبرنا
عن المعاد وعن عاد وعن إرم
ونعم قارئها فاز بمعززة * لحفظ آية من نار مُحَرَّزة
في ذروة لسعادات بمغرزة * دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين إذ جاءت ولم تدم
بيانها قد أزلت كل مشتبه * تفسيرها قد كفى وعظا لمنتبه
يا فوز من شربه قرآن لاذبه * محكمات فما تبقيين من شبه
لذي شقاق وما تبغين من حكم
ظهورها أفحمت بالعجم والعرب * ومن حكى آل بالعجز وبالكذب
إن السموات قد فافت يدي طلب * ما حوربت قط إلا عاد من
حرب

أعدى الأعادي إليها ملقى السلم
سردٌ إلهي لم تنقض لناقضها * معارض صار باقلا بعارضها
بلاغة اللفظ شيء من غوامضها * ردت بلاغتها دعوى معارضها
رد الغيور يد الجاني عن الحرم
شرع الناظم يذكر لنا أنواعاً من معجزات القرآن، كالأوامر،
والنواهي، بفعل الخيرات، وترك المنكرات للأعمال الباطلة،
والفاسدة، وترغيبه بمدح خير الوري، وإخباره عن الأمم السابقة،
كقوم عاد، وإرم، وكذلك معادنا بعد الحياة في هذه الدنيا. لقد فاز من
حفظ آياته، ونجى من نار لظى، وفاق كل معجزة من معجزات
الأنبياء السابقين، وإن جاؤا بها لاتدوم بتوالي الأيام، ثم أن البيان
الذي في القرآن وتفسيره أزال مشتبه، ويكفيينا وعظاً، وتذكيراً،

بشرى بفوز من لاذ به، وشربه، كأن الشاعر يقصد المدوام على قراءته وتتبع معانيه .

وواصل القول بأن من كذب القرآن من العرب أو العجم فظهور النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي هذه الأمة قد أسود قلوبهم، وضيق مناهم، ومن ثم انتصر عليهم في ميدان المعركة لوضع الحد الفاصل بين الحق والباطل، والقرآن كلام الله لم ينجح ناقضه، وكل معارض صار كباقلان بمعارضته أى: صار أحرق لاعتق له، وأن القرآن فاقت بلاغته اللفظية أن يرى فيه غموض أو تناقض ورجع مناقضيه بالخيبة، والخسران المبين .

كأنها عدن حُضْنَا نجوس به * ومن تلاها نجا لطيب مكسبه
كأنها زنجبيل يُستلذ به * كأنه الحوض تبيض الوجوه به

من العصاة وقد جاءوه كالحمم

كأنها زمزم طَبًّا ومأكلة * ماء الفرات لنا رياً ومعسلة
بشربها وجدان الفوز هرولة * وكالصراط وكالميزان معدلة
فالقسط من غيرها في الناس لم يقم

وكم سعيد يقوم الدهر ينصرها * ويمدح آياها نظماً وينشرها
ولا نبالي بمن قد بات يدحُرُها * لاتعجبن لحسود راح ينكرها
تجاهلاً وهو عين الحاذق الفهم

قول النصيحة مقبول لذي رشد * وكم حجود أبى الصدوق بالفند
من بعد إيقانه للكبر والحسد * قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

ختم الشاعر معجزات القرآن بذكر أنواع حقائقه، وتشبيهات طيبة، التي شبه الأديب هذا الكتاب العظيم، وشبه الآيت بماء عدن حُضْنَا نجوس فيه رفعة لنا، وزيادة في الحسنات، وتقرباً إلى المولى عز وجل، ونجي راتله بطيب مكسبه من الأعمال وكأن آياته ماء زنجبيل في لذة الشرب وسهولة البلع، وكأنه زمزم أو ماء الفرات الذي في العراق وهو ماء لذيذ الشرب، والروى، أو كالعسل في اللذة أيضاً والقرآن بلغ الغاية في القسط، والعدل في كل شئ، وكل سعيد ينصر الحق، ويمدح الآيات، ويعلمها ولانبالي لحسود ظل ينكرها تغافلاً، والحال يعلم أنه حق مبين، والتفت الشاعر كأنه قدم مايلزم

من النصيحة لعاقل رشيد دون الجاحد المعاند لا يرى الحق لما به من
الكبر والحسد، ولا أحد ينكر هذا الكتاب كما لا تنكر العين ضوء
الشمس من رمد .

قصة الإسراء والمعراج:

ولاشك أن في قضية الإسراء والمعراج ثروة علمية مدفونة
في معجزات هذه الرحلة العظيمة التي خلدت للبشرية تاريخاً مشرقاً
ونوراً ساطعاً على أفق هذا الكون اسمع ما يقول فيه الشعر:

وفاز قوم رأوا حقاً صباحته * كمبتغى الجود إن قد رام راحته
كسائل الحق إن أخذت نصاحته * يا خير من يمم العافون ساحته
سعيًا وفوق متون الأينق الرسم

فخذ بيدي وقنى من لظى سقر * ومن جميع عقوباتٍ مع الضرر
يا من مزياه فاتت عدّ ذى نظر * ومن هو الآية الكبرى لمعتبر
ومن هو النعمة العظمى لمغتتم

وقد حباه تعالى أوفر القسم * لأجل ذي جاءه الأملاك للخدم
حتى رفته مراقى الشرف والكرم * سرّيت من حرم ليلا إلى حرم
كما سرى البدر فى داج من الظلم

رحلت فوق البراق جبت مرحلة * إلى تلا فيك أنبيا مبجّلة
وعُدت فقت الورى دينا ومنزلة * وبت ترقى إلى أن نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

وآدم فاز باللقيا ورحبها * خليل رب العلى هَشَّ ورجبها
موسى الكليم النجى قام رعبها * وقدمتك جميع الأنبياء بها
والرسل تقديم مخدوم على خدم

مسيرك بين أملاك السما علم * وليس بالملأ الأعلى سواك خدم
إرسالك وبه وحى الإله ختم * وأنت تخترق السبع الطباق بهم
في موكب كنت فيه صا حب العلم

استهل الشاعر كلامه بذكر مناقب الصحابة لمانالوه من فضل،
ودرجة، بصحبته صلى الله عليه وسلم وابتغاء الجود، والكرم يكون
برفقته، والرسول هو الذي وسّع للمحتاجين فناء داره، وارتحل
رحلته التاريخية على البراق، ثم انطلق الأديب يلتمس منه الشفاعة
بأن يأخذ بيده حتى ينجو من نار لظى وسقر، وجميع أنواع العذاب

والعقاب وخصائصه فوق التعدد والإحصاء، وإرساله صلى الله عليه وسلم رسولا آية كبرى ومنزلة عالية لأولى الألباب، ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أوفر الحظ، وسخر الله له الملائكة فى خدمته، ورافقوه، وارتقوا معه فى رحلة الشرف والكرم، التى هى من الحرم المكى إلى الحرم القدسى برفقة نور المعجزة كما ينير البدر هذا الكون فى ليلة ظلماء، وقبل الهجرة بأثنى عشرة شهرا فصلى بالأنبياء فى المسجد الأقصى ومنح من النعم ما لا يعد ولا يحصى .
ثم ركب الدابة المعروفة بالبراق وعرج إلى محل طاب له فيه الوقت وراق وكان جبريل يستفتح له الأبواب والأنبياء يتلقونه فى السموات بالتحية والترحاب فحظي فى الأفق الأعلى بالمقام الأسنى (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) 296 ورأى سدرة المنتهى وسمع صرير الأقلام وفرضت عليه الصلوات الخمس ورفعت الأعلام ورفل فى حلل آلاء ربه وإحسانه وعاین ما عاین من آياته وقدرته وسلطانه وكان مسراه عبرة لأولى الألباب وتثبيتا لمن تعلق من الهدى بأوثق الأسباب(فسبحان من أسرى به وأحله محلا علا يسمو على الشمس والبدر) 297 .

ثم أشار الأديب إلى الرحلة بأنها كانت على البراق جاوز تلك المراحل حتى التقى بالأنبياء، والرسل، وقرأوا له السلام، وعاد إلى هذه الدنيا يفوق الورى مجداً ودينياً، بعد أن ارتقى فى السماء ووصل قاب قوسين أو أدنى، ومن هنا ذكر الشاعر معجزة كبرى التى حصلت فى تلك المسيرة، وهى لقاء نبينا بآدم، وخليل الله إبراهيم، وموسى، عليهم الصلاة والسلام بعد أن ماتوا فى الدنيا، والتقى بهم فى السماء، وتكلم معهم كما جرى الحديث والحوار بينه وبين كلیم الله موسى، وأصبح إماماً لهم فى المسجد الأقصى قبل الانطلاق إلى مسيرته بين أملاك السماء وحده إلى المولى الواحد الأحد .

296 سورة النجم آیه 8 - 9

297 الحسن بن عمر بن حبيب، المقتفى من سيرة المصطفى، دار الحديث القاهرة، مصر

1416هـ - 1996م ج 1 ص: 28 .

وبعد الكلام عن المعجزة خاض الشاعر غرضاً آخر وهو فضل النبي على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويشرح فيه جلالته قدره، وعظيم فضله طبق خصوصيته فقال:

مسعاك صعب ولاخطو لمنطلق * حلفت بالله رب الناس والفلق
قد فقت كل الورى في القرب والخلق * حتى إذالم تدع شأواً لمستبق
من الدنو ولا مرقى لمستتم

يا سيد الكل قلبي في هواك حُذ * وطلب بابك مقصوده ما نبذ
الله يعلم قلبي نحوك هذذ * حفصت كل مقام بالإضافة إذ
نوديت بالرفع مثل مفرد العلم

أعطاك رب الورى قدرا على قدر * تطهير قلبي من رجز ومن قدر
مزية كتمت عن كل ذي بصر * كيما تفوزبوصل أي مستتر
عن العيون وسرأي مكتتم

ركبت ظهر البراق قاطع الحباك * إلى محل التناجى من وراالفلك
جمعت كل المنى أي من رضى الملك * فحزت كل فخار غير
مشترك

وجزت كل مقام غير مزدحم

وفزت بالأرب يسرا بلا تعب * ونلت بالسمع والرؤيا بلا نصب
رجعت مختار رب الناس خير نبى * وجل مقدار ما أوليت من رتب
وجدت مقدار ما أوليت من نعم

بدأ الشاعر بذكر خصائص الرسول، ومزاياه فلا سبيل
للوصول إلى ما سرت إليه لكائن من كان وحلف الناظم برب الناس
والفلق ليؤكد صدقه فيما يقول أنه صلى الله عليه وسلم فاق كل
الورى في القرب، والخلق، حتى لم يدع فراغاً لكل مستبق مهما كان
أو يكن .

ثم استمر الشاعر يظهر تعلق قلبه بحب المصطفى، ووقف
عند بابه لينال شفاعته، وكرر تعلق قلبه، وشغفه بحبه، وشديد رغبته
له عليه الصلاة والسلام، وقد أعطاك رب العلى قدراً على قدر،
وأرجو تطهير قلبي من قدر وخبث، وتلك الفضائل للمصطفى
ختمت لكل ذى بصيرة وعقل، ركبت ظهر البراق، وجاوزت
الأحباك يعنى المسافة إلى مكان المناجاة مع الله تعالى، وحصلت

على كل المنى من رضى الله ولم يشاركك أحد فيه، ولم يزاحمك فرداً، ونلت المقام بالسمع والعين بلا تعب ثم رجعت إلينا مختاراً من رب الناس نبياً ورسولاً .

ثم شرع الشاعر فى بيان فضل أمة محمد على سائر الأمم وما خصها الله به من الرفعة، والقدرة، أن كان نبينا أفضل الأنبياء، والرسل اسمع قوله:

وعزنا ثابت الإسلام دين لنا * وبالسعادة والمعالي أهّلنا

نبينا أحمد فالله فضلنا * بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا

من العناية ركنا غير منهدم

ولا مناط لأحد غير طاعته * من وعد رب العلى نيل شفاعته

طوبى لعبد يكون فى جماعته * لما دعا الله داعينا لطاعته

بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

هذا الغرض يشرح لنا هذين البيتين قدر هذه الأمة عن سواها قد أعزنا الله بالإسلام، وبالسعادة، والمعالي، والتأهيل، وبمحمد عليه الصلاة والسلام فضلنا الله وكرمنا، بشرى لهذه الأمة، وطوبى لمعشرها إن لنا ركناً ركيناً لا يهدم، ولا نجاة لأحد إلا فى طاعته، وبوعده تعالى نيل شفاعته، وطوبى لمن كان فى جماعته، وكان من أصحاب طاعته، وبأكرم الرسل كنا أكرم الأمم .

ذكر بيان الجهاد، والتوسل، والمناجاة

فهذا الجزء يذكر ما يتعلق بغزواته، وحروبه، وسراياه صلى الله عليه وسلم، والخسائر التى تكبدها الكفار، والصلح، وشجاعته صلى الله عليه وسلم، وبسالة أصحابه، واستعداده، وعبقريته فى ميدان الوغى ثم بدأ بالهزيمة التى حلت بالكفار حساً ومعنىً اسمع قوله:

للأنبياء كلهم أمر بنصرته * خبره ملاً الدنيا بغلبته

حسران كل شقى أى لشقوته * راعت قلوب العدا أنباء بعثته

كنبأة أجفلت غفلاً من الغنم

جيوشه وقعت فى البر والفلك * حتى يؤل العدا كالسمك فى الشبك

ولاملأ لهم بالجبل والبرك * ما زال يلقاهم فى كل معترك

حتى حكوا بالقنا لحما على وضم

وكم صراخ لصراخ يغيث به * لخوف ليث وشبل في تغلبه
يقول ويلى فويلي عند مهربه * ووثوا الفرار وكادوا يغبطون به
أشلاء شالت مع العقبان والرخم
لما أرثت أسود الدين جمرتها* وأفزعت أنفـس الكفار شدتها
تدور أعينهم خوفاً وحيرتها * تمضى الليالى ولا يدرون عدتها
مالم تكن من ليالى أشهر الحرم
لما بعاق الهدى تمكث باحتهم * وطهرت أنفـس الأخيار عامتهم
فجاهدوا لارتفاع الحق كافتهم * كأنما الدين ضيف حل ساحتهم
بكل قرم إلى لحم العدا قرم
لما أتاهم تناحت ألف نائحة * وكل من بارز باء بفاضة
أصوات عسكره زارت براجحة * يجر بحر خميس فوق سابعة
ترمى بموج من الأبطال ملتطم
حزب الإله ولا يرضون بالنصب * ثناؤهم في كتاب الله والأدب
وهم عدول خيارهم أول الرتب * من كل منتدب لله محتسب
يسطو بمستأصل للكفر مصطلم

تحدث الشاعر عن نصرة الأنبياء كلهم، وفضو خبره صلى الله عليه وسلم على غلبته للكفار ولعل هذا بعد غزوة بدر الكبرى حيث انتشر خبر النصر في الحجاز خصوصاً والجزيرة عموماً، فقد خسر، كل شقى وخذل، وقلوب الأعداء، والكفار برسالته الذي كان بمثابة صيحة الأسد التي أدخلت الرعب في جموع الغنم وهي خائفة .

ثم أن المصطفى صلى الله عليه وسلم ما زال يعذب الأعداء بقتال من يعتدي على شريعة الله تعالى، حيناً وينذر بالإرشاد والنصيحة من يركن إلى الضلال حيناً آخر، وكانت جيوشه الباسلة تهاجم العدو في البر والفلك، ويصيدهم كالسمك في الشباك. يقاتل قتالاً شديداً في المعركة، حتى لا يجد للكفار مفراً في الجبال، والوديان. واستمرت الحرب إلى أن صار الكفار لحماء يضعه الجزار على الوضم من شدة الهول والنكاية .

ومن هنا يصور الشاعر بسالة الصحابة رضوان الله عليهم في معركة التوحيد لفصل الحق، عن الباطل فوصف الأمر بأنه لا يسمع

إلا صوت الصراخ، وعبر عن ذلك بكم لكثرة عدد الذين يفرون من الميدان، ويستغيثون من بأس المجاهدين وصمودهم على خونة الإيمان، وجبنة الميدان ينادون بالويل والثبور عند الفرار لما ينالهم من الطعن بالرماح، والضرب بالسيوف، ولم يتمكنوا من الفرار وصاروا طعام العقبان .

ثم استمر الأديب في وصف ميدان الوغى ويذكر ما لاقى الكفار من البطش الشديد من أسود الدين، ففزع الكفار، وارتجفت نفوسهم، وارتعدت عيونهم من شدة الهول، وسوء المقام، وتمضى الليال، ولا يدرون عدتها إلا إذا كانت من أشهر الحرم، 298 يعرفونها لأنه لاحرب فيها. وقد استمر الشاعر يصف الأوضاع بالشدّة، والبأس الشديدين لألوف النياحة، وخيبة المبارزة ولا تسمع إلا أصوات الجنود مفزعة ترتجف القلوب، وتخيف النفوس، وبحر خميس وهو عبارة عن خمس قوائم: مقدمة، وميمنة، وميسرة، والساق، والقلب، وأن الشجاع الذي يقود هذه الكتائب إنما هو يقودها إلى النصر، وقتال مرير، وهلكة الكفار، والسابحة في البحر يرمي بموجه الأبطال المتضارب بعضه البعض .

ثم ختم الشاعر الهزيمة التي حلت بالكفار، وثنى على رجال الإيمان بأنهم لا يرضون بالنصب أى العذاب، وأثنى عليهم الله فى القرآن وكلهم عدول رضى الله عنهم ورضوا عنه. وبعد أن انتهى الكلام عن الهزيمة المنكرة التي حلت بالكفار شرع يتكلم عن حقيقة بسالتهم وشجاعتهم الفريدة فقال:

وجاهدو الروم والترك لما بهم * هوازن قد رموا ندمٌ بشذبههم
وأسلموا رغبة فازوا بمشربهم * حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم

من بعد غربتها موصولة الرحم

ومن شهيد يجول دأبًا بالغضب * مناه فوز المئالى طالب الأرب

جنودهم رؤساء العجم والعرب * مكفولة أبدا منهم بخير أب

وخير بعل فلم تيتم ولم تنم

هم ليوث لقد أمضوا عزائمهم * وخاب من حارب أضحى

مخاصمهم

يفر بين الورى من ذاق صوارمهم * هم الجبال فسل عنهم
مصادمهم

ماذا رأى منهم في كل مصطدم

وسل بنى قينقاع مالقوا أسدا * يهود خبير هل ما أصبحوا كمدأ
كفار مكة لما أنكروا حسدا * وسل حنيئاً وسل بدرًا وسل أحدًا

فصول حتف لهم أدهى من الوخم

أهل الإله بنصر الدين ما كمدت * ولوملا الأفق جيش الكفر ما
شردت

نيرانهم بسحاب الدين قد بردت * المصدرى البيض حمرا بعد ما
وردت

من العدا كل مسودٍ من اللمم

فيما يتعلق ببسالة الطائفة المجاهدة ضد الكافرة أنظر ما يقوله
الشاعر: حاربوا الروم، والأتراك وكلهم أسلموا عنوة حتى فازوا
بهذا الدين، وأصبحت ملة الإسلام واحدة بعد غربتها، ومنهم من
يجول فى ميدان المعركة لطلب الشهادة فى حالة الغضب غايته نيل
الشهادة وتلك مأربه، وهم سادة العرب، والعجم بلا فرق، ولا
تعصب تحت كفالة خير سيد، وخير أب وهو النبي صلى الله عليه
وسلم، ولا تكون ملة الإسلام يتيمة ما دامت السموات والأرض، ثم
وصف تلك النخبة البررة بالأسود فى الشجاعة والصمود لقد نفذوا
مقاصدهم، وويل لمن أضحى محاربههم يفر كل من ذاق بأسهم،
وشدتهم هم مثل الجبال واسأل من قاس شدتهم ماذا نالوا منهم من
الويل، والنكال .

قد التفت الأديب إلى أسلوب الاستفهام كأنه يأمر القارئ أو
السامع بأن يسأل بنى قينقاع من يهود المدينة لما نالوا من البأس،
ويهود خبير أصبحوا فى حزن، وكذا اسأل كفار مكة الذين أنكروا
الإسلام حسداً، وجوراً، واسأل غزوة حنين، وبدر، وأحد هذه ميادين
كلها شهدت معارك لفصل الحق عن الباطل، ثم ختم الشاعر هذه
الجيش الباسلة بأنهم لم يحزنوا بنصر الدين ولو ملأ كل الأفق
جيوش الكفار لاينالوا منهم شيئاً قال تعالى: " ألا إن حزب الله هم

المفلحون "299 قام الشاعر بزيادة بيت واحد بعد الثاني عشر، وهو عبارة عن وصف الصحابة بالأسود، والافتداء بهم، وأن سيد الورى فيهم إن قام يتكلم أنصت الجميع هيبية، ووقارا .

أسود غابٍ وقد عزّت عصائب 300هم * جماعة أخذ الترشيذ

جالبهم

خير الورى سيد الأنباء لآحيهم * إن قام فى جامع الهيجاء

خاطبهم

تصاممت عنه الأذى صمت الصمم

رقاب أهل الردى بالصدق قد ملكت * دماؤهم هدرا بالحق قد سفكت

ستورهم بسيوف الدين قد هتكت * والكاتبين بسُمُر الخط ما تركت

أقلا مهم حرف جسم غير منعجم

صحابة المصطفى الله يعززهم * مرامهم كلما راموا يحوزهم

لا حاجزا عن قتال الكفر يحزهم * شاكى السلاح لهم سيما تميزهم

والورد يمتاز بالسيما من السلم

وبعثت المصطفى تبعد كفرهم * حتى أطابت مدى الأزمان ذكرهم

وينبغى أن يديموا الدهر شكرهم * تهدي إليك رياح النصر نشرهم

فتحسب الزهر فى الأكمام كل كمي

لما دعى المصطفى العجم والعربا * صحابه أخذوا الرمح والقضبا

وقطعوا قحف من عن دينهم غضبا * كأنهم فى ظهور الخيل نبت

رُبا

من شدة العزم لا من شدة الحُزم

ففى الدور الثاني ذكر الناظم أن رقاب الأعداء بالصدق ملكت

وسفكت دماءهم بحجة حصلت، وهتك أعراضهم بأمر من الدين،

وأن الله يعز الصحابة بنصره إياهم ولا حاجز عن قتال الكفرة

يصدهم، وللصحابه أسلحة ماضية فلا يخافون مبارزة الكفار ولهم

علامة تميزهم من غيرهم وشجر الورد يتميز بعلامته من شجر

السلم فى الرائحة الطيبة وخشونة الملمس وغيره. ورسالة

المصطفى قضت على كفرهم وسجل التاريخ خير ذكرهم ويجب

مدى الأزمان شكرهم يهدى صوت الريح بطلائع النصر والنجاح
في الحرب، وإذا رأيتهم كأنهم في الثبات على ظهور الخيل، نبت
ربا³⁰¹ وذلك لشدة الثبوت على الخيل، وإقبالهم على الحرب لا من
شدة ربط الحزام على الخيل فقط.

ثم ذكر الشاعر مجموعة من الأبيات تظهر فيها كيف وضع
النبي صلى الله عليه وسلم أمته على صراط الله المستقيم إقرأ
الأبيات الآتية تتجلى لك الأمور:

ومن أتاه أتى الخلد بجماته * مطهر كل من أوى بغفله
فكن أَوْحَى³⁰² مريداً من محلته * أحل أمته في حرز ملته
كالليث حل مع الأشبال في أجم

³⁰¹ أي نباتات الأماكن المرتفعة ستكون وثيقة لعمق جذورها، وتأصله في الأرض،
³⁰² تصغير أخي بمعنى الأخ النسبي أو في الإسلام .

كتابه مالىءٌ للسهل والجميل * وقاطع لرقاب كل ذى خبل
ومعجم لخصوم مظهر الحجل * كم جدلت كلمات الله من جدل
به وكم خصم القرآن من خصم
21. إرهاس تفضيله كانت معززة * ولم يزل بعلوم الدر
مبرزة

به الحقائق قد صارت مميزة * كفاك بالعلم في الأمي معجزة
في الجاهلية والتأديب في اليتيم
فبتدبر الأبيات السابقة يظهر لك تبشير، وتحريض جمبل من
قبل الناظم على كل من أتى دين الحق طاهر النفس، والقلب،
واستعمال كلمة المرید لعله راجع إلى تقشفه، وتصوفه وزهده من
الدنيا، أحل أمته في حرز ملة الإسلام كما يحفظ الأسد أولاده في
غابته .

وجاء بكتاب سهل وقوي ويقطع رقاب المفسدين وهو
المقصود بالخبل وهذا يدل على تمكن الشيخ يهوذا وإمامه البالغ
باللغة العربية وآدبها، والقرآن معجم لكل خصوم، ويخجل كل من
جادله، وآيات الله تقطع الجدل، ويظهر الحق الذي فيه يمترون،
وعلامات فضله ظاهرة، ولم يكن يُخفى من العلم، ولو كان مثل الذرة
صغراً وبه صار الحق واضحاً، ظاهراً متميزاً عن الباطل، وكفاك
أن أعزك الله تعالى بالعلم والحال أنت لا تقرأ ولا تكتب معجزة
باهرة وأنه أمي، وفي الجاهلية تولى الله تأديبك وفي حال اليتيم
تولى أمورك جميعاً.

والشاعر توسل برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأظهر الندامة فيما مضى من حياته ثم أثبت ثقته، وغاية رجائه بشفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأنه قصد بهذا المدح ثواب الله ورحمته لا الدنيا وحطامها، اسمع قول الشاعر في هذا الصدد:
مدحت خير الورى كيما أكون به * في برزخي حشري وبين
موكبه

ويغفر الله زلاتي أعوذ به * خدمته بمديح أستقبل به

ذنوب عمري مضى في الشعر والخدم

وإذ علقت بما بانث شوائبه * زحرفت بطلاً ترافعت مصائبه

وضقتُ ذرعا كما ضاقت مذاهبه * إذ قلداني ما تخشى عواقبه

كأنني بهما هدي من النعم

3. ومذ نشأت فقلبي قط ما ندما * إلى كهولي حتى الشيب إبتسما

وينبغى لي إصلاح لما انخرما * أطعت غي الصبا في الحالتين وما

حصلت إلا على الآثام والندم

فإن نفسي تسعى في خفارتها * تسلط بهوى أو من إمارتها

أوكل باطل حتى من دمارتها * فيا خسارة نفسي في تجارتها

لم تشتتر الدين بالدنيا ولم تسم

فغاية الشاعر أن يتوسل بهذا المدح لخير الورى كي يكون

معه في معاده، ومحشره، وفي جماعته يوم القيامة حتى يفوز

بغفران أخطائه وذنوبه، وقدّم هذه الخدمة الشعريه لينال غفران ذنبه

فيما مضى من عمره وعن زلاته في الشعر وغيره، ثم أضاف

الناظم أنه إذا تمسك بالعيب والخطأ وتزين الباطل وكثرة الفساد حتى

أصبحت كالسلاسل في عنقه يقاد بها كما تقاد الدابة عند الهدي .

ثم انطلق يبكى ويتباكى أنه لم يندم قط في الماضي حتى

ظهرت عليه ملامح الشيبة تتبسم لذا انزجر والتفت إلى إصلاح ما

قد مضى من طاعة أيام فتوته وشبابه وما اكتسب سوى الآثام

والذنوب وإضاعة العمر حتى أصبحت نفسه تسعى إلى خزيها

ودمارها فيا خسارة هذه التجارة وويل غرامها لقد باع الباقي بالفاني
والغالي بالرخيص وفي البيت كناية بلاغية جميلة. وبعد هذا العرض
الجميل من الشاعر استمر يبين غاية ثقته ورجائه بشفاعة النبي
صلى الله عليه وسلم وكبير تعلقه به انظر إلى جميل عباراته
وحلاوة منطوقه وحسن صياغته فقال:

سيقبل الله في الأخرى بمعذرتي * لكون أحمد طالبًا بمغفرتي

وقفت في بابه أبدًا بسيئتي * فإن لي ذمة منه بتسميتي

محمدًا وهو أو في الخلق بالدمم

إن لم تكن شافعًا فيّ ويا سندي * ويا حصوني ويا عزى

ومعتمدى

خسرت خبت ودام الحزن في كيدي * إن لم يكن في معادى آخذًا

بيدى

فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

مديحك غافل يأتي جرائمه * لكنه طفل من يرجو مراحمه

بنظرك يغفر المولى مآثمه * حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه

أو يرجع الجار منه غير محترم

فإن الأبيات السابقة توضح بأن الشاعر، مؤمن بالله وأنه سيقبل
توبته، وطلب شفاعته يوم القيامة إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم
يريد الخير لأمته، ويقول أمتي أمتي ! ووقف على بابه بذنوبه،
وأثامه يريد غفرانها، والعفو عنها وكان له ميعاد في ذكر اسمه
الطاهر، وهو حبيبه صلى الله عليه وسلم، والحبيب لا يترك محبوبه
في وقت الشدة أو الضيق .

وفي الدور الثاني أجاد الشاعر في عباراته، وكبير ثقته إن لم
يكن الرسول شافعًا له الذي هو سنده، حصنه، وعزته، خسر ودام
الحزن في كبده، وعبر بالحزن في الكبد لتدرك حقيقة شعوره،
وشوقه للتوسل بهذا الهاشمي. وإذا لم يكن آخذًا بيده فيا ويله، وزلة
قدمه، وعدم فوزه في المعاد. ثم أعاد الرجاء مجددًا بأنه متغافل عن
واجبه، ومتقدم على المعاصي والذنوب، وكلها صغيرة إذا قورنت
بمن يرجو شفاعته، ولمن يرجو رحمته الواسعة، وبتوسله بالنبي
يغفر المولى ذنوبه هيئات أن يحرم الرسول الراجي مكارمه أو

يرجع المستجير غير محترم. ثم ذكر الشاعر أنه قصد بهذا المدح
رحمة الله وشفاعة المصطفى لا الدنيا وحطامها فقال:

إن سُدَّ باب لعبد أنت فاتحه * ما نال من نال إلا أنت مانحه
إن أخلف الغيث فالمختار سائحه * ومنذ ألزمت أفكارى مدائحه
وجدته لخالصي خير ملتزم

ومنقذ القوم من نار قد التهبت * كما يمين له بالسحب قد سكبت
ونفسي ظفرت أنواع ما رغبت * ولن يفوت الغنى منه يداً تربت
إن الحيا ينبت الأزهار فى الأكم

12. ياويح نفسى على الإحسان قد ضعفت * لولا وجودك في
الأزمان قدتلفت

فلا ملام لدمع العاشق وكفت * ولم أرد زهرة الدنيا التي
اقتطفت

يدا زهير بما أثنى على هرم

التفت الأديب بكبير رجائه قائلاً إن سدت ذنوبه باب الرحمة
والنبي فاتحه ولا أحد ينال شيئاً إلا كان الرسول سببه، ومعطيه
وحتى إن تأخر المطر بدعائه ينزل وقد التزمت أفكاره مدح الرسول
وهو خير ملتزم، وهو منقذ القوم من نار ملتهبة، ولن تخسر إذا
كانت في حق النبي صلى الله عليه وسلم علمت، ولن يبعد الغنى،
والرزق مادام يد الفقير من حبه جادت إن الماء ينبت الأزهار في
قرص من بذره، ولفزع الأمر، وخشوع الشاعر جاء ينادي بالويل
عن تكاسلها في الإحسان لولا الرسول في هذا الكون لهلكت نفسه،
ولا يلام للدمع الذي ينزل من أجل الحب، والشوق لطلب شفاعته،
وكفاله يوم القيامة .

المناجاة:

بعد أن انتهى الشاعر من الكلام عن التوسل شرع في قضية
أخرى وهي عرض الحاجات، فأظهر حاجته لشفاعة النبي صلى الله
عليه وسلم. لأنه أكرم الخلق وأولى بشفاعة أمته، وأن رحمة الله
تعالى واسعة، ثم ختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم،
وأصحابه، وصاحب التخميس لم يصل إلى نهاية الفصل، وتوقف
في البيت التاسع، والحاصل أنه ترك أبيات الخاتمة فقط.

ويا نبي ويا حبي ومنقلبي * أنت الشفيق لي وأنت منقذ بي
بجاهك ربنا الرحمن يرحم بي * ولن يضيق رسول الله جاهك بي

إذا الكريم تجلى باسم منتقم 304

إن الجنان وما فيها وبهجتها * كذا الدنا ما لها نفعاً مضرتها
لولاك لم يخلق البارئُ جملتها * فإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم
ورحمة الله قدوسعت مما اجتربت * نفسي بأوزارها أبداً وما ندمت
لكنها بفنا المختار قد لزمت * يا نفس لاتقنطي من زلة عظمت
إن الكبائر في الغفران كاللحم

إني فعلت فعلاً كنت أكتمها * فإن خالقنا تالله يعلمها
براً غنياً رءوفاً علَّ يرحمها * لعل رحمة ربي حين يقسمها
تأتي على حسب العصيان في القسم

اسقط الشاعر بيتاً، وشرع مباشرة في البيت الثاني، وقد استهل
كلامه بنداء وعطف عليه من شدة حبه، وحاجته لشفاعة النبي
صلى الله عليه وسلم وإليه ينقلب الأمر بطلب الشفاعة، وهو الشفيق،
ومنقذ أمته، وبجاه المصطفى يبتغي رحمة ربه، ولا يضيق رسول
الله بطالب شفاعته إذ أن الكريم لا يكون منتقماً، أما الجنة نعيمها،
والدنيا خيرها وبهجتها، وبؤسها لولاك خير الوري لم يخلق البارئ
جملتها لقد فضلك الله بعلم اللوح الذي علّمك والقلم، ثم التفت الشاعر
إلى ذنبه، وآثامه راجياً أن رحمة الله وسعت كل شيء علماً، ونفسه
بآثامها لم تندم، وأنها التزمت فناء دار الشفيق المشفع، ثم نادى نفسه
يوصيها بأن لا تقنط من رحمة الله بكثرة ذنبها وزلتها، والكبائر
عند الغفران كاللحم خاصة إذا وافق صاحبها شفاعته المصطفى
صلى الله عليه وسلم. قد بدأ الشاعر يفشى سره، ويظهر آثامه في
البيت الأخير أنه فعل أفاعيل ظل يكتمها، وحلف بالله أن الخالق
يعلمها وهو البرالغنى الرحيم جلّ يرحمها، ومن شدة الرجاء به،
وكبير التعلق به تعالى ونبيه الكريم، وأتى بلعل ليدل على غاية
توقعه بالله، وحسن ظنه به، ولم يقنط برحمة الله وأنها تأتي حسب

العصيان فى القسم. ولم يكتف الشاعر بهذ القدر بل زاد أبياتاً أخرى
تدل على قوة رجائه، وحاجته الشديدين فقال:

خدمت أحمد فى طلبى وملتمسى * فيض الإجابة تأتي غير
منحيسى

واغفر لعبدك إني ظالم ومسى * يارب واجعل رجائى غير منعكس
لديك واجعل حسابى غير منخرم

يا رب افعل له ماكنت أهلاً له * أنت الغنى عن الأمور تثقله
واجعل أعالى فراديس منازل له * والطف بعبدك فى الدارين إن له
صبراً متى تدعه الأهوال ينهزم

فهب بحبك لي حسناً لخاتمة * بأن أوحد مولى عند صادمة
برحمة منك يا مولاي قائمة * وأذن لسحب صلاة منك دائمة
على النبي بمنهلاً ومنسجم

صلى عليه تعالى وأعطه الأربا * وكل ما يبتغي وكل ما طلبا
وآله وعلى أصحابه النجبا * مارثحت عذبات البان ريح صبا
وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

الأديب يشعر أنه قدم خدمة للمصطفى فى إلتماس الشفاعة،
وهو يرجو نيلها، ثم انقلب يستغفر، ويعترف بذنوبه، وهو ظالم،
ومسيئ، وظل يدعو بقبول رجائه، ومحاسبته حساباً يسيراً ببركة
شفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ثم استمر الشاعر فى طلب
العفو، ونيل الفردوس منزلاً له، والموافقة فى الدارين بحسن
الخاتمة، والأخرى بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وطلب حسن
الخاتمة بتوحيد المولى، والنطق بالشهادتين عند الخاتمة برحمة
المولى ثم انطلق يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى آله،
وصحابته النجبا، مادامت أغصان شجر البان تنفث ريحها الطيبة
التي تأتي من قبل المشرق وأطرب حاد العيس الإبل بنغمه اللذيذ
وبصوته الطيب. وهذا آخر بيت لصاحب التخميس وهو البيت
التاسع فى المناجاة.

المبحث الثاني: تحقيق تخميس محمد بلو

في تحقيق هذه القصيدة اعتمد الباحث على ثلاث نسخ: الأولى نسخة حصل عليها الباحث في جامعة أحمد بلو زاريا، في مكتبة قسم التاريخ جناح المخطوطات بالجامعة. وذلك في التاريخ 15 / 6 / 2007م وأنها وُجِدَت في تركة الحاج جنيد سوكتو 305، وهذه النسخة مصورة تصويراً فوتو غرافياً 306، وتتكون القصيدة من تسعة عشر صفحة (19) لم يقف الباحث على تاريخ كتابتها أو نسخها، كان الخط خطأ مغريباً واضحاً، وطول الصفحة سبعة عشر سم وعرضها ثلاثة عشر ونصف سم، ولا يوجد تعليق عليها ولا تشكيل. وكل صفحة تحتوي حوالي أربعة عشر سطراً وفي كل سطر أربعة عشرة كلمة متوسط الحروف في كل سطر حوالي ستة وثلاثين حرفاً .
وقد رمزت لهذه النسخة ب: ن أ وهي النسخة الأولى .

أما النسخة الثانية التي اعتمد الباحث عليها في التحقيق فقد وجدها في كدونا بقسم التاريخ والوثائق 307 (أكابيس) (Archives) في التاريخ 14/1/2008م لم يكن هناك فرق كبير بين النسختين إلا أن النسخة التي وجدها الباحث في كدونا خطها أحسن وأوضح، وقد رمزت لهذه النسخة: ب ن ث. يعني النسخة الثانية .

أما النسخة الثالثة التي اعتمد عليها الباحث في التحقيق وهي نسخة مصورة التي حصل عليها في قسم المخطوطات والوثائق بجامعة بايروكنو وهي تختلف تمام الاختلاف من النسخة الأولى،

³⁰⁵ قائمة المخطوطات، قسم التاريخ، جامعة أحمد بلو زاريا.

³⁰⁶ Muhamad Bello b Uthman Fudi (d. 1837)_takhmis al- Burdah Undated copyst Unknown , From the collection of Alhaji Junaidu Sokoto via Dlast19 prints number 14/8 .

³⁰⁷ - Department of National Archives Zonal office Yakubu Gowon way, Kaduna .

وهذه النسخة عبارة عن أربعة وثلاثين صفحة (34) وخطها خط مغربي واضح أكثر من سابقها ومكتوبة في وجه واحد، ولا يوجد عليها التعليق وفي كل صفحة خمسة عشرة سطرا وطولها 25 سم وعرضها 19 سم وقد حصل عليها الباحث في 2011/3/20م وقد رمزت لهذه النسخة بـ ن ث يعني النسخة الثالثة

وفي جميع هذه النسخ أن المؤلف أمير المؤمنين محمد بلو قد افتتح الكتاب بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه 308 وسلم تسليما .

تخميس البردة لأمر المؤمنين محمد بلو 309 بن عثمان بن فودي تغمد الله الجميع برحمته بجاه المشفع الشفيح.

الفصل الأول في الغزل وشكوى الغرام

1- ياساهر الليلة الليلاء لم ينم * وأصبح القلب ذا وجد وذا ألم

وظل ذا قلق يبكي كذا لمم * أمن تذكر جيران بنى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلت بدم

وختتم الكتاب بقوله:

موصولة بسلام منك منسكبا * وآله خير آل فى الورى نجيا
وصحبه خير من فى الله قد صحبا * مارنحت عذبات البان ريح
صبا

واطرب العيس حادى العيس بالنغم 310

**" الحمد لله رب العالمين اللهم صل على من
ختمت به الرسالة آياته**

308 في: ن ث زيادة (وأزواجه وذرياته وصهره).

309 في: ن ث فيه رضى الله عنه ولا يوجد قوله: (بن عثمان بن فودي تغمد الله الجميع برحمته بجاه المشفع الشفيح).

310 سبع أبيات ساقطة هنا وهى موجودة فى الأصل المطبوع فى القاهرة.

بالنصر والنور"
اللهم صل على سيدنا محمد نبي الأُمى وءاله وصحبه وسلم تسليما
ءامين 311 .

تحقيق عنوان الكتاب:
ليس هناك إختلاف في تسمية الكتاب في جميع النسخ .
تحقيق نسبة الكتاب إلى المؤلف:

وأما نسبة القصيدة إلى المؤلف فإنها وجدت في تركة وزير
جنيد وهو من أحفاد أمير المؤمنين محمد بلو ومما يؤكد نسبة
القصيدة إلى المؤلف وجود إسم المؤلف صراحة في مقدمة جميع
المخطوطات أو القصائد الذي هو: أمير المؤمنين السلطان محمد بلو
بن عثمان بن فودي .

وفي آخرها الشكر لله والثناء عليه ثم الدعاء لسيد الورى صلى
الله عليه وسلم وآله وصحبه الكرام رضى الله عنهم ثم التأمين .
كل هذه تدل على تحقيق نسبة الكتاب إلى المؤلف لازيف ولا
زيغ لأن ثلاث نسخ لاتتفق على الكذب والإفتراء بهذه الصورة

لهذا تأكدت نسبة الكتاب إلى المؤلف (السلطان) محمد بلو بن
عثمان بن فودي .

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيد نا محمد وءاله
وصحبه وسلم تسليما .
تخميس البردة لأمير المؤمنين محمد بلو بن عثمان بن فودي تغمد
الله الجميع برحمته بجاه المشفع الشفيع.

الفصل الأول فى الغزل وشكوى الغرام

- 1- ياساهر الليلة الليلاء³¹² لم ينم * وأصبح القلب ذا وجد وذا
313 ألم
وظل ذا قلق يبكى كذا 314 لم * أمن تذكر جيران بنى
سلم
مزجت دمعا جرى من مقلت بدم
2- أمن تنسم ريا ريح فاطمة³¹⁵ *ساجلت ورقا على أفنان
دارمة
تشدوا لذكر فراخ 316 غيرناغمة 317 *أم هبت الريح من
تلقاء كاظمة
وأومض البرق فى الظلماء من إضم
3- أراك تظهر سلوانا أخى فمتى * وأين الصحو وهذا الفم
ماصمتا
ان ادعيت سليا 318 لم يكن همتا * فمالعينك إن قلت اكففا
همتا
ومالقلبك إن قلت استنق يهم
4- أتذرف الدمع فوق الخد فهودم 319 * والقلب من نار عشق
الحب مضطرم

312 في: ن ث الالياء والصحيح (الليلاء)

313 في: ن ث واذا بزيادة (ألف)

314 في: ن ث (كذي) بالياء بدل الف .

315 وهي: فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين رسول صلى الله عليه وسلم وهي
عشرون صحابية ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم
وتوفيت ثلاث من رمضان سنة إحدى عشر من الهجرة وصلى عليها العباس ودفنت
بالبقيع ليلا رحمة الله على حبيبة قلوب المتقين

316 الفرخ ولد الطائر .

317 جرس الكلمة وحسن الصوت فى القراءة وغيرها .

318 أي: نسيه .

319 في: ن ث وهو وقوله ملطرم بدل مضطرم .

وتدعى أن ما أضمرت مكتتم * أبحسب الصب أن الحب
منكتم

مابين منسجم منه ومضطرم

5- هيهات هيهات لا يخفى على رجل * وليس يخفى هوى
الإعلى جمل 320

كم شاهد فيه قد أبدوه فى مثل * لولا الهوى لم ترق دمعا
على طلل

ولأرقت لذكرى البان والعلم

6- هذى دموعك فوق الخد حين غدت * هذا قواك من الأسقام قد
خدمت 321

أعلام صدق بما أضمرت فيك بدت * فكيف تنكر حبا بعد ما
شهدت

به عليك عدول الدمع والسقم

7- بل قد غدا فيك ما أضمرته علنا * فصار حسا لنا من بعد ما
كمننا

قدأ ظهر الشوق فيك الدهر ذا شجنا 322 * وأثبت الوجد خطى
عبرة وضنى

مثل البهار على خديك والعنم

8- نعم صدقت فان الحب أفلقنى * وفى الحشا وفؤدى الوجد
أحرقنى

* نعم سرى طيف من أهوى فأرقنى

والحب يعترض اللذات بالألم

9- مودة حين فاقت فيه مقدره * حتى بدت جهرة للناس
مسفرة 323

320 أي: الذكر من الإبل .

321 أي: خمدت النار تخمد خمودا: سكن لهبها ولم يطفأ جمرها وهمدت إذا

أطفأت جمرها البتة .

322 معنى: الشجن: الحزن والجمع أشجان .

323 المكنسة: وأصلها الكشف .

سطحت 324 لأن بها فى الناس مشهرة * يا لائى فى الهوى
العذرى معذرة

منى إليك ولو أنصفت لم تلم
10- قد كنت قبل على الكتمان من حذر 325* عن الوشاة 326
ولم أبرح على خطر
حتى تهتك سر القلب عن خبر * عدتك حالى لا سرى
بمستترى

عن الوشاة ولأداء بمنسجم
11- دع عنك نصحى إنى لست أتبعه * والقلب قد هام بل قد هم
327 مسمعه

هيات يردعه لوم وينفعه * مخضتتى النصح لكن لست
أسمعه

إن المحب عن العذال فى صمم
12- أعجب بحالى فى قولى وفى عملى * أظل لأستفيق الدهر
من زلى 328

ولم أصح لنذير بعده أجلى * إنى التهمت نصيح الشيب فى
عذلى

والشيب أبعده فى نصحى عن التهم

الفصل الثانى فى التحذير من هوى النفس

1- يامن نفوس عمت 329 والعهد ما حفظت * وعينها أبدًا للغى
قد لحظت 330

324 أي: السطيح المنبسط البطيخ القيام من الضعف .

325 في: ن ث (من حذر) .

326 الوشاة: جمع الواشي وهو: النميم.

327 في: ن ث: قد صم وهو الأولى والأفضل.

328 زلّ السهم عن الدرع والإنسان عن الصخرة إذا زلق وأزله عنها.

329 عصت وهو أولى .

330 نظرة بمؤخر عينيه من أي جانبيه كان يمينا أو شمالا وهو من أشد الإلتفات

الشزر .

- فإن نفسى قد أعت 331 وقد غلظت 332 * فإن أمارتى
بالسوء ما تعظت
من جهلها بنذير الشيب والهرم
- 2- أضعت عمرى تباعا غوى الشعرى * وخضت فى كل واد
للهورى خطرا
قدا قترفت ذنوبالم تزل تترا 333 * ولأعدت من الفعل جميل
قرى
ضيف ألم برأسى غير محتشم
- 3- أعجب بقلبى وهذا الشيب ينذره * وبقتراب المنايا كان
يخبره
لم ينزجر وطول الشيب يزجره * لو كنت أعلم أنى ما
أوقره
كتمت سرا بدا لى منه بالكتم
- 4- كم قد نصحت لنفسى من بدايتها * ولم تزل تتمادى
فى عمايتها
حتى عجزت جهارا من رعايتها * من لى برد جماح من
غوايتها
كما يرد جماح الخيل باللجم
- 5- فالجوع بين 334 قوى 335 أركان قسوتها * والذكر يطفؤ
من نيران صبوتها 336
والنفل بالليل يشفى داء نشوتها 337 * فلاترم بالمعاصى
كسر شهوتها
إن الطعام يقوى شهوة النهم

331	في: ن ث قد (لقسَّت).
332	الغلظ ضد الرقة في الخلق والطبع والفعل والمنطق والعيش.
333	أي: المتتابعات .
334	في: ن ث يبيري .
335	الليث: القوة .
336	جهلة الفتوة واللهورى من الغزل.
337	من نشا مقصور: نسيم ريح الطيبة ونشوت: أي شممت

- 6- والنزم جهادا لها وحذر به كسلا * ولا تدعها لما إعتادت
به مللا
كم بالرياضة قلب عن هواه سلا * ولفس كالطفل إن تهمله شب
على
حب الرضاع وإن تفضمه ينفطم
7- ورانها الذنب فاجهد أن تجليه * وحظها اللهو فاحرص أن
تخليه
واهدم هوى إن أرادت أن تعليه 338 * فاصرف هواها
وحاذر أن توليه
إن الهوى ما تولى يصم أو يصم
8- ولا تكن غافلا فالنفس ظالمة * تلهو نهارا وطول الليل
نائمة
رُضها لتتقاد كرها وهى راغمة 339 * وراعها وهى فى الأعمال
سائمة
وإن استحلت المرعى فلا تسم
9- فإنها لم تزل للغى مائلة * ولم تزل قط فى الأزمان
غافلة
كم أطعمتك سموم البيش جاهلة * كم حسنت لذة للمرء قاتلة
من حيث لم يد رأن السم فى الدسم
10- إذا تخليت عن حرص وعن طمع * ونلت زهدا من
الدنيا على ورع
فاحذر فإن لها مكرأ على خدع * وخش الدسائس من جوع
ومن شبع
فرب مخمصة شر من التخم
11- وذكر مجالس آثام وقد خبأت * وكل جارحت 340 بائت
بما خطئت

338 حرارة الحلق الهائجة .

339 والمراغمة: الهجران، التباعد والمغاضبة.

340 يقال لإناث الخيل جوارح، واحدتها جارحة، لأنها تُكسب أربابها نتاجها،
ويقال ما له جارحة أي ما له أنثى ذات رحم تحمل.

- وكلها من سقام الجرم 341 ما برئت * واستفرغ الدمع من
عين قدامتلاآت
من المحارم والزم حمية الندم
- 12- واحذر عوائق من دنيا وكن فهما * وازهد فبالزهد يرضى
كل من سلما
وجانب الناس بالأوقات مغتتما* وخالف النفس والشيطان وعصهما
وإن هما محضاك النصح فاتهم
- 13- إن العواقق قطاع لمن فهما * فلا تثق منهم إلا ولا
قسما
لاسيما النفس والشيطان فارعهما * ولا تطع منهما خصما
ولا حكما
وأنت تعرف كيد الخصم والحكم
- 14- للحب برق 342 وما أنا فيه من زلل * وبى سقام
أطب الناس من علل
أقول قولاً بلا فعل كذى قبل * أستغفر الله من قول بلا عمل
لقد نسبت به نسلاً لذي عقم
- 15- إني وعظتك وعظما ما تعظت به * أيقظت قوما وإني
غير منتبه
أقول قولاً 343 وبى قولاً بموجبه * أمرتك الخير لكن ما
أتمرت به
فما استقمت فما قولى لك استقم
- 16- والنفس ما فتأت إلى اللآن غافلة * والسير جد ولما
ألق راحلة
ولم أحصل لبعده السير زاملة 344 * ولا تزودت قبل الموت
نافلة

341 الجرم: القطع جرمه جرماً قطعاً وشجرة جريمة مقطوعة.

342 في: ن ث (أعجب برأي) وهذا هو أوضح في المعنى

343 في: ن ث (وقولا) بزيادة الواو.

344 أي: بغير يستظهر به الرجل يحمل متاعه وطعامه عليه والمزاملة: المعادلة

ولم أصل سوى فرض ولم أصم

الفصل الثالث في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

1- تعودت نفسى الأهواء والكسلا * أظل طول نهارى خائضا

جدلا

والليل إن جن سدفاً بتُّ منجدلاً * ظلمت سنة من أحيا

الظلام إلى

أن إشتكت قدما ه الضر من ورم

2- أظل بين رغيف ناضج وشوا * فى ظل قصر هروبا من

ظها ونوا 345

وما اقتديت بمن وصل الصيام قوا * وشد من سغب أحشاءه

وطوى

تحت الحجارة كشحا مترف الأدم

3- وهمتي جمع من مال ومتمن رتب * وما اقتديت بذى

زهو 346 وذى أدب

وقد أتته الدنا من غير ما طلب * وراودته الجبال الشم من

ذهب

عن نفسه فأراها أيما شمم

4- طابت حلاه وقدنارت بصيرته * والبر شيمته والزهد

سيرته

لم تلتفت قط لدنيا سريرته * وأكدت زهده فيها ضرورته

إن الضرورة لاتعدوا على العصم

5- ولم يزل ظنه فى الله أحسن ظن * وقلبه أبدا فى

الوعدمه سكن

وما أعتراه لفقر حل فيه حزن * وكيف تدعو إلى الدنيا

ضرورة من

لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

345 في: ن ث (وصى)

346 في: ن ث (زهد) وهو أوضح وأصح

6- محمد مصطفى الأختيار آل لؤي * محمد منتقى الأبرار ءال قصي

محمد مجتبي الأنبياء 347 كاشف غي * محمد سيد الكونين والثقلي

ن والفريقين من عرب ومن عجم

7- داع إلى الله هاد قوله سدد * وفي إجابته يا صاحبي سعد

والأمر والنهي منه كله رشد * نبينا الأمر الناهي فلاأحد

أبر في قول لأمنه ولانعم

8- هو الأمين الذي علمت أمانته * هو الكريم الذي ظهرت أمانته 348

هو المكين الذي عرفت مكانته * هو الحبيب الذي ترجى شفاعته

لكل هول من الأحوال مقتحم

9- محى غوى الشرك على 349 سلف غيصبه * برى قواه وجرى 350 رين مثله

أتى بدين حنيف غير مشتبه * دعى إلى الله فالمستمسكون به

مستمسكون بحبل غير منقصم

10- إن النبوة تدرى الشمس فى أفق * بل أي 351 مرتبة للخلق لم تفق

إن النبيئين فاقوا كل مستبق * فاق النبيئين فى خلق وفى خلق ولم يدانوه فى علم ولاكرم

347 في: ن ث (النبء)

348 في: ن ث (كرامته) بدلا من أمانته.

349 (جاى) بدلا من على في: ن ث

350 (جلى) بدلا من جرى في: ن ث.

351 (أمي) في: ن ث

- 11- هم منهم 352رتبة بل كلهم رأس * وكلهم من ضياء
سنه مقتبس
- وكلهم فى بحر منه منغمس * وكلهم من رسول الله
ملتمس
- غرفا من البحر أو رشفا من الديم
- 12- ونوره أصل نورهم ومجدهم * وهديه أصل هديهم
ورشدهم
- وبالغون لديه وفق قصدهم * وواقفون لديه عند حدهم
من نقطة العلم أو من شكلة الحكم
- 13- أختاره الله منهم وهو خيرته * من مصطفىين وهذا
الذكر سيرته
- له الوصيلة منزله وسورته * وهو الذي تم معناه وصورته
ثم اصطفاه حبيبا بارء النسم
- 14- مخصص بمقام من أحاسنه * وهو الوسيلة ذخرا من
خزائنه
- بل جوهر منه فرد من معادنه * منزله عن شريك فى
محاسنه
- فجوهر الحسن فيه غير منقسم
- 15- فى مدحه نفر قنعوا بطيهم * وبعضهم قصدوا مدحا
بعيهم 353
- لا تظر أن رمت مدحا مثل غيرهم * دع مادعته النصارى فى
نبيهم
- وحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
- 16 كل الكمال له فانصب بلا سرف * عبارة الخلق عما فيه
فى طرف
- إن كنت مادحه حثا على نصف * ونصب إلى ذاته ما شئت
من شرف
- وانصب إلى قدره ما شئت من عظم

352 في: ن ث (من هم) بدلا منهم.

353 أي: أجر مدهم وكلامهم.

- 17- أقسمت أن إله العرش فضله * وهو الذي لجميع الخلق أرسله
لكل مكرمة للخلق أهله * فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم
- 18- آياته أفخمت من حجه 354 خصما * وأخرسته قولى 355 عنه منحرما
وأنها 356 قطرة من غيظه ديما * لو ناسبت قدره آياته عظما
أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم
- 19- ودينه السمع دين غير مشتبه * وهديه الهدى حقا عند منتبه
فسلك طريقته راض بمذهبه * لم يمتحنا بما تعيا العقول به
حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم
- 20- نور من الله سيد الأفق وانتشرا * ورحمة أرسلت للناس فاعتبرا
وعروة الله للثقلين خير عرى * أعياء الورى فهم معناه ليس يرى فى القرب والبعد فيه غير منفحم
سام منير تراءى وهو فى سعد * وأعين الناظرين إليه فى رمد
إن الخفا فيش 357 لاتقوى على وقد * كا الشمس تظهر للعينين من بعد
صغيرة وتكل الطرف من أمم
- 21- آيات خالقه كانت خليقته * وكان هدى 358 هداها
إسمع طريقته

354 في: ن ث ونسخة الثانية (حجة)
355 في: ن ث (فولى) وهو الأصح.
356 في: ن ث (وإنما) بدلا من وإنما.
357 أي: جمع للخفاش وهو طائر الليلي ذو ظفرين.
358 في: ن ث (هذى) .

- وكان أنس بمولاه رفيقته * وكيف يدرك في الدنيا حقيقته
 قوم نيام تسلوا عنه بالحلم
 22- والعقل قد حار فيه فهو مغتمر * والفهم زل وولى وهو
 منكسر
 والعلم قد قل فيه فهو منكدر * فمبلغ العلم فيه أنه بشر
 وأنه خير خلق الله كلهم
 23- شمس الهدى قد تناهت في عجا ئبها * والرسل جاءت
 كفجر 359 في مراتبها
 وحين جاءت 360 تقدم في مواكبها * وكل آى أتى الرسل
 الكرام بها
 فإنما اتصلت من نوره بهم
 24- له الوسيلة حقا وهو صاحبها * والأ نبياء به صارت 361
 مواكبها
 منه إستمدت 362 رضيا ثوا قبها * فإنه شمس فضل هم
 كواكبها
 يظهرن أنوارها للناس فى الظلم
 1- كانت كواكبها جندا له 363 مددا * لكل سار هدى فى قصده
 رشدا
 منها استمدت لما أسدت به سددا * حتى إذا طلعت فى الأفق
 عم هذا 364
 للعالمين وأحيت سائر الأمم 365
 25- له المكارم فى التعداد تتسق * ومن سنا بشره قد أشرق
 الفجر 366

359 في: ن ث (كعجر) بعين غير معجمة
 360 (جاء) بغير التاء في: نسخة الثانية و ث .
 361 (سارت) في ن ث بالسین
 362 في: ن ث (سنا و) هذا ساقط في ن أ وهو أوضح .
 363 (لها) في: ن ث
 364 (هدا) في: ن ث وهو أوضح وأصح.
 365 بيت زائد ولم يكن موجود في بردة البوصيري.
 366 (الفلق) في: ن ث

من حسنه البدر جلى وانجلى الفسق * أكرم بخلق نبي زانه
خلق

بالحسن مشتمل بالبشر متسم

26- بل من سنا وجهه بدر التمام خفى * كفاك فى مدحه
المتلو فى الصحف

ما أحسن القول من شاد فقل وصف * كالزهر فى ترف والبدر
فى شرف

والبحر فى كرم والدهر فى همم

27- فإنه الفرد حقا فى رسالته * كأنه البدر باد وسط هالته
كأنه الليث يخشى من بسالته * كأنه وهو فرد من
جلالته

فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

28- كأنما البدر جاء 367 وهو فى سدف * أو السراج تراءى
وهو فى غرف

إذا تكلم مبتسما لمؤتلف * كأنم اللؤلؤ المكنون فى صدف
9من معدنى منطلق منه ومبتسم

29- من لى بزورة مغناه فالزومه * من لى بزورة مأواه
فأخدمه

وإن أثم تراه 368 ثم أثنمه * لا طيب يعدل تر با ضم أعظمه
طوبى لمن تشق منه وملتثم

الفصل الرابع فى مولده عليه الصلاة والسلام

1- أبان مظهره من عظم معجزه 369 * كما أبان لنا من عظم
مظهره

أطاب أصلا وفرعا طيب جوهره * أبان مولده عن طيب
عنصره

يا طيب مبتدا منه ومختتم

2- يوم أبان مناتهم 370 وجنهم * أنار للناس طرا مع جنهم

367 (جلا) فى: ن ث وهو الصحيح .

368 (أشم تراه) فى: ن ث وهو أوضح وأصح .

369 (عن عظم مفخره) فى: ن ث

- يوم به ثل 371 عرش قد أكنهم 372 * يوم تفرس فيه
الفرس أنهم
قد أنذروا بحلول البؤس والنقم
- 3- يوم رمى مع بذات 373 القوم ما يرع 374 * وأيقنوا أن
أحداثا بهم تقع
- وسار كسرى على كمد 375 به جزع 376 * وبات إيوان
كسرى وهو منصدع
كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
- 4 قد عرفوا بسقوط من على شرف * لما تساقط في
الإيوان من شرف
- وقد تخلت جنان الخلد في ترف * والنار خامدة الأنفاس من
أسف
- عليه والنهر ساهى العين من سد م
- 5- سارت قريظة 377 أن حرقت بريرتها 378 * وساءها أن ترى
بيسا 379 خضيرتها 380
- وتبدلت برحاء بؤسا دويرتها 381 * وساء ساوة أن غاضت
بحيرتها
- ورد واردةا بالغيط حين ظم

370	المنأ مقصور الذي يوزن به والتثنية من آدار فلان أي مقابلتها .
371	الثلة: بالضم الجماعة من الناس أهلهم ثل الله تعالى عرشه أماته أو ذهب ملكه أو عزه.
372	جمع وهو محضن الطائر
373	(بذان) في: ن ث
374	(ما يزع) في: ن ث أي: أولاد بقر الوحش
375	الحزن المكتوم
376	ضد الصبر
377	أي: بنو قريظة قبيلة يهودية تسكن في المدينة بعد أن هاجروا من دمشق
378	البرير: ثمر الأراك وهو حلو وله عجمة مدورة صلة أكبر من الحمص
379	موضع: تنسب إليه الخمر أي موضع بنواحي الشام .
380	تصغير الحاضرة وهي النعمة.
381	بيتها تصغير لبيت الدويرة - مصغر دار بريف العراق وقيل مكان ببغداد وقيل بنيسابور على فرسخ منها .

- 6- والماء والنار معكوسان فى عمل * قد صار فعلهما طرا على بدل
فا عجب لطبيعين منعكسين من وجل 382* كان بالنار ما بالماء من بلل
حزنا وبالماء ما بالنار من ضرر
- 7- بشائر الحق للأهواء وازعة * أخبار أحبار بالميلاد شائعة
شوارق الحق للأبصار طالعة * والجن تهتف والأنوار ساطعة
والحق يظهر من معنى ومن كلم
- 8- لكنهم بهما حقا عمى وصمم * فأنكروا الحق والبرهن حين 383 نجم
لم يهتد والهدى كالنار فوق علم * عموا وصموا فإعلان البشائر لم
تسمع وبارقة الإنظار لم تشم
- 9- كم هاتف سمعوا فصعت 384 بواطنهم * وأركسوللدى أملاه خائنهم
وعاندوا الحق والشيطان فاتنهم * من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم
بأن دينهم المعوج لم يقم
- 10- من بعد ما سمعوا ما كان فى كتب * للأنبياء وتقريراً لكل نبي
وشاهدوا إذ أتى عجباً على عجب * وبعد ما عاينوا فى الأفق من شهب
منقضة وفق ما فى الأرض من صنم

382 أي: الفزع والخوف وفي الحديث وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه وجلت منه القلوب

383 (عين) في: ن ث

384 (فصغت) في: ن ث أي: فصع الشيء فصعا: دلكه بإصبعه أو بإصبعيه ليلين

11- شهب لمسترق سمع بدت رجم * فأحرقتهم بنيران فهم

حمم

من أخطأته قليلا فهو منحطم * حتى غدا عن طريق الوحي

منهزم

من الشياطين يقفوا إثر منهزم

12- حتى غدا جمعهم في كل ما جهة * خوف الثواقب من

شهب موجهة

كأنهم مثل البال مولهة * كأنهم هربا أبطال أبرهة

أو عسكر بالحصى من راحتيه رمى

13- في راحتيه ندى للناس يوم ظما * وفيهما النصر

والأنكاء 385 حين رما

كم عسكر لعدو ظل منهزما * نبذا به بعد تسبيح بيطنهما

نبذ المسبح من أحشاء ملتقم

الفصل الخامس في معجزاته صلى الله عليه وسلم

كم آية أصبحت لعلاه شاهدة * كم معجزات أتت للخلق واردة

أف لطائفة أضحت معاندة * جاءت لدعوته الأشجار ساجدة

تمشى إليه على ساق بلا قدم

لما دعاها أجابته وما انتشبت * بل أنها عجلا لدعائه انتدبت

وسلمت ثم عادت مثل ما انتصبت * كأنما سطرت سطرًا لما

كتبت

فروعها من بديع الخط باللقم

أضحت ظلال إليه ثم دائرة * في رفقه نزلت للفيء هاجرة

واستأثروا بالظلال 386 هوى مكابرة * مثل الغمامة أنى

سار سائرة

تقيه حر وطيس للهجير حم

سبحان من هو أعلاه وفضله * على جميع الورى طرا وبجله

385 الأنكاء أركس الثوب في الصيغ أي أعده والركس: رد الشيء مقلوباً وقيل

قلب الشيء على رأسه أو رد أوله على آخره

386 (بالتلال) في: ن ت

ورحمة لجميع الخلق أرسله * أقسمت بالقمر المنشق أن
له

من قلبه نسبة مبرورة القسم
عناية الله لاحظة لذي عظم * حققت له سابقا يا صاح فى قدم
ولم يزل من عدو الله فى عصم * وما حوى الغار من خير
ومن كرم

وكل طرف من الكفار عنه عم
قد ارتجوا أن ينالوا فيه ما عظما * ثم اقتفوا أثره طلبا له أمما
لما أتوا عنده ألفوا له عصما * فالصدق فى الغار والصدى لم
يرما

وهم يقولون ما بالغار من إرم
رأوا على الغار نسج العنكبوت علا * والعنكبوت أجادت نسجها حالا
بعد الحمام الذي فى الغار قد دخلا * ظنوا الحمام وظنو
العنكبوت على

خير البرية لم تنسج ولم تحم
وكم لطائف للأسواء كاشفة * من ربنا عن قلوب فيه واجفة
وكم عناية ربي عنه صارفة * وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم
نجا من الضيم من أضحى يلودبه * وفاز فى دهره حقا بمطلبه
إن ضامك الدهر فالزم غرز مركبه * ما سامنى الدهر ضيما
واستجرت به

إلا ونلت جوارا منه لم يضم
10- فما لطالب فضل غير مورده * فإن قاصده يحظى
بمقصده

وهل لعاف سوى أبواب سيده * ولا التمت غنى الدارين من
يده

إلا استلمت الندى من خير مستلم

- 11- حماه فى حد سنه 387 فىما تخيله * كما حما حملة
388 فىما تأوله * وإن فى حملة وحيا تخلله *
- لا تنكر الوحى من رؤياه إن له
قلبا إذا نا مت العينان لم ينم
- 12- كانت له بدأ وحى فى قضيته * من ذا يضافيه حقا فى
طويته
- وكان فردا فريدا فى مروته * وذاك حين بلوغ من نبوته
فليس ينكر فيه حال محتلم
- 13- قد خص بالشرف العالى على رتب * والوحى يأتى بلا
قول 389 ولا طلب
- ورحمة الله يحويه 390 بلا سبب * تبارك الله ما وحى
بمكتسب
- ولا نبى على غيب بمتهم
- 14- وملجأ الخائفين أذى ساعته * ومورد يسع الرواد باحته
ولا يزيغ 391 الجوى إلا أراحته * كم أبرأت وصبا باللمس
راحته
- وأطلقت أربامن ربة اللمم
- 15- قد بان للكل عند الله حظوته * أروت جموعا من الأظماء
ركوته
- كم قد أزاح غشاء الشك رؤيته * وأحيت السنة الشهباء
دعوته
- حتى حكى غرة فى الأعصر الدهم
- 16- وصار جذباء أرض عين مخصبها * حتى كأن لم يكن
قحط بمجديها

387 (حدسه) فى: ن ث
388 (حلمه) فى: ن ث
389 (وبلا فرق) فى: ن ث
390 (يجريها) فى: ن ث
391 (يزيغ) فى: ن ث .

- أكرم بها دعوة جاءت بصيبيها * بعارض جاد أو خلت
البطحاء بها
- سيب من اليم أو سيل من العرم
- 17- في الحال حين دعا الرحمن أنزله * حتى غدا محصبا ما
كان أمحله
- وبالرخاء بؤس شافى المحال 392 أبدله * لما شكا وقعه
البطحاء قال له
- على الربا والهضاب انهل وانسجم 393
- 18- وقت بروق الندى وزوت خيانتها * فأعربت كل فيحاء
رطانتها
- وأنبتت كل جذباء خزانتها * فأدت الأرض من رزق أمانتها
بإذن خالقها للناس والنعمة
- 19- أوسعت 394 كلا للناس حين روت * وأعشبت كل قيعان
لها فجوت
- وكل بؤس وجذب حل قبل زوت * وألبست حلا من سندس
ولوت
- وأوسعت عما نما برؤوس الهضب والأكم
- 20- والعشب مزهرة تبدى فوائدها * والكمثرى أينعت
تعطيك عائدها
- والتين قد أثمرت تبلى عوائدها * والنحل باسقة
تجلو قلائدها
- مثل البهار على الأبصار والعلم 395
- 21- وبتلت الأرض ما طابت وما خشبت * كلتا هما غرست
نخلا وقد حرقت 396

392 (شاك المحل) في: ن ث.

393 زيادة تسعة أبيات من هذا البيت وما بعده لم يكن موجود في البردة

البوصيري.

394 (وأمر عر) في: ن ث.

395 (والعزم) في: ن ث.

396 (حرثت) في: ن ث وهو الأصح.

- فأنبتت كل مزروع وما لبثت * وفارق الناس داء القحط
وانبعثت
إلى مكارم نفس النكس والبرم
22- يارئها حصر 397 آيات له وسرد * قد رمت حصر كثير
فات كل عدد
وآية منه فاقت فهم كل أحد * إذا تتبعت آيات النبي فقد
ألحقت منفخما منها بمنفخم
23- كساه مولاه نورا من لوائحه * مواهب ومزايا من
مدائحه 398
بفضله نلت نشرا من روائحه * قل للمحاول شاو في مدائحه
من المواهب لم أشدد لها زيم 399
24- مدائح فيه قد ألفيت منشدها * حمدا لمن ألهم النيات
مقصدها
ووفق الكلمات له وأرشدها * ولا تقل لي لماذا 400 نلت
جيدها
فما يقال بفضل الله ذايكم
25- يختص من شا بما قد شاءه فضلا * وسر أقداره قد حير
العقلا

(حضر) في: ن ث .	397
(منائحه) في: ن ث .	398
(الراشد دلها زيم) في: ن ث .	399
(بماذا) في: ن ث .	400

عناية منه خصتنى بها نقلا 401 * لولا العناية كان الأمر فيه
على

حدالسواء فذونطق كذي بكم

الفصل السادس فى شرف القرآن ومدحه

1- يامادحا غيره بمدائح كثرت * وواصفا غيره لجوئز نزلت
402

ومثنيا غيره بمآثر عفرت 403 * دعنى ووصفى آيات له
ظهرت

ظهور نار القرى ليلا على علم

2- مآثر المصطفى درر لها عظم * جواهر هي لم تعرف
لها قيم

نظمتها نجما تحي بها ظلم * فالدر يزداد حسنا وهو منتظم
وليس ينقص قدرا غير منتظم

3- فأين مدح الورى فيمن سماوعلا * فلا يرى مثله فيما
بقى وخلا

على خلا نقه القر أن قدنزلأ * فما تطاول ءامال المديح إلى
ما فيه من كرم الأخلاق والشيم

4- آيات هدى على التقوى مجتثت 404 * مواعظ لصفاء القلب
مورثة

آيات نور لغرث العلم مرغشة 405 * آيات حق من الرحمن
محدثة

قديمة صفة الموصوف بالقدم

-
- 401 (نقلا) في: ن ث.
402 قليل تافه من كل شئ قيل إلحاح في السؤال في العلم والعطاء
403 ظاهر التراب وقيل: التراب أو سقية يسقيها الزرع ثم يترك أياما لا يسقى
فيها حتى يعطش ثم يسقى ويصلح على ذلك
404 (محدثه) في: ن ث أي: القطع مطلقاً قيل إنزاع الشجر من أصله
405 (مرغشة) في: ن ث أي: الرغوث كل مرضعة .

- 5- أى بوعد من الرحمن تبشرنا * فيها وعيد عن
العصيان يزجرنا
فيها مواعظ فى الأحوال تبصرنا* لم تقترن بزمان
وهى تخبرنا
عن المعاد وعن عاد وعن إرم
- 6- أعظم بأى من القرآن موجزة * لكل 406 تفضيل معنى الدين
محرزة 407
لكل علم لباغ فيه مبرزة * دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين إذا جاءت ولم تدم
- 7- قل للمحاول فى تأويل مشتبه * قد جعل معنى له من
أن يخاطبه
ومحكمات لها أغنت لذى نبهه* محكمات فما تبقيين من شبه
لذى شقاق ولا تبغين من حكم
- 8- قف حيث حد تنل ما شئت من أرب 408* وما تعدى لها حدا
ذو وأدب
وإن أبيت فلا تلقى سوى تعب* ما حوربت قط إلا عاد من حرب
أعدى الأعدى إليها ملقى السلم
- 9- بل آية أعجزت دعوى مناقضها* وقد حمت عن مداخل من
بخائضها 409
وحصنت كل ثغر من يركبها 410 * ردت بلاغتها دعوى
معارضها
رد الغيور يد الجانى عن الحرم
- 10- لها معارف جلت عن زها 411 عدد * لها علوم علت عن
كل مجتهد

406	(لعل) فى: ن ث .
407	العودة أو موضع حصين .
408	الحاجة وأرب بالشئى درب به وصار فيه ماهراً .
409	(محائضها) فى: ن ث .
410	من أكضها (فى: ن ث .
411	النبات الناضر قيل نور النبات ومنه التكبر

فإن ما قلت لا يخفى على أحد * لها معان كموج البحر فى
مدد

وفوق جوهره فى الحسن والقيم

11- موارد كلها حلوت 412 مشاربها * لوأرديها وإن جمعوا
مواهبها

وكلما كررت تبدو غرائبها * فما تعد ولا تحصى عجائبها
ولاتسام على الإكثار بالسام

12- والذكر جبل إله العرش أنزله * بشرى لمن كان حامله
413 ورتله

طوبى لمن فهم آيا منه أهله * قرت بها عين قاريها فقلت له
لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

13- بشرى لمن كان من آيا له حفظا * وكان فيما قرى
مستفهما يقظا

وبالمواعظ منه صار متعظا * إن تتلها خيفة من حر نار
لظا

أطفأت حر لظى من وردها الشيم

14- قد فاز تال له فى كل مأربه 414 * وخص من ورده
الصافي بأعذبه

ياطيب مورده يا صفو مشربه * كأنها الحوض تبيض
الوجوه به

من العصاة وقد جاءوه كالحمم

15- أضحت سلالم للجنات موصلة * أعلت لتال لها فى الخلد
منزلة

وفى الموازين أضحت صاح مثقلة * وكالصراط وكالميزان
معدلة

فالقسط من غير هافى الناس لم يقم

412 إحلوت (فى: ن ث.

413 (منه) فى: ن ث.

414 (حقاً بهاربه) فى: ن ث.

16- آى من الله يعلو من يكررها * درسا وفى قلبه الصافي
تدبرها

مجانبا من غدا با لجدد يكفرها * لاتعجبين لحسود راح
ينكرها

تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم

17- والذكر ما فيه من عوج 415 ومن أود 416 * وليس فيه
مجال ما لمنتقد

وقل لمنكره بغيا على حسد * قد تنكر العين ضوء الشمس من
رمد

وينكر الفم طعم الماء من سقم

الفصل السابع فى إسرائه ومعراجه صلى الله عليه وسلم

1- وكان سدره مأوى الخلق فاحته * والأية الكبرى للكل
راحتة

ومورد الكل فى الدارين راحتة 417 * ياخير من يمم
العافون ساحتة

سعيها وفوق متون الأينق الرسم

2- ومن هو العروة الوثقى لذي حذر * ومن هو الملجأ
الأكفى لمنتصر

ومن هو سيد الأرجى لمعتذر * ومن هو الأية الكبرى لمعتبر
ومن هو نعمة العظمى لمغتتم

3- أسريت كيما ترى آيات ذي قدم * وما بالآيات من
طرق ومن حكم

على براق المعالى لاعلى قدم * سریت من حرم ليلا إلى
حرم

كما سرى البدر فى داج من الظلم

415 كان قائماً فمال، الزيف.

416 أي: أعوج أو الإنحناء .

417 (باحته) في: ن ث.

4- رقيت تحرق أطباقا مذللة * كأن فى حجبها سبلا
مسبلة

- ما بين قدس لقدس 418 صار مرحلة * وبت ترقى إلى أن
نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
- 5- ترى عجائب آى من غرائبها * ما زلت ترنو الأعجب من
عجائبها
وأنت بين الملا أبهى مواكبها * وقدمتك جميع الأنبياء
بها
والرسل تقديم مخدوم على خدم
- 6- وكلهم أهدقوا بك فى مواكبهم * وقائمون لديك على
مراتبهم
وكلهم ناظرون إلي مطالبهم * وأنت تحرق السبع الطباق بهم
فى موكب كنت فيه صاحب العلم
- 7- رقيت المنتهى 419 بالقوم فى أفق * وسرت للفرد فردا دون
ما رفق
ما زلت مقتربا لعلى دنو رقى * حتى إذا لم تدع شاو
لمستبق
من الدنو ولا مرقى لمستتم
- 8- يامن هواه فؤدى عن هواه حبذ * وظل كل مرادى فيه لأن
نبذ
وشوقه بنياط فى الفؤاد أخذ * خفضت كل مقام با لإضافة إذ
نوديت بالرفع مثل المفرد العلم
- 9- نوديت فاذن القاب القوس فى بصر * بل كنت من قابه أدنى
على قدر
ونلت مالم ينل ذوالقرب من بشر * كيما تفوز بوصل أى
مستتر
عن العيون وسر أى مكتتم

418 أي: ما بين حرم مكة المقدس إلى حرم بيت المقدس في أرض فلسطين.
419 (للمبتهى) في: ن ث.

- 10- سموت عن بشر طرا وعن ملك * وعن سماء وعن
عرش وعن فلك
وجئتنا بصلاة منه مع نسك * فخرت كل فخار غير مشترك
وجزت كل مقام غير مزدحم
- 11- سموت للقرب في حفظ وفي أدب * حتى إذا لم تدع شأوا
لمقترب
فحسب عليك ما قد نلت من أرب * وجل مقدار ما أوليت من رتب
وعز إدراك ما أوليت من نعم
- 12- حمدا لمن باتباع النور أهلنا * بنعمة من أياد منه جللنا
به على الأمم الماضين فضلنا * بشري معشر الإسلام إن
لنا
من العناية ركنا غير منهدم
- 13- صرنا بحمد الإله من جماعته * حتى رجونا نصيبا
من شفا عته
فقنا سوانا لانا من رعايته * لما دعى الله داعينا لطاعته
بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

الفصل الثامن في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم

- 1- لما بدى للورى أنوار طلعتة * تباشرت أمم أتباع ملتته
ويل لأعدئه من سيف سطوته * راعت قلوب العدى أنباء
بعثته
كناية أجفلت غفلا من الغنم
- 2- كأنهم خدع وقعت على شرك * بل هم عصافير فى شرك وفى
شيك
آبادهم فهوواد ردا 420 على درك * ما زال يلقاهم فى كل
معترك
حتى حكو بالقنا وهنا لحما على وضم
- 3- وكم قتيل لهم هاو إلى أبه * وكم جريح طريح فى تخضبه

- وهارب وهو لم يظفر بمطلبه * ودو الفرار فكادوا
يغبطون به
أشلاء شالت مع العقبان والرخم
4- لقوا من الحرب فى الأيام شدتها * وقد أعدوا لها من
قبل عدتها
هم أمة عجلت فى الحال مدتها * تمضى الليال ولايدرون
عدتها
مالم تكن من ليال أشهر الحرم
5- ما كان حسن بهم إلا نياحتهم * لايعرفون لفرط الخوف
راحتهم
هاموا لضيف عظيم حل فاحتهم * كأنما الدين ضيف حل سا
حتهم
بكل قرم إلى الحم العدى قرم
6- يغذوا أمام جنود صاح فالحة * عساكر للقا والحرب طامحة
يقودهم بجموع غير صالحة * يجر بحر خميس فوق سابعة
يرمى بموج من الأبطال ملتطم
7- لله در جنود سادة نجب * من كل أشمط ذي رأي وذا
أدب
وكل أمر لذي حسب وذي نسب 421 * من كل منتدب لله
محتسب
يسطو بمستأصل للكفر مصطلم
8- جهادهم لللا عادى رأس مكسبهم * ففى الجهاد إستطابوا
ورد مشربهم
وكلمة الدين عالية بمنصبهم * حتى غدت ملة الإسلام
وهى بهم
من بعد غربتها مو صولة الرحم
9- هم خير قرن بدا للناس فى حقب * قد أهلوا فى الورى رتبا
على رتب

من صحبة المصطفى وا الذب عن قرب *مكفولة أبدا منهم بخير
أب

وخير بعل فلم تيتيم ولم تنم

10- ذادوا جموع الندى 422 ضربوا جما جمهم *ولا ترى آمنا

الإمسالمهم

فلم يزل ذو العلى يمضى عزائمهم *هم الجبال فسل عنهم مصادمهم

ماذا رأى منهم فى كل مصطدم

11- وسل قديسا 423 وسل يرموك 424 ماوجدا *وسل

نضيرا 425 غدوا من أرضهم بددا

وسل يمامة 426 عنهم إن تسل أحدا * وسل حنينا وسل بدرا

وسل أحدا

فصول حتف لهم أدهى من الوخم

12- وقائع 427 أن تسلها عنهم شهدت * بان راياتهم بالنصر

قد عقدت وأن أسيافهم أم لها سجدت *المصدرى

البيض حمرا بعد ما وردت

422 (العدى) في: ن ث.

423 إسأل غزوة القادسية وكيف وقعت حيث أبلى المسلمين بلاء حسنا وانتهت

المعركة بالنصر المعزز

424 يرموك: واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن ثم يمضي إلى
البحيرة المنتنة. كانت به حرب بين المسلمين والروم في أيام أبي بكر الصديق رضي
الله عنه وقدم خالد الشام مدداً لهم فوجدهم يقاتلون الروم مُتساندين كل أمير على جيش
أبو عبيدة على جيش ويزيد بن أبي سفيان على جيش وشرحبيط بن حسنة على جيش
وعمر بن العاص على جيش فقال خالد إن هذا اليوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر
ولا البغي فأخلصوا لله جهادكم وتوجهوا لله تعالى بعملكم فإن هذا يوم له ما بعده
فلاتقاتلوا قوماً على نظم وتعبئة وأنتم على تساند وانتشار فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي
وان من وراءكم، معجم البلدان، ياقوت الحموي، موقع الوراق، ج 4، دون التاريخ
ومكان الطبع، ص 339.

425 أي بنو نضير يهود المدينة الذين خالفوا الموثيق مع النبي صلى الله عليه

وسلم فأجلاهم من المدينة.

426 اليمامة: وكان فتحها وقتل مسيلمة الكذاب في أيام أبي بكر الصديق رضي الله
عنه سنة 12 للهجرة وفتحها أمير المسلمين خالد بن الوليد عنوة ثم صلحوا. وبين
اليمامة والبحرين عشرة أيام وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر وتسمى اليمامة،
ياقوت الحموي، معجم البلدان، المرجع السابق ص 345.

- من العدا كل مسود من اللمم
- 13- لله درهم فى الحرب حين نكت * كم أنفس لقناهم ثم قد
هلكت
- كم فى صفوف العدى سمر لهم فتكت * والكاتبين بسمر الخط
ماتركت
- أقلامهم حرف جسم غير منعجم
- 14- فلا عدو إذا لاقوه يعجزهم * ونصرة الحق شيمتهم
وحيزتهم 428
- تراهم إذ صراخ الحرب يبرزهم * شاكى السلاح سيما
تميزهم
- والورد يمتاز بالسيما عن السلم
- 15- أعلى الإله لهم فى الدهر ذكرهم * بصحبة المصطفى
قد شد أزرهم
- تكفل الله عونهم ونصرهم * تهدي إليك رياح النصر نشرهم
فتحسب الزهر فى الأكمام كل كم
- 16- أمامهم من رياح النصر ريح صبا * شم 429 العرائين
أسد فى الوغى نجبا
- متى التقوى بالأعدى خلتهم شهباً * كأنهم فى ظهور الخيل
نبت ربا
- من شدة الحزم لامن شدة الحزم
- 17- أضحت جيوشهم بحرا إذ اندفقا * فى كل حرق له
والطول قد فلقا
- وكل صف عدو الدين قد خرقا * طارت قلوب العدا من
بأسهم فرقا
- فما تفرق بين البهم والبهم
- 18- هم صحب خير الورى حقا وأسرته * قد أسعدتهم جميعا صاح
نظرتة

427 (وقابع) والمكتوب أصح.

428 (وحيزهم) فى: ن ث

429 (شدم) فى: ن ث.

وأظفرتهم على الأعداء سطوته * ومن تكن برسول الله نصرته
إن تلقه الأسد في آجامهم تجم

19- فإن مولا رسول الله ذو ظفر * ومن يناويه في غير وفي
خطر هلكوا عاديه عقباهم إلى سقر * ولن ترى من
ولى غير منتصر

به ولا من عدو غير منقسم

20- صرنا بحمد الله أهل قبلته * لنا بالإيمان مسك حبل

عروته

فهو الإمام الذي 430 قهر سطوته * أحل أمته في حرز ملته
كا الليث حل مع الأشبال في أجم

21- به أمانا بحمد الله من وجل * به برئنا بإذن الله من علل
به نصرنا على الأعداء عن 431 عجل * كم جدلت كلمات الله
من جدل

فيه وكم خصم القرآن من خصم

22- أتى بأى الهدى للخلق موجزة * فى ضمنها حكم كالشمس
مبرزة

لكل معنى غدت للعلم محرزة * كفاك بالعلم فى الأمل

معجزة

فى الجاهلية والتأديب فى اليتيم

الفصل التاسع فى التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم

1- لما انحنى 432 ظهر من أوزار مكسبه * وزداد ثقلا

على ثقل بمركبه

ولم يتب من رزائل 433 سوء مذهبه * خدمته بمديح أستقبل
به

ذنوب عمر مضى فى الشعر والخدم

430 (من) ي ساقطة في: ن ث

431 (على) في: ن ث.

432 وانحنى الشيء: إنعطف وانحنى العود وتحنى إنعطف وفي الحديث لم ينحن

أحد من ظهره أي لم يثنه للركوع .

433 أعمال قبيحة.

- 2- قد خضت في كل واد هام 434 صاحبه *وردت وردا له
سمتى مشاربه
قد حت لى عمل يبست مكاسبه * إذ قلدانى لاتخشى عواقبه
كأننى بهما هدى من النعم
- 3- أضعت عمرا مضى فى الغى وانصرما * فرغت من ذاك
سنى يا أخى ندما
وحق لى أن أبيض من العيون دما * أطعت غى الصبا فى
حالتين وما
حصلت إلا على الأثام والندم
- 5- قد بعث دينى بدنيا مع قذارتها * أخرج الدين سعيا فى
عمارتها
يا صفقة من خزاعة 435 فى إشارتها * فيا حسرة نفس فى
تجارتا
لم تشتري الدين با لدنيا ولم تسم
- 6- وليس حق لشيء مثل با طله * وليس عالم شيء مثل
جاهله
غبين لشارى ردى 436 ما يفاضله 437 * ومن يبع أجلا منه
بعا جله

434 جمع هامة: وهو الرأس وقيل هي وسط الرأس ومعظمه من كل شئ وقيل
أعلى الرأس وهامة القوم سيدهم ورئيسهم
435 خزاعة: وهم ولد لحي بن حارثة، وأصى بن حارثة بن عمرو، مزيقيا، فنزلوا
بظهر مكة. فلم يزالوا يكثررون؛ وتقل جرهم لاستخفافهم بالبيت وفجورهم فيه، حتى
غلبتهم خزاعة وألفافها على مكة، وطردوهم عنها. فدخل بعضهم في قبائل اليمن.
ونزل بعضهم بين مكة ويثرب، فأصابهم الداء الذي يعرف بالعدسة، فهلكوا. قال
هشام: ومما يروى في خروج جرهم من مكة شعر عمرو بن الحارث بن مضاض
الجرهمي.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامر
ولم يتربع في واسطٍ فجنوبه ... إلى المنحنى من ذي الأراكة حاضر
أنساب الأشراف - (ج 1 / ص 3)
436 الردى: الهلاك ردى هلك فرجل ردى أي هالك وفي التنزيل " إن كدت لتردين
"

437 (بفاضله) في: ن ث.

- بين له الغبن فى بيع وفى سلم
7- خدمته أرتجى منه شفا مرض *فى القلب والجسم من
كرب ومن مرض
ومن ذنوب أثارى لى جوى 438 مضمض 439 *إن آت ذنبا
فما عهدى بمنتقض
من النبى ولا حبلى بمنصرم
8- بجاهه أرتجى غفران معصيتى * فى راحتيه 440 شفاء
لى وأدويتى
ولا أره يخلينى بمعصيتى 441 * فإن لى ذمة منه بتسميتى
محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم 442
9- فإنه رحمة بعثت إلى الأبد * للعالمين جميعا وهو معتمدى
قد مال فى أمورى كل مستندى * إن لم يكن فى معادى آخذا
بيدى
فضلا وإلا فقل يازلة القدم
10- ببابه لذت كى ألقى مراحمه * وبى جراح قشت 443
أرجوا مراهمه 444
لأبرح الباب كى أعطى مغانمه * حاشاه أن يحرم الراجى
مكارمه
أو يرجع الجار منه غير محترم

- 438 الجو الهواء والجو ما بين السماء والأرض .
439 مضمض المضمض الحرقه مضني الهم والحزن والقول يمضني مضًا ومضيا
وأومضني أحرقتني والهم يمض القلب أي يحرقه
440 الراحة: السبات.
441 (بمضيعتي) في: ن ث.
442 محمد بل يشكو ثقل معصية * إلى الرسول لكي يحظى بمغفرة
ولا أراه يخلينى بمعصيتة * فإن لى ذمة منه بتسمية
محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم. هذا البيت ساقط في:

- ن أ.
443 (فشت) في: ن ث أي: القش تطلب الأكل من هنا وهناك وقشه بالكلام
آذاهم.
444 الرهمة بالكسر المطر الضعيف الدائم الصغير القطر والجمع رهم ورهاموقيل
المرهم طلاء يطلى به الوجع وهو ألين ما يكون من الدواء

11- لما تورطت شفثيه لوائحه * فشمتم من برقها حقا
روائحه

وقمت بالباب منتظرا منائحه * ومنذ ألزمت أفكارى
مدائحه 445

وجدته لخالصى خير ملتزم

12 ما زالت النفس تخشى سوء ما اكتسبت * لكن به ترتجى
غفران ما رهبت

ودرکها عن غنى الدارين ما طلبت * ولن يفوت الغنى منه يدا
تربت

إن الحيا ينبت الأزهار فى الأكم

13- وهذه بضاعتى المزجات وهى قفت 446 * ولا مدائح للمداح
وهي 447 وفت

قصدى رضاك 448 فجد بعناية عطفت * ولم أرد زهرة الدنيا
التي اقتطفت

يدا زهير بما أثنى على هرم

الفصل العاشر فى المناجات وعرض الحاجات

1- قصد الفقير 449 خلاص من تكسبه * بعد الرضى منك مع
فوز بمطلبه

أنت الملاذ له فى كل مأربه * يأكرم الخلق ما لى من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم

2- إليك لذت أرح قلبى من الكرب * وداونى من سقام بى

ومن وصب

بك استجرت أجرنى عن هوى عطب * ولن يضيق رسول الله
جاهك بى

445 (تنفت به) بالثناء بدل الشين

446 واستقف الشيخ تقبّض وانضم وتشنج ومنه وقد قفّ جلدي أي تقبض كأنه

بيس

447 (فيه) بدلا من وهي في: ن ث.

448 (لديك) في: ن ث.

449 (وقصد بل) في: ن ث ولا يوجد الفقير في هذه النسخة.

إذا الكريم تجلى باسم منتقم

3- والنفس ما فتأت تخشى معرفتها * فاشفع لها وأزر عنها
مضرتها

ومنك تزجو فابلغها مسرتها * فإن منجودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

4- أقول للنفس لما شفتها وجمت * لاتجزعى لمعاد منك ما
انصرمت

كم رحمة لذوى العصيان قد قسمت * يا نفس لاتقنطى من زلة
عظمت

إن الكبائر فى الغفران كالمم

5- توبى إلى الله إن التوب يهدمها * واستغفرى الله إن الله
يعلمها

ورحمة الله أوسع وهى تهضمها * لعل رحمة ربه حين
يقسمها

تأتى على حسب العصيان فى القسم

6- إنى وإن كنت عبدا لايزال يسى * فى الدهر كان بأثواب
الذنوب كسى

وحاله أن تشفه حال منتكس * يا رب واجعل رجائى غير
منعكس

لديك واجعل حسابى غير منخرم

7- أجب لعبدك واغفر رب لأزملة * وأعطه ذا العلى ما
كان أمله

ونجه من عذاب قد تهولاه * والطف لعبدك فى الدارين إن له
صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم

8- وا ختم له فى الدنا بحسن خاتمة * واحشره فى الحشر فى
الأهوال سالمة

ونعمة منك لاتنفك لازمة * وأذن لسحب صلاة منك دائمة
على النبى بمنهل ومنسجم

9- موصولة بسلام منك منسكبا * وآله خير آل فى
الورى نجيا

وصحبه خير من فى الله قد صحبا * مارنحت عذبات البان ريح
صبا

واطرب العيس حادى العيس بالنغم450
" الحمد لله رب العالمين اللهم صل على من ختمت به الرسالة آياته
بالنصر والنور " اللهم صل على سيدنا محمد نبى الأمل وءاله
وصحبه وسلم تسليما ءامين .

المبحث الثالث: تحقيق تخميس يهوذا

في تحقيق هذا الكتاب اعتمد الباحث على ثلاث نسخ: الأولى نسخة وقد حصل الباحث عليها من الشيخ الغالي بن الشيخ يهوذا الساكن في حارة أنغون ماسا في مدينة زاريا بحكومة المحلية زاريا ولاية كدونا نيجيريا، وذلك في التاريخ 2007/4/28م، لم يقف الباحث على تاريخ كتابتها، وخط القصيدة خط مغربي واضح ومشكّل أيضاً وتوجد فيها بعض التعليقات القليلة باللغة العربية والهوسوية التي اعتاد أن يقوم بوضعها الناسخ حول الصفحة، وتتكون من اثنتين وأربعين صفحة (42) وهى مكتوبة في وجهين، ونوع الورقة لطيفة الملمس، فيها مقدمة وجيزة تشير إلى اسم الشيخ يهوذا بن سعد الذي قام بالتأليف، وطول الورقة اثنتين وعشرين سم، وسبعة عشر سم عرضاً، وكل صفحة تحتوي على اثني عشر سطرًا وكل سطر اثني عشر كلمة بحوالي اثنتين وأربعين حرفاً، ويوجد بعض الخط باللون الأحمر كاسم المؤلف واسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي آخر الورقة خاتمة قصيرة فيها الشكر والثناء على الله ثم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التأمين مرتين، وقد رمز الباحث لهذه النسخة ب: ن أ، يعني النسخة الأولى .

أما النسخة الثانية التي اعتمد الباحث عليها في التحقيق فهي تلك التي طبعت على نفقة محمد الكبير بن معلم بلو بالتاريخ 1430هـ الموافق 2009م وقد حصل الباحث على هذه النسخة من دكتور بشير حسن أبوبكر المحاضر في قسم اللغة العربية جامعة أحمد بلو زاريا، بالتاريخ 2011 / 3 / 9م ويحتوي الكتاب في هذه الطبعة على أربعة وثلاثين صفحة (34) مقياس 17 x 34 سم، وهناك زيادة في نهاية هذه النسخة وهي عبارة عن سبعة أبيات من البردة بدون التخميس وفيها تعليقات باللغة العربية، وكل صفحة فيها خمسة عشرة سطرًا وكل سطرًا اثنتي عشرة كلمة بحوالي اثنتين وأربعين حرفاً، وقد رمز الباحث لهذه النسخة: ب ن م. يعني النسخة المطبوعة .

أما النسخة الثالثة التي اعتمد الباحث عليها في التحقيق وهي نسخة مصورة حصل عليها الباحث من الشيخ علي كونه الذي يسكن في حارة باكن كاسوا في حكومة المحلية زاريا المحاضر بقسم اللغة العربية، كلية التربية الفدرالية زاريا، بالتاريخ 2009/5/19م، وقد رمز الباحث لهذه النسخة بـ ن ث يعني النسخة الثالثة .

ونجد في جميع هذه النسخ أن المؤلف الشيخ يهوذا قد افتتح الكتاب بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم هذا تخميس ليهوذا بن سعد بن محمد بن عبدالله على البردة البوصيرية في مدح خير البرية قصد به التوسل إلى رضوان ربنا 1 المنان ببركة نبيه الحنان صلى الله عليه وسلم آمين .

حمداً لرب غنى بارئ النسم * له الوجود كذا البقاء كالقدم
له الكلام وبصر جل عن صمم * الحمد لله منشي الخلق من عدم
ثم الصلاة على المختار في القدم
وختتم الكتاب بقوله:

فهب بحبك لي حسناً لخاتمة * بأن أوحد مولى عند صادمة
برحمة منك يا مولاي قائمة * وأذن لسُحب صلاة منك دائمة
على النبي بمنهلاً ومنسجم
صلى عليه تعالى وأعطه الأربا * وكل ما يبتغي وكل ما طلبا
وآله وعلى أصحابه الثُّجبا * مارثحت عذبات البان ريح صباً
وأطرب العيسَ حادي العيس بالنغم
في النسخة الأولى (ن أ) كتب الناسخ في آخرها قوله تمت
بعون الله وعمت ثم كتب صلاة الفاتح ثم قال آمين. وأما النسخة
الثانية كتب الناسخ تمت بحمد الله وحسن عونه والصلاة والسلام
على أشرف المرسلين ءامين .

¹ في: ن م لا يوجد كلمة (ربنا) .

تحقيق عنوان الكتاب:

ليس هناك اختلاف في تسمية الكتاب في جميع النسخ .

تحقيق نسبة الكتاب إلى المؤلف:

النسخة الأولى والثالثة كتب في أول الصفحة بعد البسمة ما

يأتي:

هذا تخميس ليهودا بن سعد بن محمد بن عبد الله على البردة
البوصيرية في مدح خير البرية .

وأما النسخة الثانية التي طبعت على نفقة محمد الكبير بن

المعلم بلو كتب ما يلي:

هذا تخميس البردة البوصيرية في مدح خير البرية صلى الله

عليه وسلم للشيخ العلامة يهودا بن سعد التجاني زاربه .

هذا يدل على تحقيق نسبة الكتاب إلى المؤلف لأحد يتجرأ

فيطبع الكتاب ثم يضع غير اسم المؤلف لما يترتب ذلك قانونياً دولياً .

لهذا تأكد الباحث نسبة الكتاب إلى المؤلف الشيخ يهودا بن سعد

زاريا .

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى

آله وسلم

هذا تخميس ليهودا بن سعد بن محمد بن عبدالله على البردة

البوصيرية

في مدح خير البرية قصد به التوسل إلى رضوان ربنا المنان

ببركة نبيه

الحنان صلى الله عليه وسلم آمين

الفصل الأول في الغزل وشكوى الغرام

حمداً لرب غنى بارئ النسم 451 * له الوجود كذا البقاء كا لقدم
 له الكلام وبصر جل عن صمم * الحمد لله منشى الخلق من عدم
 ثم الصلاة على المختار فى القدم
 أمن تذكر عرفات 452 أو الحرم 453 * أو زمزم
 454 أو حطيم 455 كنت ذا ألم
 أولعلو أحد أو ترعة النعم 456 * أمن تذكر جيران بذى سلم
 مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
 وحر نفسى خليلى ما بصارمة 457 * جيوش حب غزت ليست
 بسالمت
 وكيف تسلم بأشواق ملازمة * أم حبة الريح من تلقاء كاظمة
 وأومض البرق فى الظلماء من إضم
 إن جاء ناصح 458 أترضى بماقد أتى * أويستوى عنك ناطق
 ومن سكتا
 غريق بحر الهوى يابى بما ثبتنا * وما لعينك إن قلت اكففا همتا
 وما لعينك إن قلت استفق يهم
 الله يعلم من فى قلبه ألم * للشوق فى صدره وهو ينكظم
 أموره ظاهر كمن به سقم * أبحسب الصب أن الحب منكم
 ما بين منسجم منه ومضطرم
 وغضت فى البحر لكن كنت فى غلل * لضرب عشق لخلدي 459
 كنت فى علل

-
- 451 جمع النسمة وهي النفس ويطلق النسمة على الإنسان
 452 أي صعيد عرفة وهو ميدان أو واد بالوقوف به يتم مناسك الحج.
 453 أي الحرم المكي.
 454 زمزم ماء مبارك في داخل الحرم المكي وهو لما شرب له.
 455 الحطيم: بمعنى المحطوم من باب فعيل بمعنى مفعول إحتالف في الحطيم
 وموقعه والصحيح أنه ما بين الحجر الأسود إلى زمزم إلى مقام إبراهيم.
 456 تتفق جميع النسخ على هذا الدور، دون مخالفة والذي يراه الباحث يكون: أو على أحد أو
 ترعة النعم
 457 صرم الشيء: قطعه وصرم الرجل قطع كلامه أصرم النخل حان له أن يصرم
 الإنقطاع، التصارم التقاطع.
 458 في البيت زحافات وليس الكسر في الميزان.
 459 (لخلدي) في: ن م.

لأجل ذاك أجول صرت كالمثل * لولا الهوى لم ترق دمعاً

على طلل

ولا أرقى لذكر البان والعلم

والعين لشوقها فى ليلها شهدت * دموعها تنهمى أبداً بما قد بدت

وشقها الشوق لا عقل بما عمدت * فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت

به عليك عدول الدمع و السقم

يا طالبا للمنى بعد الونى 460 وعنا 461 * بادر وقدم متابا أو ثناءً

هنا

فحبذا قلب مشتاق يروم سنا 462 * وأثبت الوجد خطى عبرة وضنا

مثل البهار على خديك والعنم

وخضت بحر الهدى والشوق مزقنى * دخلت ظل أمان حب ألقنى

وحر قلبى لأشواقى أحرقنى * نعم سرى طيف من أهوى فأرقنى

والحب يعترض اللذات بالألم

بدت جبين لذى الأشواق مسفرة * ييدي بما عنده للمدح مقدره

فلا ترد موردا صارت مكدره * يا لائى فى الهوى العذرى

معدرة

منى إليك ولو أنصفت لم تلم

إنى أسير الهوى مداوم الذكر * وليس يمكن إخفائى فى الفكر 463

فكيف إخفاء شمس طلعت الظهر * عدتك حالى لاسرى بمستر

عن الوشاة ولا داعى بمنحسم

وانصح لخل 464 بما قد كان ينفعه * فلا ترم بزوال الشئ يودعه

رب الورى فى حشاياه ويوقعه * محضنتى النصح لكن لست

أسمعه

إن المحب عن العذال فى صمم

460 الونى: الضعف والفتور ونى فى الأمر: ضعف وتوانى فى حاجته قصر.

461 عنا: خضع ونذلّ وفي التنزيل " وعنت الوجوه للحى القيوم "

462 الرفعة: وهو ضوء البرق ونبت يتداوى به .

463 فى البيت زحاف .

464 الخل بالفتح الخصلة وهي أيضا الحاجة والفقر الخل الود والصديق والخلل

الفرجة من الشيبين وجمعه الخلال .

ضيعت دهرِي في شغل وفي أَملي * حتى بدا الشيب لم أصلح به
عملي

كأننى لم أر ما لاح فى قللى 465 * إنى اتهمت نصيح الشيب فى
عذلى

والشيب أبعد فى نصح عن التهم

الفصل الثانى فى التحذير من هوى النفس

وشيبتى منذر نفسى وما ارتعدت * ولا التفات لها ابدا وما قصدت
إلى أمور الرضى قط وما اجتهدت * فإن أمارتى بالسوء ما لتعظت
من جهلها بنذير الشيب والهرم

فلا تخاف لما من حوبها 466 صدرا * وهدمها لحدود الله ما سترا
ولا شراب لها إلا لما كدرا * ولا أعدت من الفعل الجميل قرى
ضيف ألم برأسى غير محتشم

طلوع شيب لذي عقل فمذره * ضعف العروق فيأتيه يناظره
سقوط أسنانه خل يسامره * لو كنت أعلم أنى ما أقره
كتمت سرا بدا لى منه بالكتم

ندت 467 ندودا بترك من هدايتها * ودخلت فى عرين 468 من
عمائتها

كعبتها شهوة دوما لغايتها * من لى برد جماح من غوايتها
كما يرد جماح الخيل بالجم

هى العدوّة كم تردى بقسوتها * وحبها لذخارف وجفوتها 469
حب الرياسة برطيل 470 لغزوتها * فلا ترم بالمعاصى كسر
شهوتها

إن الطعام يقوى شهوة النهم
فدع أخى شراب الخمر والكسل * والعجب والغيبة وفعلك الخطلا

465 القل شئ قليل أو إناء من العرب وجمعه القل.

466 الحوب: الإثم.

467 بعير نفر وذهب على وجهه شارد.

468 أي: مأوى الأسد وأصله جماعة الشجر.

469 أي: قسوتها.

470 معول من حديد أو حجر مستطيل.

بخوف رب تنال عزة وُعلا * والنفس كالطفل إن تهمله شب
على

حب الرضاع وإن تفضمه ينفطم
وقم وشمر إلى دين لتعليه * أساساه تعليم كي تجليه
وسنة المصطفى لكي تحليه 471 * واصرف هواها وحاذر أن
توليه

إن الهوى ماتولى يُصم أو يَصم
فإنها بفتون الشر عالمة * لاتقبل القول منها وهي ظالمة
وإن بدا الدين ترجع وهي عالمة * ورا عها وهي فى الأعمال
سائمة

وإن هي استحلّت المرعى فلا تسم
وكم تبانّت بقول النصح قاتلة 472 * رمت إلينا محاسناً شواغلة
ولا تراها سوى بالشر فاعلة * كم حسنت لذة للمرء قاتلة
من حيث لم يدر أن السم فى الدسم
لقد نصحت إليك كن بمستمع * مهمى أكلت طعاما كل بمنافع
وكثرة الأكل تمنعك من الورع * واخش الدسائس من جوع ومن
شبع

فرب مخصصة شر من التخم
إن كان نفسك بالأوزار ما هدأت * لكونها أعين الأديان قد فقئت
ككونها بفروض العين قد ظمئت * واستفرغ الدمع من عين
قد امتلئت

من المحارم والزم حمية الندم
إن خفت ربك فاجعل شغلك الخدما * وذرهوى نفسك تسلم وتغتتما
واصحب مطيعا ولا تاوى لمن أثما * وخالف النفس والشيطان
وعصهما

وإن هما محضاك النصح فاتهم
لا ترض بالقول من تراه متهما * ومن يقيم لبناء الدين منهما
وجوده فى الزمان يعدل العدما * ولا تطع منهما خصما ولا حكما

471 أي: تزينه.

472 في: ن م خاتلة والصحيح (قاتلة).

وأنت تعرف كيدالخصم والحكم
مقالتي بين تلميذى على مثل * مثل الطبيب يداوى وهو ذو علل
قطعت دهرى فى شغل وفى خطل * أستغفر الله من قول بلا عمل
لقد نسبت به نسلا لذى عقم
وخضت بحرا لوعظ ما شربت به * أيقظت لكننى لست بمنتبه
لفظى لما قلته قد ءال لشبهه * أمرتك الخير لكن ما أنتمرت به
فما استقمت فما قولى لك استقم

وعاقل يعتد للسير راحلة * يقوم فى ليله بالدمع سائلة
ونفسى ما أنت للبر فاعلة * ولا تزودت قبل الموت نافلة

ولم أصل سوى فرض ولم أصم

الفصل الثالث فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

ونمت فى ليلتى إيلفى الكسلا * علمت طرق الهدى لم أسلك السبلا
دأب الكرام قيام الليل لامللا * ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى أن
إن اشتكت قدماه الضر من ورم

من العجيب لمن حاز العلا وحوى * ترك الدنيا ترك النطق أي
بهوى

واقبلت نحوه الفانى أبى وزوى 473 * وشد من سغب أحشاءه
وطوى

تحت الحجارة كشحا مترف الأدم

ونعم من فاز بالعلوم والأدب * واختار رب العلى لم يرض با
لنشب 474

وبعد ملك الكنوز يقيم بالسغب 475 * وراودته الجبال الشم من
ذهب

عن نفسه فارهاأىما شمم

ترتيل قرآن فى دياج سيرته * بدربه 476 للدنا بانة بصيرته
لأجل ذا كل من يؤمن عشيرته * وأكدت زهده فيها ضرورته

473 بمعني: كره .

474 اي: المال .

475 أي: الجوع.

476 في: ن م (بدرئه) وهو الأصح، ومعناه: بدفعه للدنيا.

إن الضرورة لاتعدو على العصم
ما اختار دار فناء قط منذ سكن * وتركها جملة لديه وهو حسن
كيف إحتياج إلى مطروحة كالشعن * وكيف تدعو إلى الدنيا
ضرورة من

لولا ه لم تخرج الدنيا من العدم
يا سيد الأنبياء حبي فخذ بيديّ * أنت الشفيح و لولاك فلسنا بشيء
شمس الهداية سعد الخلق ذلك أي * محمد سيد الكونين والثقلى

ن والفريقين من عرب ومن عجم
أتى النبي بقرآن هو السند * آياته جملة للأذكيا مدد
لها معان كثير كله رشد * نبينا للأمر الناهى فلا أحد
أبرفى قول لامنه ولانعم
شفيح كل الورى فازت جماعته * وجاء فى ءاخر ترفع ساعته
وكل من جبه نفقت بضاعته * هو الحبيب الذي ترجى شفاعته
لكل هول من الأهوال مقتحم

أتى بدين قوى غير مشتبه * أهل السعادة تأتي ياخذون به
وكل أخذه فاز بمطلبه * دعا إلى الله فالمستمسكون به
مستمسكون بحبل غير منقصم
بجاهه جل نجى نوحا من غرق 477 * به السلامة للخليل من حرق
لولا ه لم يخلق الإنسان من علق * فاق النبيين فى خلق وفى خلق
ولم يدانوه فى علم ولاكرم

وكل نور من الأنوار مقتبس * من نور خير الورى ما الدين يلتبس
لكونه آخرأ ما الدين يندرس * وكلهم من رسول الله ملتبس
غرفا من البحر أو رشقا من الديم
جميعهم شربوا فازوا بوردهم * ياتون ساحته بحق قصدهم
فنعم ما اعترفوا فيدا لمدهم * وواقعون لديه عند حدهم
من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

هو الذي جاء والقرآن سورته * منظف القلب والإخلاص سريرته
شفاعة المحشرحقا ذخيرته * فهو الذي تم معناه وصورته

ثم ا صطفاه حبيبا بارء النسم
وسيد كل شيء من خزائنه * يعطى بمال سباان فى مساكنه
من نال خيرا ينله من معادنه * منزه عن شريك فى محكاسنه
وجوهر الحسن فيه غير منقسم
قوم من الروم قد باؤا بعيهم * بوصفهم عبد مولانا بغيهم
بغير وصف له أبدا بكذبهم * دع ما دعتهاالنصارا فى نبيهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وقل زكى زعى 478ينجى من تلف * كذا بهى 479 سخي صاح من
وصف
أثناه رب العلى يكتب فى صحف 480 * وانسب إلى ذاته ما شئت
من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
لسائر الناس رب الناس أرسله * وتابع غيره والدين ليس له
لكافة الخلق فضله وأهله * فإن فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بقم
جند الملائك صارو كلهم خدما * والأنبيا ء كلهم أنصاره قدما
لمكثه فى المدينة أصبحت حرما * لونات قدره آياته عظما
أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم
ببركة منه تيسير لمذهبه * أزال رب الورى ثقلا كمر غبه
وكان موسى الكليم قد أشار به * لم يمتحنا بما تعيا العقول به
حرصا علينا لم نرتب ولم نهم
ومن يراه أتاه الخوف حين يرا * أطلعة الشمس تبدوا أوبدا قمرا
كذاك عادة حسن الخلق إن بهرا * أعيال الورى فهم معناه فليس يرا
فى القرب والبعد فيه غير منفخم
وفاق من نال أزلا من رضى الصمد * أعطاه مولاه مالم يؤت من
أحد
فخاره كمياه البحر فى مدد * كالشمس تظهر للعينين من بعد

478 أي: عدل وأقسط (السيد أو الملك في رعيته) .
479 أي: الواسع من كل شيء (وهو الواسع من العيش) .
480 الباحث لم يجد حلا وسط لهذا البيت والله أعلم .

صغيرة وتكل الطرف من أمم
 أفاضل الناس قد صاروا صحابته * إن شئت نيل العلى فالزم طريقته
 كفاك رب العلى أثنى خليقته * فكيف تدرك فى الدنيا حقيقته
 قوم نيام تسلوا عنه بالحلم
 فكر بفكر يامن أى له الفكر * طولت مدحك أم أنت مختصر
 فيما بلغت بمدح أنت مقتصر * فمبلغ العلم أنه بشر
 وأنه خير خلق الله كلهم
 وأكمه برئت عيناه مسح بها * ورد روحاً لمن مات فقام بها
 آيات موسى له طرا فكن نبها * وكل أى أتى الرسل الكرام بها
 فإنما اتصلت من نوره بهم
 وحين جاءت الدنا زالت غياهبها 481 * وغيمة الكفر فانجابت
 سحائبها
 لأنه سيد الخيرات صاحبها * فإنه شمس فضل هم كواكبها
 يظهرن أنوارها للناس في الظلم
 طلوع نجم يزيل بعض ما سودا * لكن يبين للمقصود إن قصدا
 ونوره نافع إن قمت مجتهدا * حتى إذ طلعت فى الأفق عم هدى
 ها العالمين وحيأ سائر الأمم
 معتدل القامة ووجهه طلق * وإن تكلم جاء المسك يعتبق
 بحر وجود وفى الخيرات يستبق * أكرم بخلق نبى زانه خلق
 لحسن مشتمل بالخير متسم
 إن رمت تشبيهه بالحسن من وصف * جبينه فاق شمسا نوره يكف
 ولين الجانب بحر لمقترف * كالزهر فى ترف والبدر فى شرف
 والبحر فى كرم والدهر فى همم
 ترى قریش عجاب من رسالته * حتى تحقق حقا من مقالته
 الله أرسله ذى من رسالته * كأنه هو فرد فى جلالته
 فى عسكرحين تلقاه وفى حشم
 ووجهه كطلوع القمر ذى النصف * وثقره كسنا للبرق ذى الخطف
 مؤسع الصدر مرفوع إلى الكتف * كأنما اللؤلؤ المكنون من صدف
 من معدنى منطق منه ومبتسم

بَاغِيْهُ يَرِ عِدْ لِعِظْمِ هَيْبَتِهِ * جَلِيْسُهُ لَا يَمَلُ نَظْرَ جِبْهَتِهِ
تَمَوْجُ النُّوْرِ تَغْشَى عِنْدَ نَظْرَتِهِ * تَعْيَا الْعُقُوْلَ كَلَا لِأَعْنَدِ رُؤْيَتِهِ
كَأَنَّمَا نَظَرْتُ لِلشَّمْسِ مِنْ أُمَّمِ 482
اللَّهُ شَرَفَهُ حَقًّا وَكِرْمَهُ * وَيَأْمُرُ الْكُلَّ بِعَدِهِ وَعِظْمَهُ
وَطَيِّبَ قَبْرِهِ فَضْلًا وَفَحْمَهُ * لَا طَيِّبَ يَعْدِلُ تَرْبَاضَ أَعْظَمِهِ
طُوبَى لِمَنْتَشَقٍّ مِنْهُ وَمُبْتَسِمٍ

الفصل الرابع فى مولده عليه الصلاة والسلام

زمانه زمن فاز بمفخره * وسعدنا كوننا نُحييت منبره
ونوره لم يزل أبدا لمظهره * أبان مولده عن طيب عنصره
يا طيب مبتدأ منه ومختتم

لما إله الورى أمتع جنهم 483 * عن إستراق وبالأنوار أجنهم 484
وأوجسوا خيفة تثبت ظنهم * يوم تفرس فيه الفرس أنهم
قد أنظرو بحلول البؤس والنقم
وإن يدا لحق والبطلان 485 يرتدع * لما لمع برق سعد
كُفِرُ يَنْقُطِع

ونوره مذ بدا والشرك ينقطع 486 * وبات إيوان كسرى وهو
منصدع

كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
ناموا أقاموا زمانا فى شفا جرف * حتى أتى سيدالسعداء بالحنف
ينقذهم ويُنَجِّيهم من التلف * والنار خامدة الأنفس من أسف
عليه والنهر ساهى العين من سد م
نيران كفر لقد تطفى جُميرتها 487 * وظنهم قبل ذا نُحْمى نويرتها
وماء فارس أن غارت نُهيرتها * وساء ساوة أن غاضت بحيرتها
ورد واردها بالغیظ حين ظم

وإنهم قعدو فى فاسد العمل * تَبَّأً وَقَبْحًا لعزاهم مع الهبل 488
وحالهم هكذا حتى انمجلا المحل * كأن بالنار ما بالماء من بلل
حزنا وبالماء ما بالنار من ضررم
جاءت تباشر الشمس سعد طالعة * ورحمة تأتي للخيرات جامعة
نبراس حين 489 أضاعت وهى رافعة * والجن تهتف والأنوار
ساطعة

483 أي: الشياطين من الجن .

484 أي: أسترهم وحفظهم.

485 وفي: ن م (والبطلال) وهو الصحيح .

486 في: ن م (ينقلع) ومعنا هما واحد .

487 وهو: تصغير جمرة .

488 أي: صنم عزى، والهبل، التي فى مكة قبل الفتح .

والحق تظهر من معنى ومن كلم
ياويح مرء إذا نفسا له قد ظلم * ولم يبال بإنذار النذير ألم
فيا خسارة مرء قد عمى وصمم 490 * عموا ووصموا فإعلان
البشائر لم
تسع وبارقة الإنذار لم تشم
كم كاهن أخبر طاحت ميادنتهم * ولاقرار لمن هُدمت مساكنهم
قد أهلك الكفر واجتثت أماكنهم * من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم
بأن دينهم المعوج لم يقم
وقد رأوا مارأوا فى سالف الحقب * ترمى السماء شهابا ظاهرا
للهب
لأن ذا عندهم من أعجب العجب * من بعد ما عاينوا فى الأفق من
شهب
منقضة وفق ما فى الأرض من صنم
حتى بداالدين مرفوعا ويختتم * وختل البيع والشيطان ترتجم
وخاب رصد لم توجد لهم كلم * حتى غداعن طريق الوحي منهزم
من الشياطين يقفوا إثر منهزم
وقد رأوا لإستراق كل مكرهة * نيران تحرقهم من أيما جهة
ورحمة تبعد بكل مُشبهة * كأنهم هربا أبطال أبرهة 491
أو عسكر بالحصى من راحتيه رمى
الله فضل محبوبا له كرما * إذ فى حنين رمى الجيوش تنهزما
إذ لم يزل باله الحق معتصما * نبذابه بعد تسبيح ببطنهما
نبذ المسبح من أحشاء م لتقم
الفصل الخامس فى معجزاته صلى الله عليه وسلم

489 في: ن م (نبراس دين).

490 وهو: كناية عن عدم سماع الحق والتباعد الرشد.

491 أبرهة: هو الأشرم أبو يكسوم قتل حبشياً كان غلب على اليمن، وصار مكانه. فرأى العرب باليمن يتأهبون في وقت الحج. فسأل عن أمرهم. فقيل إنهم يريدون بلدا يقال له مكة، وبه بيت الله يتقربون إليه بزيارته. فبنى بيتاً بصنعاء كثير الذهب والجوهر، وحمل من قبله من العرب على أن يحجوه ويصنعوا عنده كصنيعهم عند الكعبة. فاحتال بعض العرب لسدنته، حتى أسكرهم؛ ثم أتى بجيف ومحاض فألقاها فيها، ولطخ قبلته، وكانت على المشرق، بعذرة. فغضب أنساب الأشراف، الأشراف، الطبعة الأولى، ج 1، دون ذكر التاريخ والمكان، ص 29.

وكم بمعجزة جاءته ماهدة * كنطق ذيب لراع الغنم راشدة
كفاك وحى الإله صاح شاهدة * جاءت لدعوته الأشجار ساجدة
تمشى إليه على ساق بلا قدم
لريبة لقريش جاء إقتربت * وجاء أمر حقيق كفر ما ذهب
معاند يجحد لكل ما ثبتت * كأنما سطرت سطرًا لما كتبت
فروعها من بديع الخط باللحم
من العجائب أن الظل دائرة * فأينما جال جالت فهي وافرة
تقيه ما يُتقى للحر فاترة * مثل الغمامة أنى سار سائرة
تقيه حروطيس للهجير حم
نقاه ربُّ العلى طفلاً وكملة * وبعد تنقيه للقلب أرسله

وأظهر الدين دين الكفر بدله * أقسمت بالقمر المنشق أنه
من قلبه نسبة مبرورة القسم
كشفت لما ستر المولى على العدم * على رفيقين حفظ الله لم يرم
سراقة سارع وسار بالندم * وما حوى الغار من خير ومنكرم
وكل طرف من الكفار عنه عم
وَنِعَم غار الذي قد يجمع العظما 492 * وحاز خير الورى خيرا
ومن كرما
وذاك غار حقيق فائق العظما * والصدق فى الغار والصدى لم
يرما
وهم يقولون ما فى الغار من إرم
حوك 493 العناكب باب الغار قد سدلا * وباضت الطير حتى قالوا ما
دخلا
ستر المهيمن مسبول لقد نزلا * ظنوا الحمام وظنو العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم
ونفس أهل التقى ليست براجفة * ولو ترى بفناها كل واجفة
لخوف رب الورى ليست بخالفة * وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم
ومطلبى فى الدنا إتباع مذهبه * وليس عندى سواه من ألذبه
وعدله ظفر الإنس وجن به * ما سامنى الدهر ضيما واستجرت
به
إلا ونلت جوارا منه لم يضم
قصدت مورد عدل كن لمورده * من أم خير الورى يظفر بمقصده
عست عيونى تراه حين مشهده * ولا التمت غنى الدارين من يده
إلا استلمت الندى من خير مستلم
ونومه نوم معصوم وخوله * رب العلى فيه تميزا وأنزله
منازلا لعلوم السر جملة * لا تنكر الوحي من رؤياه إن له

492 أي: محمد صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

493 حوك الأناكب: أي: نسيج العنكبوت سد باب الغار الذي دخلا فيه الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم والصحابي الجليل رضي الله عنه.

قلبا إذانامت العينان لم ينم
تكننت معجزات فى طفولته * إلى بلوغ سنين من كهولته
وبعد ها طلعت شمس رسالته * وذاك حين بلوغ من نبوته
فليس ينكر فيه حال محتلم
تعاظم ذوالعلى يعطى بلا سبب * نبوة ورسالة بلا كسب
فضل المهيمن إن جاء بلا نصب * تبارك الله ما وحى بمكتسب
ولانبى على غيب بمتهم
وجاء بالحق قد باننت فصاحته * أوإليه وقد تمت فلاحته
وكل من ذل باب العز ساحته * كم أبرأت وصبا باللمسراحته
وأطلقت إربا من ربة اللمم
أزاح عن مكة الأفيال494 سورته * كدفع أحزاب495 عن طابة
سطوته
وأشبع الألف من جياع دعوته 496 * وأحيت السنة الشهباء دعوته
حتى حكنت غرة فى الأعصر الدهم
جاءت سحابة نحى من سواكها * كزرعنا ومواشيننا بصائبها

494 جمع الفيل
495 أي: غزوة أحزاب.
496 أي: دعوته للطعام في غزوة خندق

وحاجة قد قضت طراً لراغبها * بعارض جاد أوخلت البطاح بها
سبياً من اليم أوسيلاً من العرم

الفصل السادس فى شرف القرآن ومدحه

أصابع منه بالماء قد انفجرت * حنين جذع 497 للشوق منه
إشتهرت

نطق للناقة بين الناس إنتشرت * دعنى ووصفى آيات له ظهرت
ظهور نار القرى ليلا على علم

للنالى الدين لم توجد لها قيم * وجوهر الفضل لم توجد له قسم
أسلوبه الخاص فد فاقت كذا نظم * فالدر يزداد حسنا وهو منتظم
فليس ينقص قدرا غير منتظم

هو الإمام يؤمنا 498 كذا الرُسلنا * نظيره لم يكن فيما بدا وخلا
ودينه نسخ الأديان والملا 499 * فما تطاول آمال المديح إلى
ما فيه من كرم الأخلاق والشيم

زالت بها شعوريات أى ومخبئة * عن كل دهر مضى فينا محدثة
وفى الحقيقة للعلوم مبحثة * آيات حق من الرحمان محدثة
قديمة صفة الموصوف بالقدم

بالصفح والعتو والخيرات تامرنا * عن بطل والإثم والفساد تزجرنا
بمدح أحمد خير الخلق تذكرنا * لم تقترن بزمان وهى تخبرنا
عن المعادو عن عاد وعن إرم

ونعم قارئها فاز بمعززة * لحفظ آية من نار مُحرزة
فى ذروة لسعادات بمعززة * دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين إذ جاءت ولم تدم

بيانها قد أزال كل مشتبه * تفسيرها قد كفى وعظا لمنتبه
يا فوز من شربه قرآن لاذبه * محكمات فما تبقيين من شبه
لذى شقاق وما تبغين من حكم

497 أي صوت المنبر لما بدل منبره صلى الله عليه وسلم

498 أي: سنته صلى الله عليه وسلم .

499 يعني الأديان السماوية السابقة ولعل يعني بالملة ملة إبراهيم عليه السلام .

ظهورها أفحمت بالعجم والعرب * ومن حكى آل بالعجز وبالكذب
إن السموات قد فاقت يدي طلب * ما حوربت قط إلا عاد من

حرب

أعدى الأعدى إليها ملقى السلم
سردٌ إلهي لم تنقض لناقضها * معارض صار باقلا بعارضها
بلاغة اللفظ شيء من غوامضها * ردت بلاغتها دعوى معارضها
رد الغيور يد الجاني عن الحرم

فيها عقيدتنا لكل معتقد * وفقهنا هكذي في كل معتمد
كل العلوم ففيها يا أخا الرشد * لها معاني كموج البحر في مدد
وفوق جوهره في الحسن والقيم

إن تسألوها لقد فاقت أطائبها * تحي القلوب بها تسقى سواكبها
تردادها جنة ز هرت كواعبها * فما تعد ولا تحصى عجائبها
ولا تسام على الإكثار بالسأم

هذا الكتاب كتاب الله نزلّه * يا فوز من قام يتلوه ورتله
كقراء يقرأ حتى يحصله * قرت بها عين قاريها فقلت له
لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

بشرى لناظرها كذاك من حفظا * ونحو ذا طالب المعنى ليئعظا
وكالفقيه لكي يبني لما لحظا * إن تتلها خيفة من حر نار لظى
أطفأت حر لظى من وردها الشيم

كأنها عدن خضنا نجوس به * ومن تلاها نجا لطيب مكسبه
كأنها زنجبيل يُستلذ به * كأنه الحوض تبيض الوجوه به
منالعصاة وقد جاءوه كالحمم

كأنها زمزم طبًا ومأكلة * ماء الفرات لنا رياً ومعسلة
بشربها وجدان الفوز هرولة * وكالصراط وكالميزان معدلة
فالقسط من غيرها في الناس لم يقم

وكم سعيد يقوم الدهر ينصرها * ويمدح آياها نظماً وينشرها
ولا نبالي بمن قد بات يدحرها * لاتعجبن لحسود راح ينكرها
تجاهلاً وهو عين الحاذق الفهم

قول النصيحة مقبول لذي رشد * وكم حجود أبي الصدوق بالفند
من بعد إيقانه للكبر والحسد * قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

وينكر الفم طعم الماء من سقم

الفصل السابع في إسرائه ومعراجہ صلى الله عليه وسلم

وفاز قوم رأوحاً صباحته * كمتغى الجود إن قد رام راحتته
كسائل الحق إن أخذ نصاحته * يا خير من يمم العافون ساحته
سعيًا وفوق متون الأنيق الرسم
فخذ بيدي وقني من لظى سقر 500 * ومن جميع العقوبات مع
الضرر
يا من مزياه فانت عدّ ذي نظر * ومن هو الآية الكبرى لمعتبر
ومن هو النعمة العظمى لمغتتم
وقد حباه تعالى أوفر القسم * لأجل ذي جاءه الأملك للخدم
حتى رفته مراقى الشرف والكرم * سریت من حرم ليلا إلى حرم
كما سرى البدر فى داج من الظلم
رحلت فوق البراق 501 جبت مرحلة * إلى تلافيك أنبيا مبجلة
وعدت فقت الورى دينا ومنزلة * وبت ترقى إلى أن نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
وآدم فاز باللقيا ورحبها * خليل رب العلى هسّ ورحبها
موسى الكليم النجى قام رعبها * وقدمتك جميع الأنبياء بها
والرسل تقديم مخدوم على خدم
مسيرك بين أملاك السماء علم * وليس بالملأ الأعلى سواك خدم
إرسالك وبه وهى الإله ختم * وأنت تخترق السبع الطباق بهم
فى موكب كنت فيه صاحب العلم
مسعاك صعب ولاخطولمنطلق * حلفت بالله رب الناس والفلق
قد فقت كل الورى فى القرب والخلق * حتى إذالم تدع شأواً لمستبق
من الدنو ولامرقى لمستتم
يا سيد الكل قلبى فى هواك حنذ * وطلب بابك مقصوده ما نبذ
الله يعلم قلبى نحوك قد هذذ * حفصت كل مقام بالإضافة إذ
نوديت با لرفع مثل مفرد العلم

500 أي: من نار لظى ونار سقر

501 يعني: براءة التي أسري عليا في ليلة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس .

أعطاك رب الورى قدرا على قدر * تطهير قلبى من رجز ومن قدر
مزية كتمت عن كل ذى بصر * كيما تفوز بوصل أى مستتر
عن العيون وسراى مكتتم
ركبت ظهر البراق قاطع الحبك * إلى محل التناجى من ورا الفلك
جمعت كل المنى أى من رضى الملك * فحزت كل فخار غير
مشترك
وجزت كل مقام غير مزدحم
وفزت بالأرب يسرا بلا تعب * ونلت بالسمع والرؤيا بلا نصب
رجعت مختار رب الناس خير نبي * وجل مقدار ما أوليت من رتب
وعز إدراك ما أوتيت من نعم
وعزنا ثابت الإسلام دين لنا * وبالسعادة والمعالي أهلنا
نبينا أحمد الله فضلنا * بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا
من العناية ركنا غير منهدم
ولا مناط لأحد غير طاعته * من وعد رب العلى نيل شفاعته
طوبى لعبد يكون فى جماعته * لما دعا الله دعينا لطا
عته
بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

الفصل الثامن في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم

للأنبياء كلهم أمر بنصرتهم * خبره ملأ الدنيا بغلبته
حسران كل شقي أي لشقوته * راعت قلوب العدا أنباء بعثته
كناية أجفلت غفلا من الغنم
جيوشه وقعت في البر والفلك * حتى يؤل العدا كالسمك في الشبك
ولاملاذ لهم بالجبل والبرك 502 * ما زال يلقاهم في كل
معترك

حتى حكوا بالقنا لحما على وضم
وكم صراخ لصراخ يغيث به * لخوف ليث وشبل في تغلبه

يقول ويلى فويلي عند مهر به * ودوا الفرار وكادوا يغبطون به
أشلاء شالت مع العقبان والرخم
لما أرثت أسود الدين جمرتها * وأفزعت أنفس الكفار شدتها
تدور أعينهم خوفا وحيرتها 503 * تمضى الليالي ولا يدرون
عدتها

مالم تكن من ليالي أشهر الحرم
لما بعاق الهدى تمكث باحتهم * وطهرت أنفس الأخيار عامتهم
فجاهدوا للإرتفاع الحق كافتهم * كأنما الدين ضيف حل
ساحتهم

بكل قرم إلى لحم العدا قرم
ل ما أتاهم تناحت ألف نائحة * وكل من بارز باء بفاضحة
أصوات عسكره زارت براجحة * يجر بحر خميس فوق
سابحة

ترمى بموج من الأبطال ملتطم
حزب الإله ولا يرضون بالنصب * ثناؤهم في كتاب الله والأدب
وهم عدول خيارهم أول الرتب * من كل منتدب لله محتسب
يسطو بمستأصل للكفر مصطلم

502 في قمم الجبال وبرك الماء .

503 يعني الدهشة والخوف الشديد .

وجاهدو الروم والترك لما بهم * هوازن قدرموا ندموا بشذبهم
وأسلموا رغبة فازوا بمشربهم * حتى غدت ملة الإسم وهى

بهم

من بعد غربتها موصولة الرحم
ومن شهيد يجول دأبا بالغضب * مناه فوز المثالى طالب الأرب
جنودهم رؤساء العجم والعرب * مكفولة أبدا منهم بخير أب

وخير بعل فلم تيتم ولم تتم

هم ليوث لقد أمضوا عزائمهم * وخاب من حارب أضحى

مخاصمهم

يفر بين الورى من ذاق صورمهم * هم الجبال فسل عنهم مصادمهم
ماذا رأى منهم فى كل مصطدم

وسل بني قينقاع 504 ما لقوا أسدا * يهود خيبر هل ما أصبحوا كمدأ

كفار مكة لما أنكروا حسدا * وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا

فصول حتف لهم أدهى من الوخم

أهل الإله بنصر الدين ما كمدت * ولوملا الأفق جيش الكفرما

شردت

نيرا نهم بسحاب الدين قد بردت * المصدرى البيض حمر ابعدا ما

وردت

من العدا كل مسوٍ من اللمم 505

أسود غاب وقد عزت عصائبهم * جماعة أخذ الترشيديجالبهم

خير الورى سيد الأنباء لآحيهم * إن قام فى جامع الهيجاء

خاطبهم

تصامت عنه الأذى صمت الصمم

رقاب أهل الردى بالصدق قد ملكت * دماؤهم هدر ابالحق قد سفكت

ستورهم بسيوف الدين قد هتكت * والكاتبين بسمر الخط ما تركت

أقلا مهم حرف جسم غير منعجم

صحابة المصطفى الله يعززهم * مرآهم كلما راموا يحوزهم

504 قبيلة يهودية سكنت بئرب .

505 زيادة بيت عن أصل مطبوع قاهرة .

لاحاجز عن قتال الكفريجزهم * شاكى السلاح لهم سيما تميزهم
 والورد يمتاز بالسيما عن السلم
 وبعثته المصطفى تبعد كفرتهم * حتى أطابت مدى الأ زمان ذكرهم
 وينبغى أن يديموا الدهر شكرهم * تهدي إليك رياح النصر نشرهم
 فتحسب الزهر فى الأكمام كل كمى
 لما دعى المصطفى العجم والعربا * صحابه أخذوا الرماح
 والقضبا
 وقطعوا قحف من عن دينهم غضبا * كأنهم فى ظهور الخيل نبت
 رُبا
 من شدة العزم لا من شدة الحُزم
 وقلب كسرى لمولده قد قلقا * جند الملائك يوم البدر قد قلقا
 لما بدا البرق خوف الرعد فانفرقا * طارت قلوبالعدامن بأسهم فرقا
 فما تفرق بين البهم والبهم
 وكل من يتقى مولاه عترته * بالخير والنهى والإحسان شهرته
 أباد أصنام506 أهل الكفرأسرته * ومن تكن برسول الله نصرته
 إن تلقه الأسد فى آجامها تجم
 كم آية وعدت بالعز والنصر * لأغلبن أنا تشهد بالظفر
 سيهزم الجمع لم تبق لذي نكر * ولن ترى من ولي غيرمنتصر
 به ولا من عدو غيرمنفصم
 ومن أتاه أتى الخلد بجملته * مطهر كل من أوى بغفلته
 فكن أوخي مريدا من محلته * أحل أمته فى حرز ملته
 كالليث حل مع الأشبال فى أجم
 كتابه مالىءٌ للسهل والجبل * وقاطع لرقاب كل ذي خبل
 ومعجم لخصوم مظهر الحجل * كم جدلت كلمات الله من جدل
 به وكم خصم القرآن من خصم
 إرهاس تفضيله كانت معززة * ولم يزل بعلم الذر مبرزة
 به الحقائق قد صارت مميزة * كفاك بالعلم فى الأمي معجزة
 فى الجاهلية والتأديب فى اليتم
الفصل التاسع فى التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم

مدحت خير الورى كيما أكون به * فى برزخى حشرى وبين
موكبه
ويغفر الله زلاتى 507 أعوذ به * خدمته بمديح أستقبل به
ذنوب عمرى مضى فى الشعر والخدم
وإذ علقت بما بانث شوائبه * زحرفت بطلاً ترافعت مصائبه
وضيقتُ ذرعا كما ضاقت مذاهبه * إذ قلدانى ما تخشى عواقبه
كأننى بهما هدى من النعم
ومذ نشأت فقلبى قط ما ندما * إلى كهولى حتى الشيب إبتسما
وينبغى لى إصلاح لما انخرما * أطعت غي الصبأ فى الحالتين وما
حصلت إلا على الآثام والندم
فإن نفسى تسعى فى خفارتها * تسلط بهوى أو من إمارتها
أوكل باطل حتى من دمارتها * فيا خسارة نفسى فى تجارتها
لم تشتتر الدين بالدنيا ولم تسم
من رام شيئاً ولم يرم لفاعله * أو قام يرفض أخرى من محاوله
وخيبة منه بانث فى تجاوله * ومن يبع أجلاً منه بعاجله
بين له الغبن فى بيع وفى سلم
وإن أبيت سوى ما كان من غرض * فإن مهجتى فى الحب
والمضض
ومن يكن هكذايبراً من المرض * إن آت ذنبا فما عهدى بمنتقض
من النبى ولا حبلى بمنصرم
سيقبل الله فى الأخرى بمعذرتى * لكون أحمد طالباً بمغفرتى 508
وقفت فى بابيه أبداً بسيئتى 509 * فإن لى ذمة منه بتسميتى
محمدأ وهو أوفى الخلق بالدم
إن لم تكن شافعاً فيّ ويا سندي * ويا حصونى ويا عزى ومعتدى
خسرت خبت ودام الحزن فى كبدى * إن لم يكن فى معادى آخذاً
بيدى
فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

507 أي: قصوري وذنوبي .

508 يعني: شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم .

509 أي: أعمالى السيئة وذنوبى الثقيلة

مديحك غافل يأتي جرائمه 510 * لكنه طفل من يرجوا مراحمه
بنظرك يغفر المولى مآثمه * حشاه أن يحرم الراجي مكارمه
أو يرجع الجار منه غير محترم
إن سد باب لعبد أنت فاتحه 511 * ما نال من نال إلا أنت مانحه
إن أخلف الغيث فالمختار سائحه * ومنذ ألزمت أفكارى مدائحه
وجدته لخلا صى خير ملتزم
ومنقذ القوم من نار قد التهبت * كما يمين له بالسحب قد سكت
ونفسى ظفرت أنواع ما رغبت * ولن يفوت الغنى منه يداً تربت
إن الحيا ينبت الأزهار فى الأكم
ياويح نفسى على الإحسان قد ضعفت * لولا وجودك فى الأزمان
قد تلقت

فلا ملام لدمع العاشق وكفت * ولم أرد زهرة الدنيا التى اقتطفت
يدا زهير بما أثنى على هرم

الفصل العاشر فى المناجات وعرض الحاجات 512

ويا نبى وياحبنى ومنقلبي * أنت الشفيع لي وأنت منقذ بي
بجاهك ربنا الرحمن يرحم بي * ولن يضيق رسول الله جاهك بي
إذ الكريم تجلى باسم منتقم
إن الجنان وما فيها وبهجتها * كذا الدنا ما لها نفعاً مضرتها
لولاك لم يخلق البارئ جملتها * فإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم
ورحمة الله قد وسعت لما جترمت * نفسى بأوزارها أبداً وما ندمت
لكنها بفنا المختار قد لزمت * يا نفس لا تقنطى من زلة عظمت
إن الكبائر فى الغفران كاللحم
إنى فعلت فعلاً كنت أكتمها * فإن خلقنا تالله يعلمها
براً غنياً رءوقاً عل يرحمها * لعل رحمة ربي حين يقسمها
تأتى على حسب العصيان فى القسم

510 أي: يرتكب الذنوب والمعاصي .

511 يا محمد بشفاعتك لي .

512 بيت الأول ساقط فى أصل البردة المطبوع القاهرة .

خدمت أحمد في طلبي وملتسي * فيض الإجابة تأتي غير
منحسبي

واغفر لعبدك إني ظالم ومسيء * يارب واجعل رجائي غير منعكس
لديك واجعل حسابي غير منخرم
يا رب إفعل له ماكنت أهلاً له * أنت الغنى عن الأمور تثقله
واجعل أعالي فراديس منازل له * والطف بعبدك في الدارين إن له
صبراً متى تدعه الأهوال ينهزم
فهب بحبك لي حسناً لخاتمة * بأن أوجد مولى عند صادمة
برحمة منك يا مولاي قائمة * وأذن لسحب صلاة منك دائمة
على النبي بمنهلٍ ومنسجم
صلى عليه تعالى وأعطه الأربا * وكل ما يبتغي وكل ما طلبا
وآله وعلى أصحابه النُّجُبا * مارئحت عذبات البان ريح صباً
واطرب العيسَ حادى العيس بالنغم

الفصل الرابع: الموازنة بين التخميسين

وفيه ثلاثة مباحث: -

المبحث الأول: المدخل إلى الموازنة فهو عبارة عن عرض وجيز لنشأة الظاهرة النقدية من الجاهلية إلى العصر الراهن يرجع النقد إلى معاني متعددة ومختلفة يراد به تميز الجيد من الرديء، كقولك نقدت الدراهم وانتقدتها، أخرجت منها المزيف وميزت جيدها من رديئها ومنه التناقد وانتقاد، ويأتي بمعنى العيب والإنفاض: نقدته الحية إذا لدغته، ونقدت الجوزة أنقدها إذا ضربتها ومنه أيضاً نقدت رأسه بأسبعي إذا ضربته.⁵¹³ النقد الأدبي يعني " الحكم" الصادر على الشعر والنثر على تقدير النص الأدبي تقديراً صحيحاً وبيان قيمته ودرجته الأدبية، الذي يعني تحليل الآثار الأدبية والحكم عليها، وبيان قيمتها العامة، والموازنة بينها وبين ما يشابهها من الآثار.⁵¹⁴

وأما المقارنة هي إقامة موازنة بين الأدبين أو أثنين أدبيين أو فكرتين أدبيين، ويعني وضع شيئين متجانسين على كتفي الميزان بغية معرفة الأرجح من بينهما وهذا ضرب من ضروب النقد يُتميز بها الرديء من الجيد واطهار وجوه القوة والضعف في أساليب البيان.⁵¹⁵

فظاهرة النقدية نشأت منذ الجاهلية مارة بأحداث ومراحل بعد التجارب الشعرية الأدبية تحظى بتقويم وتهذيب تكفل به النقد الأدبي، وإن كان شاعر لأول غير معروف على وجه التحديد فالناقد

⁵¹³ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، المكتبة الأزهرية للتراث ط 1، 2006م ص 11.

⁵¹⁴ زكي مبارك، الموازنة بين الشعراء، المكتبة العصرية، 1936م ص: 50 دون ذكر

الطبع .

⁵¹⁵ محمد منير أبوبكر، موازنة بين الوزير جنيد والقاضي عمر إبراهيم في فن الرثاء دراسة أدبية نقدية، بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية جامعة بايرو- كنو للحصول على شهادة ماجستير 2009م ص: 20.

الأول تبعاً له قد غاب عنا⁵¹⁶ وأن نشاط النقد في عصر الجاهلي يتمثل في أسواق العرب وفي المجالس الأدبية العامة وفي ارتحال الشعراء إلى ملوك الحيرة والغساسنة وفي هذه الأماكن كان العرب يجتمعون ويتناشدون الأشعار ويتناقدون، حيث أن ملكة النقد في الجاهلية يعتمد على الذوق الفطري لا الفكر التحليلي فهو نقد يقف عند الجزئيات فهو على صور مختلفة منها اللفظ أو الصياغة، ومنها المعني وقدرة الشاعر أو عدم قدرته على عداء الشعر، ومنها الغلو والمبالغة ومنها الحكم على الشاعر جملة بوصف الطابع العام له ومنها الموازنة، أي الحكم على بعض القصائد بأنها بالغة منزلة عليا في الجودة بالقياس إلى غيرها، ومنها بسط لغة القبيلة على لغة قبائل الأخرى.⁵¹⁷

فمثال النقد على اللفظ أو الصياغة ما يروى أن الطرفة بن العبد سمع المسيب بن علس يقول:

وقد اتناسى الهم عند اختضاره * بناج عليه الصعيريّة

مكدم

فقال له الطرفة: استنوق الجمل، أي أنت كنت في صفة جمل فلما قلت "الصعيريّة" عدت إلى ما توصف به النوق، لأن "الصعيرية" سمة حمراء تعلق في عنق الناقة خاصة. ومن ذلك تفضيلهم في الموازنة بعض الشعراء على البعض كتفضيل عمرو بن حارث الغساني: حسّان على علقمة بن عبده ونابغة في شعريهما، بشعره .

قول علقمة:

طحا بك قلب في الحسان طروب * بعيد الشباب عصر

حان مشب

وقول النابغة

كليني لهمّ يا أميمة ناصب * وليل أقاسه بطيء

الكواكب

⁵¹⁶ عبد العزيز عتيق، (الدركتور) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، ط 4، 1986، ص: 20 .

⁵¹⁷ عبد العزيز عتيق، (الدركتور) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، المرجع السابق، ص: 27.

بقول حسان:

أسألت رسم الدار أم لم تسأل * بين الجوابي فالبضيع

فحومل

وأما في عصر النبوة فلا يوجد فرقا كبيراً في تطور النقد وموازنة الشعر أو الشعراء في صدر الإسلام لأنه قريب العهد بالجاهلية ولكن مع ذلك استمر النقد يتطير نحو العلو هادفاً الوصول إلى مرونته ونضوجه وتكامل عناصره وإن كان هناك بعض التعديلات التي طرأت على الشعر ونهى الإسلام عنها كالفخر والهجاء وشرب الخمر والغزل الفاحش وأحل المناقضات بين المسلمين وبين المشركين فثلاثة من شعراء المسلمين يمثلون خط الدفاع لهم وهم: حسان بن ثابت، وعبداله بن رواحة، وكعب بن مالك، ووجه النقد أن المشركين يرون أن حسان أشعر من عبد الله بن رواحة وعند المسلمين أن حسان أشعر من غيره لأنه شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم.⁵¹⁸

فانقد في هذا العصر قد وجد فراغا ريثما يودع عصرا جاهلياً بقدم عصر اسلامي جديد وبمؤثرات عقلية الإسلام يحصل بعض التغييرات لعقلية الجاهلية ولكن مع ذلك وجد النقد منفذاً آمناً وممراً يوصل تواجدته وتطوراته عبر العصور مما دفع الأقرع بن حابس لأن يقول: " والله إن هذا الرجل - يعني الرسول صلى الله عليه وسلم لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعلى من أصواتنا ".⁵¹⁹

وبعد دخول عصر النبوة ظلّ النقد والموازنة يجمع شمله وينطلق انطلاقاً كبيراً وفي عهد بني أمية وذلك من سنة 41هـ - 132هـ قد نهض الشعر وتطور في العصر الأموي إلى حد كبير وأول معركة النقد في هذا العهد نقد الشعراء بعضهم بعضاً ومن بينهم عمر بن أبي ربيعة، في شعره:

⁵¹⁸ أول، (دكتور) مسح عام لتطوير النقد الأدبي، بتاريخ 10/3/2009 قسم اللغة

العربية، كلية الآداب، جامعة بايرو كنو نيجيريا.

⁵¹⁹ عبد العزيز عتيق، (الدكتور) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، المرجع السابق، ص: 49.

جرى ناصح بالود بيني وبينها * فقرّ بني يوم
الحصاب إلى قتلي

فقمم وقد أفهمم ذا اللبّ أما * أتين الذي يأتين من ذاك

من أجلي

فقد ابدى أربعة من معاصريه رأيهم في شعره وهم نصيب بن رباح،
بقوله: "العمر بن أبي ربيعة أوصفنا لرباب الحجال" وقال فرزدق
بعد ما سمع شيئاً عن عمر: " هذا الذي كانت الشعراء تطلبه
فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه "، وهذا ما قاله كل من جرير
وجميل.⁵²⁰

لقد توسع نطاق الشعر والنقد في هذا العهد خصوصاً في
الحجاز والعراق والشام إلى أن وصل الأمر عهد العباسية وذلك في
قرن الثاني والثالث هجريين حيث استمر النقد والشعر والموازنة
المسيرة نحو الإزدهار والدقة والنضوج وتشعب فنونه وفروعه
حيث انضم إلى هذا الفن اللغويون والنحاة، واللفظ والمعني،
ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، والنظم، والسرقات الشعرية،
والبلاغة، وغير ذلك من آراء المولدين في النقد العربي.⁵²¹

تسلق النقد والأدب معا من مشرق العربي إلى مغربه حيث
وجد أرضاً خصبة وبزغ فجر النهضة من جديد واستمر رواده
بملاحم النقد في هذه البلاد من وجهين: - القضايا الدينية، والقضايا
الأدبية، وقد بدأ هذا النوع من النقد في قضايا الدينية على يدي الشيخ
عثمان بن فودي خصوصاً في كتابه إحياء السنة وإخماد البدعة
حيث ينتقد العلماء بتركهم الجهلة يقعون في كثير من البدع
الشيطانية وفي كثير من أنواع العبادات والكتاب جله نقد لفعل
الجهلة وتساهل العلماء وتغافلهم خاصة في باب الإيمان⁵²². وتبعه
غيرهم من العلماء مثل أبوبكر محمود جومي في كتابه " العقيدة

⁵²⁰ أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، دار كتيب بيروت - لبنان، الطبعة الثانية تحقيق

سمير جابر ج/1، ص: 61.

⁵²¹ عبد العزيز عتيق، (الدركتور) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، المرجع السابق، ص:

335.

⁵²² عثمان بن فودي (الشيخ)، إحياء السنة وإخماد البدعة، دار الأصد، ط 3، ص: 36، دون

ذكر التاريخ .

الصحيحة بموافقة الشريعة أخذ فيه الصوفيين ودعاهم إلى السنة
الصحيحة فقامت ردود من القادرية والتجانية⁵²³ .
الصورة النقدية من ناحية الأدبي يتمثل في ممارسة علماء
النيجيريين النقد الأدبي حيث ظلّ العلماء والأدباء يقولون الشعر في
مختلف الأغراض من غزل ومدح وثناء والحماسة والهجاء وغير
ذلك مما جعلهم يكبون على كتب الأدباء العرب والنقد فتأثروا بذلك
تأثيراً بالغاً .

فقد عقد شيخو أحمد سعيد غلادنتي الموازنة بين عبد الله بن
فودي في لميته حيث يرثي بها محمد سمبو وعبد القادر مصطفى
برثائه له بنفس الألفاظ في لميته أيضاً

لمية عبد الله: -

فيا للمسلمين لبيك حالي * محمد سمبو ذو علم وخال
فقد حمدت شمائله قديماً * بعلم والتقى قبل ارتجال
لامية عبد القادر مصطفى

فيا للمسلمين لبيك حالي * محمد سمبو ذو علم وخال
فقد حمدت شمائله قديماً * بصدق وزهد في جاه ومال

نلاحظ أن الكاتب عقد موازنة بين الشاعرين من ناحية الألفاظ
والتراكيب حيث اتفق الشاعران في هذين الظاهرتين⁵²⁴
كما عقد سعيد موسى موازنة بين شعر الشيخ عبد الله بن
فودي وشعر الشيخ محمد البخاري في قضية التكلف والطبع⁵²⁵ كما
قدم محمد منير بحثاً في الموازنة بين الوزير جنيد والقاضي عمر
إبراهيم في فن الرثاء دراسة أدبية نقدية⁵²⁶ .

⁵²³ محمد منير أبوبكر، موازنة بين الوزير جنيد والقاضي عمر إبراهيم في فن الرثاء دراسة
أدبية نقدية، المرجع السابق ص: 24.

⁵²⁴ أبوبكر غلادنتي (شيخو)، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، دار المعارف،
1414هـ الموافق 1993م، ص: 112.

⁵²⁵ سعيد أبوبكر موسى، 2004م، الموازنة بين شعر الشيخ عبد الله بن فودي وشعر الشيخ
محمد البخاري أمير تمبول، دراسة أدبية نقدية، المرجع السابق

⁵²⁶ محمد منير أبوبكر، موازنة بين الوزير جنيد والقاضي عمر إبراهيم في فن الرثاء دراسة
أدبية نقدية، المرجع السابق.

وقد عقد الأول الموازنة في: قضية التكلف والطبع، والأصالة والافتباس والسرقة، والجمال الفني في الشعر، وقضية التكرار، والعناية بالقواعد النحوية، والثاني: قدم الموازنة عن ظاهرة بناء القصيدة، والفكرة المراثي، والجمال الفني .

المبحث الثاني: المضمون أ) المطلع

من المطالع التي شاعت في أيام الجاهلية، والعصر الإسلامي ابتداء القصيدة بذكر الأطلال، والبكاء على الأحبة، ووصف محاسن النساء، والثناء على الأصنام، والغزل، والنسيب 527 .
ثم تغير الأمر رويداً على أيدي الشعراء حيناً بعد حين، وكثيراً ما سلك علماء (القرن التاسع عشر الميلادي هذا المسلك) على أساس النزعة فانكبوا على دراسة هذا التراث الشعري العربي في الوزن، والقافية، والأسلوب، والمضمون، فقلدوا العرب في جميع هذه الأشياء، وأولعوا، وأعجبوا بحب تقديم قصائدهم على هذا الطراز 528، ووجد منهم من حاول التجديد، وقدموا قصائدهم بالشكر، والثناء على الله، والصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم، والدعاء على الصحابة، وذكر الأولياء قبل الخوض في الغرض الأساسي في القصيدة 529، كما فعل شاعرنا الشيخ يهوذا ابن سعد، وهذا يتمثل فيه روح الإسلام، ونزعة دينية قوية يحس بها لحمًا، ودمًا. فقال في مطلع تخميسه حامدًا للرب العلي، وموحدًا لصفاته، ومقدسًا لذاته، مع الصلاة على المختار في القدم فقال:
حمدًا لرب غنى باري النسم * له الوجود كذا البقاء كالقدم
له الكلام وبصر جل عن صمم * الحمد لله منشئ الخلق من عدم

⁵²⁷ غرب طن طوهو، زاريا، محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي، وشخصيته الأدبية،

المرجع السابق، ص: 201.

⁵²⁸ لمرجع السابق، نفسه ص: 201.

⁵²⁹ المصدر نفسه ص 201

ثم الصلاة على المختار في القدم
في حين لم يبدأ محمد بلو تخميسه بهذه النزعة الشعورية
الدينية، وإنما ركن إلى تقليد القدامى فمد صوته ينادي بساهر الليلة
الليلاء لا لشيء، إلا ليحاكي تلك النزعة التقليدية التي توارثها أهل
هذه البلاد منذ القرون التي مضت في صفحات التاريخ ومن ناحية
أخرى يبدي الشاعر أحواله من الشوق العميق في الذات المحمدية
التي أسهرته وجعل في قلبه وجدا وأماوتحيراً مبكي. كما هو الأمر
عند الصوفيين فقال:

- ياساهر الليلة الليلاء لم ينم * وأصبح القلب ذا وجد وذا

و ظل ذا قلق يبكي كذا لمم * أمن تذكر جيران بذي سلم
ألم

مزجت دمعا جرى من مقلت بدم

لعل محمد بلو أراد أن يحاكي البوصيري في قصيدته التي يخمسها
فالتمس هذا المطلع ليناسب شعره التخميسي شكلاً، ومضموناً، لكي
لا يتجرد عمله الخمس عن عمل صاحب القصيدة جملةً،
وتفصيلاً.

(ب) لب الموضوع

المتن:

مضمون التخميسين ليس فيه التعقيد أو غموض في اللفظ أو
في اللغة أو التعقيد المعنوي، ولا تضارب المعاني عن روح
الموضوع، أفكارهما، فيها تسلسل منطقي، تقود إليه دقة التنظيم،
وتناسق العبارة لا تكلف فيها فيذهب بروعة الألفاظ، وبهجة المعاني،
ويقتبس الأبيات أحياناً، ولا يدرك القارئ ذلك إلا إذا أمعن نظره
ودقق فيه فكره، من حسن الصياغة، وإبداع الجميل. وقد تأثر كل
من صاحب التخميس تأثراً بالغاً بالدين الإسلامي وكيف لا ! ومحمد
بلو هو أمير المؤمنين تولى الخلافة للدولة الإسلامية بعد أبيه عثمان
بن فودي. وأن الشيخ يهوذا من رجال الدعوة، وعلماء الدين سمعت
به الأمة، واعترفت به فلا غرو إن أظهرتا تأثيرهما الجليل بالجانب
الديني. وتحتوي قصيدة التخميس على الشوق الشديد، والحب
العذرى للمصطفى صلى الله عليه وسلم، ولم يتوان الشاعران في

إظهار هذا الجانب الغرامي، والود العميق خلال ترتيب العمودي
الفقري أبيات القصيدة. وقول محمد بلو:

5- هيهات هيهات لا يخفى على رجل * وليس يخفى هوى
إلا على جمل

كم شاهد فيه قد أبدوه في مثل * لولا الهوى لم ترق دمعا
على طلل

ولا أرقت لذكرى البان والعلم

6- هذى دموعك فوق الخد حين غدت * هذا قواك من الأسقام قد
خمدت

أعلام صدق بما أضمرت فيك بدت * فكيف تنكر حبا بعد ما
شهدت

به عليك عدول الدمع والسقم

بالتدبر لهذين البيتين يظهر الحب العميق، والود الحميم تجاه
المصطفى صلى الله عليه وسلم خلال الكلمات هيهات هيهات،
والهوى، والبكاء، والأسقام، كل هذه توحى شدة العزائم، والمشاكل
التي يعانيتها من أجل الحب له صلى الله عليه وسلم. ولننظر إلى
أبيات الشيخ يهوذا حول قضية الحب، والشوق القائل الذين يعاني
من أجلهما معاناة حقيقية للحب والمدح، ومن ذلك قوله:

الله يعلم من في قلبه ألم * للشوق في صدره وهو ينكظم
أموره ظاهر كمن به سقم * أيحسب الصب أن الحب منكم

ما بين منسجم منه ومضطرم

وغصت في البحر لكن كنت في غل * لضرب عشق لخددي كنت
في علل

لأجل ذاك أجول صرت كالمثل * لولا الهوى لم ترق دمعا
على طلل

ولا أرقت لذكر البان والعلم

هناك إحساس كبير من ألم يشعر به الشاعر، ويتوجع به في
قلبه كما يتألم من آلام الحب في صدره، وكأنه يعاني سقماً لشدة
الغرام، والعشق العميق كله من أجل المصطفى صلى الله عليه وسلم
هذا جانب من الحقائق التي يقتضيه متن هذين التخميسين الجليلين .

أمداحا غيره بمدائح كثرت * وواصفا غيره لجوائز نذرت
ومثنيا غيره بمآثر عفرت * دعنى ووصفى آيات له ظهرت

ظهور نار قرى ليلا على علم
مآثر المصطفى درر لها عظم * جواهر هى لم تعرف لها

قيم
نظمتها نجما تحي بها ظلم * فالدر يزداد حسنا وهو منتظم

وليس ينقص قدرا غير منتظم
فأين مدح الورى فيمن سماو علا * فلا يرى مثله فيما بقى

وخلا

على خلائقه القرآن قد نزلا * فما تطاول آمال المديح إلى
ما فيه من كرم الأخلاق والشيم

آيات هدى على التقوى مجتثة * مواعظ لصفاء القلب مورثة
آيات نور لغرث العلم مرغثة * آيات حق من الرحمن

محدثة

قديمة صفة الموصوف بالقدم

أى بوعد من الرحمن تبشرنا * فيها وعيد عن العصيان تزجرنا
فيها مواعظ فى الأحوال تبصرنا * لم تقترن بزمان وهى

تخبرنا

عن المعاد وعن عاد وعن إرم

أعظم بأى من القرآن موجزة * لكل تفضيل معنى الدين محرزة
لكل علم لباغ فيه مبرزة * دامت لدينا ففاقت كل معجزة

من النبيين إذ جاءت ولم تدم

أجراس الألفاظ تدق على المسامع بكل عذوبة، وألحان ممتعة،
لاثقل فيها، ولا تنافر إنما هى سيلان على اللسان بكل سهولة
كجريان الماء على المظامى حين البلع، ونعنى أن الشاعر بنى أكثر
صياغاته على القياس الصحيح، وتناسبت أفكار القصيدة فى
الجزاله، واللياقة عند بناء أطرافها، وليس هناك غموض فى
العبارات أو أجزاء الأفكار التى تركزت عليها القصيدة، وهذا
ماتراه، وتثق به إذ انظرت إلى تخميس الشيخ يهودا، والقصيدة تتمتع
بتلك المميزات الأدبية الجيدة فقال فى تخميسه:

أصابع منه بالماء قد انفجرت * حنين جذع للشوق منه إشتهرت
نطق للناقة بين الناس إنتشرت * دعنى ووصفى آيات له ظهرت
ظهر نار القرى ليلا على علم
للنالى الدين لم توجد لها قيم * وجوهر الفضل لم توجد له قسم
أسلوبه الخاص فد فاقت كذا نظم * فالدر يزداد حسنا وهو منتظم
فليس ينقص قدرا غير منتظم
هو الإمام يؤمنا كذا الرُسلًا * نظيره لم يكن فيما بدا وخلا
ودينه نسخ الأديان والمِلل * فما تطاول آمال المديح إلى
ما فيه من كرم الأخلاق والشيم
زالت بها شعوريات أي ومخبئة * عن كل دهر مضى فينا محدثة
وفى الحقيقة للعلوم مبحثة * آيات حق من الرحمان محدثة
قديمة صفة الموصوف بالقدم
بالصفح والعفو والخيرات تامرنا * عن بطل والإثم والفساد تزجرنا
بمدح أحمد خير الخلق تذكرنا * لم تقترن بزمان وهى تخبرنا
عن المعاد وعن عاد وعن إرم
فيما يبدو ليس في القصيدة إسراف لفظي أوتعقيد معنوي يخل
بالرونق الأدبي، ويذهب بهيبة المعاني، والأهداف الأساسية
للقصيدة، ويؤكد البيت الأخير حقيقة متن القصيدة لما أمر شاعرنا
يهودا بالصفح، والعفو، والخيرات، والزجر من البطل، والإثم،
والفساد، وليس في البيت ما يحتاج إلى قاموس، أو معجم لغوي،
والمعنى واضح على الإطلاق .

الفكرة:

الأفكار المدونة في هذين التخميسين ومعانيهما تغلب عليهما
سمات الصدق، والموضوعية، وتتجلى فيهما قيمة الصياغة، وغاية
الحكمة، ومنتهى الفصاحة، يبدو هذا جزء من تأثير مباشر لعلمائهم،
وترتفع جلاله القصيدتين بالحسن والجمال الفني مما زادهما رونق
أدبي، وقيمة شعرية، فقد كان هناك تصوير دقيق لكل مقطع،
وتنسيقاً متكاملًا لجميع أطراف القصيدة انطلاقاً من الشوق،
والغرام، وانتهاءً بالتوسل وعرض الحاجات، كلها رجاء الشفاعة
منه صلى الله عليه وسلم. فقد صوراً أحداث السيرة النبوية تصويراً

صادقاً بعيداً عن المبالغة، وسرداً مالم يصح عند أهل السير،
والمغازى، والتزماً بالأمانة العلمية اللهم إلا ما لا يتخلى عنه الإنسان
فى إنسانيته من خطأ، ونسيان .

الطبع والتصنع:

الطبع: هو أن يقول الشاعر شعراً تبعاً لطبعه، وأحاسيسه
الغريزية الشعورية، ولا يكلف نفسه شيئاً منها لا فى الميزان، ولا
القوافي، ولا فى المعاني التي تضمنتها القصيدة، والشعر، والتصنع
هو أن يكلف الشاعر نفسه قول الشعر عن طريق تعلم علم
العروض، والقوافي، مما يسلب الشعر جمال المعاني، الرونق
الأدبي، والصور الخيالية الطبيعية الرائعة، 530 فيصبح الشعر
عبارة عن كلمات منظمة وفق موازين الشعر المعروفة .

أن الشاعرين قد يكون لهما عدم الخوض فى التصنع
والتكلف، اللهم إلا ما لا يخلو من طبيعة الشعراء فى تدقيق، وتقوية
الألفاظ خلال نظم الشعر، ورفع درجة المعاني عند الحاجة .

1- ياساهر الليلة الليلاء لم ينم * وأصبح القلب ذا وجد وذا
ألم

وظل ذاقلق بيكى كذا لمم * أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلت بدم

2- أمن تنسم ريا ريح فاطمة * ساجلت ورقا على أفنان
دارمة

تشدو لذكر فر اخ غيرناغمة * أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق فى الظلماء من إضم

3- أراك تظهر سلوانا أخي فمتى * وأين الصحو وهذا الفم
ماصمتا

ان دعيت سليا لم يكن همتا * فمالعينك إن قلت اكفها همتا
ومالقلبك إن قلت استنقق يهم

4- أتذرف الدمع فوق الخد فهودم * والقلب من نار عشق الحب
مضطرم

وتدعى أن ما أضمرت مكتتم * أحسب الصب أن الحب
منكتم

مابين منسجم منه ومضطرم

5- هيهات هيهات لا يخفى على رجل * وليس يخفى هوى
إلا على جمل

كم شاهد فيه قدأبدوه في مثل * لولا الهوى لم ترق دمعا على
طلل

ولأرقت لذكر البان والعلم

وقوافى هذه الأبيات خالية من التكلف، والتصنع، ولا غموض
فيها أو ما يسمى بالتعقيد اللفظي، والمعنوي، وكذلك لا تحتاج كثيراً
إلى القاموس إلا بقدر الحاجة الطارئة التي قد يكلف الإنسان الرجوع
إليه، ولا يتكلف التدقق في المعني، ومدلولات السياق، ولا يكون
مقيداً به على وجه الوجوب، والإلتزام كون هذا بداية القصيدة،
ولننظر إلى وسطها كي تدرك فيما إذا كانت القصيدة على سياق
واحد فقال:

كم آية أصبحت لعلاه شاهدة * كم معجزات أتت للخلق واردة
أف لطائفة أضحت معاندة * جاءت لدعوته الأشجار ساجدة
تمشى إليه على ساق بلا قدم

لما دعاها أجابته وما انتشبت * بل أنها عجلا لدعائه انتدبت
وسلمت ثم عادت مثل ما انتصبت * كأنما سطرت سطرا لما كتبت
فروعها من بديع الخط باللحم

أضحت ظلال إليه ثم دائرة * في رفقه نزلت للفيئ هاجرة
واستأثروا بالظلال هوى مكابرة * مثل الغمامة أنى سار سائرة
تقيه حر وطيس للهجيرحم

سبحان من هوأعلاه وفضله * على جميع الورى طرا وبجله
ورحمة لجميع الخلق أرسله * أقسمت بالقمر المنشق أن له
من قلبه نسبة مبرورة القسم

عناية الله لاحظة لذى عظم * حقت له سابقا يا صاح في قدم
ولم يزل من عدو الله في عصم * وما حوى الغار من خير ومن
كرم

وكل طرف من الكفار عنه عم
وإذا أمعنا النظر في هذه الأبيات فلانجد فيها عوجٌ أو تعقيدٌ
للمعنى المقصود، فالكلام واضح حول معجزات النبي صلى الله
عليه وسلم، وبأبيات آخر التخسيس يدرك الموضوع بعين الحقيقة
لا الخيال فقال:

قصد الفقير خلاص من تكسبه * بعد الرضى منك مع فوز
بمطلبه

أنت الملاذ له في كل مأربه * يأكرم الخلق مالى من ألود به
سواك عند حلول الحادث العمم
إليك لذت أرح قلبى من الكرب * وداوني من سقام بي ومن وصب
بك استجرت أجرنى عن هوى عطب * ولن يضيق رسول الله
جاهك بي

إذا الكريم تجلى باسم منتقم
والنفس ما فتأت تخشى معرفتها * فاشفع لها وأزر عنها
مضرتها

ومنك ترجو فابلغها مسرتها* فإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم
أقول للنفس لما شفتها وجمتت * لاتجزعي لمعاد منك ما
انصرت

كم رحمة لذوي العصيان قد قسمت* يانفس لاتقنطي من زلة عظمت
إن الكبائر في الغفران كالمم
توبي إلى الله إن التوب يهدمها * واستغفري الله إن الله يعلمها
ورحمة الله أوسع وهي تهضمها* لعل رحمة ربي حين يقسمها
تأتي على حسب العصيان في القسم

ويتضح فيما يعرض عليه الشاعر فى بسط الحاجات من
رغباته لشفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم عليه، وإظهار
التوبة، وطلب المغفرة من الله تعالى وذلك كله في عبارات واضحة
سهلة ومن هنا يمكن القول بأن ليس في القصيدة تصنع بل هي
طبعية رصينة جيدة. وسنعرض تخميس الشيخ يهوذا كي نرى مدى

تجاوبها لمقتضى التصنع، والتكلف، وطبعيتها مما يقوله الشيخ يهوذا:

حمدًا لرب غني باري النسم * له الوجود كذا البقاء كالقدم
له الكلام وبصر جل عن صمم * الحمد لله منشى الخلق من عدم
ثم الصلاة على المختار في القدم
13. أمن تذكر عرفات أو الحرم * أو زمزم أو حطيم كنت ذا
ألم

أولعلو أحد أوترعة النعم * أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
14. وحر نفسي خليلي ما بصارمة * جيوش حب غزت ليست
بسالمت

وكيف تسلم بأشواق ملازمة * أم حبة الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من إضم
إن جاء ناصح أترضى بما قد أتى * أويستوى عندك ناطق ومن
سكتا
غريق بحر الهوى يأبى بما ثبتا * وما لعينك إن قلت اكففا
همتا

وما لعينك إن قلت استفق يهم

16. الله يعلم من فى قلبه ألم * للشوق فى صدره وهو
ينكظم

أموره ظاهر كمن به سقم * أبحسب الصب أن الحب منكم
ما بين منسجم منه ومضطرم
وغضت في البحر لكن كنت في غلل * لضرب عشق لخلدى كنت
فى علل

لأجل ذاك أجول صرت كالمثل * لولا الهوى لم ترق دمعا
على طلل

ولا أرقى لذكر البان والعلم

بمجرد دراسة هذه الأدوار يُلمس ملامح الطبع، وأنه بعيد كل
البعد عن التكلف والتصنع، وليس فى القصيدة غموض أو تعقيد

للمعنى أو اللفظ أوهما معاً، ولا تشم رائحة قليلة أو كثيرة تجاه هذا المنطلق. ولو تتبع القارئ جميع القوافي للأبيات السابقة يجد كل واحدة تؤدي وظيفتها الأساسية المستهدفة تلقائياً. ولننظر إلى أبيات أخرى لنلمس لمسات جديدة تؤديها العملية الخمسة البردية فقال:

وكم بمعجزة جاءته ماهدة * كنطق ذيب لراع الغنم راشدة
كفأك وحي الإله صاح شاهدة * جاءت لدعوته الأشجار ساجدة

تمشي إليه على ساق بلا قدم

لريبة لقريش جاء إقتربت * وجاء أمرحقيق كفر ما ذهبت
معاند يجحد لكل ما ثبتت * كأنما سطرت سطر لما كتبت

فروعها من بديع الخط بالقم

من العجائب أن الظل دائرة * فأينما جال جالت فهي وافرة
تقيه ما يتقى للحر فاترة * مثل الغمامة أنى سار سائرة

تقيه حروطيس للهجير حم

نقاه ربُّ العلى طفلاً وكملة * وبعد تنقيه للقلب أرسله
وأظهر الدين دين الكفر بدله * أقسمت بالقمر المنشق أن له

من قلبه نسبة مبرورة القسم

كشفاً لما ستر المولى على العدم * على رفيقين حفظ الله لم يرم
راقة سارع وسار بالندم * وما حوى الغار من خير ومن كرم

وكل طرفٍ من الكفار عنه عم

لأنحس هنا إلا سلامة الألفاظ، وجمال المعاني، وعدم التكلف، والتصنع ذلك لطبيعة الصياغة، ودقة الترتيب، وإن كانت أقل من تخميس محمد بلو ونلمس ذلك بوضوح خلال دراستنا لهما وعلى أي حال لا يوجد خلل يذهب بمروءة التخميس، وجلال قدرها وقامت على الصدق، وغاية الجودة، والرصانة. استمع إلي الطائفة الثالثة من أبياته الأخيرة لتؤكد سلامتها من التصنع، والتكلف لملامسة الطبيعة الخالصة في التخميس. فقال:

ويا نبي وياحبي ومنقلبي * أنت الشفيق لي وأنت منقذ بي
بجاهك ربنا الرحمن يرحم بي * ولن يضيق رسول الله جاهك بي

إذالكريم تجلى باسم منتقم

إن الجنان وما فيها وبهجتها * كذا الدنا ما لها نفعاً مضرتها

لولاك لم يخلق البارئُ جملتها * فإن من جودك الدنيا وضررتها
ومن علومك علم اللوح والقلم
ورحمة الله قدوسعت لما جترمت * نفسي بأوزارها أبداً وما ندمت
لكنها بفنا المختار قد لزمتم * يانفس لانتقنطى من زلة عظمت
إن الكبائر في الغفران كاللحم
إني فعلت فعلاً كنت أكتمها * فإن خالقنا تالله يعلمها
براً غني رءوف علّ يرحمها * لعل رحمة ربي حين يقسمها
تأتي على حسب العصيان في القسم
خدمت أحمد في طلبي وملتمسي * فيض الإجابة تأتي غير
منحسبي
واغفر لعبدك إني ظالم ومسيئ * يارب واجعل رجائي غيرَ
منعكس

لديك واجعل حسابي غير منخرم
إذا مررت بهذه الأبيات تدرك حقيقة القول حول بعد الشاعر
عن عملية التصنع، ولزومه حلاوة الطبع، وتجريد القصيدة من
تعقيد المعاني، والألفاظ، وسلامتها من كل عيب يسد رونقها
الأدبي، والفني المتميز بها. وعمل المقارنة بين الفارسيين يصعب
جداً بذكر الحجج القاطعة بين التخميسين، ولكن دقة التعبير،
والتصاق التخميس بأبيات صاحب البردة التصاقاً كاملاً، ودقة
اختيار الألفاظ يعطي فرصة لتخميس محمد بلو ليكون الفارس الأول
في هذا الميدان بالتحديد .

الصدق الفني والتجربة الشعرية:

الصدق ضد الكذب، وهو عبارة: عن الاحساس، والشعور
الصادق الأصيل الطبع، والتفكير المتميز في العمل الأدبي، وذلك
يهدف إلى ممارسة الشاعر في عملية الشعر بحيث يتركز لديه من
إيجاد قدرة خيالية، وأفكار متسلسلة ومتناسقة الأطراف. والشاعران
محمد بلو ويهوذا بن سعد يتمتعان بانفعالات صادقة حيث يوحى
شعرهما عن شخصيتهما، وصورتها المتميزة خلال سردهما
لأبيات التخميس التي أنشدها وقد حافظ الشاعران على شخصيتهما
الأدبية، وصدقهما الفني، وهما خاصيتان في مجال المدح النبوي،

وتحتاج إلى تدريب الخيال، والعاطفة على المنهج الصحيح،
وصورة صادقة حية تعطي نموذجاً ملموساً في واقع الأدب المدحي
للمصطفى صلى الله عليه وسلم صدقاً فنياً .

إذا خالف كلامه الواقع في بعض الأشياء ولم يقلها كما هي، لم
يكن لديه الصدق الأدبي الفني، ولا بد له أن يطابق كلامه واقع الحال
مطابقة تامة. 531 وقد شاع لدى كثير من نقادنا القدامى، وما زال
حتى اليوم من أن الأدب والشعر خاصة، يجوز فيه الكذب، فللشاعر
أن يدعي عاطفة لم يشعر بها، وأن يعلن عقائد لم يؤمن بها، وأن
يصف أشياء لم يشاهدها، وأن يعرض لتجارب لم تمر به هذا في
نظرهم جائز، ولا يؤاخذ عليه، بل يكفي أن يعرف عنه، أنه شاعر
حتى يباح له أن ينطق كما شاء في أودية الكذب: 532 قال الأستاذ
علي نائب سويد 533 فإذا عفونا عن الكذب في أي شيء آخر، وإننا
لن نعفوا عنه في الأدب لأن الكذب في معاملتنا اليومية جزئياً وأما
عن تجاربنا وحياتنا فيشوه فهمنا لكياننا الإنساني كله ونزيفها كلها
ونعطي صورة خاطئة للأجيال القادمة في هذا الكون. 534

الأصالة والتقليد:

فالمراد بالأصالة هو: "إتيان الشاعر بالشعر من عندياته
معتمداً على ذكائه ومقدرته الفنية الخاصة به من حيث الألفاظ،
والمعاني، والصياغات الفنية الشعرية" 535. وأما التقليد فهو العكس،
وتهدف الأصالة هذه إلى إبقاء الصورة الأدبية لبقاء صورة ذاتية
حية لدى الشاعر من خلال شعره، ولا ينبغي أن تتضاءل شخصية
الشاعر من خلال عمله الأدبي، ولم يزل الشاعران - محمد بلو
ويهوذا بن سعد يتمتعان بهذه الأصالة، والطبعية في عملهما
المخمس، ويظهر إحساسهما وانفعالاتهما، وشخصيتهما واضحة

⁵³¹ غرب طن طوهو، زاريا، محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي، وشخصيته الأدبية،
المرجع السابق، ص: 240.

⁵³² علي نائب سويد، (أستاذ في قسم اللغة العربية جامعة بايرو كنو)، كيف نتذوق الأدب
العربي ط دار الأمة كنو نيجيريا ص 26- 27 دون ذكر التاريخ.

⁵³³ المرجع السابق نفسه

⁵³⁴ المرجع السابق، ص: 27 .

⁵³⁵ سعيد أبوبكر موسى: الموازنة بين شعر الشيخ عبد الله بن فودي وشعر الشيخ محمد
البخاري أمير تمبول، دراسة أدبية نقدية، المرجع السابق، ص: 141.

وبارزة الأثر توحى بأخلاقهما في عملهما الأدبي المدحي المتأصل
تأصيلاً قوياً .

الزيادة، والنقصان:

فأما المقصود بالزيادة في هذا الصدد فهو زيادة بعض الأبيات لم تكن لها وجود أصلاً في البردة البوصيري سواء حصلت الزيادة بسبب نعرفها أو غيرها والهدف تجريد الزيادة وبيان عدد الأبيات، ومواقع تواجدتها كي يسهل للقارئ إدراك الموقع عند الحاجة فالزيادات التي وقعت في تخميس محمد بلو هي:

زيادة دور واحد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم بين البيت الرابع والعشرين والخامس والعشرين فقال:

1- كانت كواكبها جندا له مددا * لكل سار هدى في قصده
رشدا

منها استمدت لما أسدت به سددا * حتى إذا طلعت في الأفق
عم هذا

للعالمين وأحيت سائر الأمم

لوتتبعت بردة البوصيري لاتجد هذا البيت في الطبعة القاهرية ولم أقف على سبب الزيادة لامن المؤلف أو من كتب أخرى .
وزاد تسعة أبيات في "معجزاته صلى الله عليه وسلم وهي:

2- في الحال حين دعا الرحمن أنزله * حتى غدا محصبا ما
كان أمحله

وبالرخاء يومن شافى المحال أبدله * لما شكوا وقعه البطحاء قال
له

على الربا والهضاب انهل وانسجم

3- وافت بروق الندى وزوت خيانتها * فأعربت كل فيحاء
رطانتها

وأنبتت كل جذباء خزانتها * فأدت الأرض من رزق أمانتها
بإذن خالقها للناس والنعمة

4- أوسعت كلا للناس حين روت * وأعشبت كل قيعان لها
فجوت

وكل بؤس وجدب حل قبل زوت * وألبست حلا من سندس
ولوت

وأوسعت عما برؤوس الهضب والأكم
والعشب مزهرة تبدى فوائدها * والكمثرى أينعت تعطيك عائدها
والتين قد أثمرت تبلى عوائدها * والنحل باسقة
تجلو قلائدها

مثل البهار على الأبصار والعلم
6- وابتلت الأرض ما طابت وما خشبت * كلتا هما غرست
نخلا وقد حرقت
فأنبتت كل مزروع وما لبثت * وفارق الناس داء القحط
وانبعثت

إلى مكارم نفس النكس والبرم
7- يارئما حصر آيات له وسرد * قد رمت حصر كثير فات
كل عدد

وءاية منه فاقت فهم كل أحد * إذا تتبعت آيات النبي فقد
ألحقت منفخما منها بمنفخم
8- كساه مولاه نورا من لوائحه * مواهب ومزايا من
مدائحه

بفضله نلت نشرا من روائحه * قل للمحاول شاو في مدائحه
من المواهب لم أشدد لها زيم
9- مدائح فيه قد ألفيت منشدها * حمدا لمن ألهم النيات
مقصدها

ووفق الكلمات له وأرشددها * ولا تقل لى لماذا نلت جيدها
فما يقال بفضل الله ذايكم
10- يختص من شا بما قد شاءه فضلا * وسر أقداره قد حير
العقلا

عناية منه حصتنى بها نقلا * لولا العناية كان الأمر فيه
على

حدالسواء فذونطق كذابكم

جميع الأبيات تتكلم عن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
فيما يمس القحط، والدعوة، ونزول الغيث بدعائه المستجاب دعى
بها في مسجده بالمدينة المنورة، ثم هناك سبعة أبيات ساقطة في

"عرض الحاجات" وهي موجودة في قصيدة البوصيري ولم يتطرقها أمير المؤمنين بالتخميس، ولعل كونها في النهاية وفيها الدعاء وقد قدم دعائه في بعض الأبيات في نفس الموضوع .
تخمس الشيخ يهوذا بن سعد

بدأ الشيخ يهوذا قصيدته بالزيادة فأتى ببيت لم يكن موجوداً في البردة أصلاً وهو عبارة عن الحمدلة، والصلصلة، وذكر صفات الله تعالى الواجبة، ثم الصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال:
حمداً لرب غنى بارئ النسم * له الوجود كذا البقاء كما لقدم
له الكلام وبصر جل عن صمم * الحمد لله منشى الخلق من عدم
ثم الصلاة على المختار في القدم
وزاد بيتاً آخر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم بعد البيت الثلاثين فقال:

بأغته يرعد لعظم هييته * جليسه لايمل نظر جبهته
تموج النور تغشى عندنظرته * تعيا العقول كلا لا عند
رؤيته

كأنما نظرت للشمس من أمم
وزاد بيتاً آخر حينما تحدث عن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بعد البيت الثاني عشر فقال:
أسود غاب وقد عزت عصائبهم * جماعة أخذ الترشيديجالبهم
خير الورى سيد الأنباء لآحيهم * إن قام فى جامع الهيجاء
خاطبهم

تصامت عنه الأذى صمت الصمم
وأسقط الشيخ يهوذا بيتاً واحداً من البردة ولم يخمسها وهو البيت الأول الذي كان في المناجاة وعرض الحاجات وبعده أسقط سبعة أبيات أيضاً في نفس الموضوع كما فعل محمدبؤ في تخميسه ولا أدري لماذا إتفقافي إسقاط هذه الأبيات السبعة التي تقع في آخر أبيات القصيدة. ولعل ذلك راجع إلى نوعية النسخة التي يمتلكونها لقصيدة البردة البوصيرية التي لم نحصل عليها والله أعلم .

(ت) المقطع

فالمقطع النهائي للتخمينين سليم يمتازا بخاتمة سعيدة طيبة
فيها الثناء على الله والصلاة على النبي المصطفى صلى الله عليه
وسلم، وآل بيته الكرام، ثم الدعاء لأصحابه رضوان الله عليهم
أجمعين، وهم من خيرة خلقه، وصفوة عباده البررة الكرام أهل
الخير في الدنيا، والآخرة ومما يقول:

إني وإن كنت عبدا لايزال يسى * في الدهر كان بأثواب
الذنوب كسى

وحاله أن تشفه حال منتكس * يا رب واجعل رجائي غير
منعكس

لديك واجعل حسابي غير منخرم
أجب لعبدك واغفر رب لأزملة * وأعطه ذا العلى ما كان
أمله

ونجّه من عذاب قد تهولاه * والطف لعبدك في الدارين إن له
صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم
واختم له في الدنا بحسن خاتمة * واحشره في الحشر في
الأهل سالمة

ونعمة منك لاتنفك لازمة * وأذن لسحب صلاة منك دائمة
على النبي بمنهل ومنسجم
موصولة بصلاة منك منسكبا * وآله خير آل في الورى نجيا
وصحبه خير من في الله قد صحبا * مارنحت عذبات البان ريح
صبا

واطرب العيس حادى العيس بالنغم
لجأ الشاعر محمد بلو إلى طلب المغفرة، واعترف بإستعداده
لهجران الذنوب، وترك المعاصي، ويعلم علم اليقين بأن المآسى
صارت ثوباً له، وكساءً لبدنه، وقد وارت جميع خيراته، ولاترى إلا
آثارها ملتحفاً بها، ويرجو الشفاعة منها، ومحوها من الوجود كلياً.
وأما الشيخ يهوذا بن سعد فيقول:

خدمت أحمد في طلبي وملتمسي * فيض الإجابة تأتي غير
منحبسي

واغفر لعبدك إني ظالم ومسيئ * يارب واجعل رجائي غير
منعكس

لديك واجعل حسابي غير منخرم
يا رب إفعل له ماكنت أهلاً له * أنت الغني عن الأمور تثقله
واجعل أعالي فراديس منازل له * والطف بعبدك في الدارين إن له
صبراً متى تدعه الأهوال ينهزم
فهب بحبك لي حسناً لخاتمة * بأن أوحده مولى عند صادمه
برحمة منك يا مولاي قائمة * وأذن لسحب صلاة منك دائمة
على النبي بمنهل ومنسجم

صلى عليه تعالى وأعطه الأربا * وكل ما يبتغي وكل ما طلبا
وآله وعلى أصحابه النُّجُبا * مارئحت عذبات البان ريح صبا
واطرب العيس حادي العيس بالنغم
توسل يهوذا بما قدّم لأحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم من
الحب، والشوق، والمدح، ثم ركن إلى التوبة، وطلب المغفرة من
ظلمه، وإساءته، وانطلق ينادي الله بكلمة الرب مرتين يطلب جنة
الفرودوس، والعفو، والرحمة في الدارين، ثم دعا لحسن الخاتمة، وأن
ينطق بكلمة الشهادة عند الخاتمة، ثم الصلاة على النبي الهاشمي
صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام .
الجمال الفني .

الجمال الفني، تلك الصفات التي تتميز بها القصيدة، ويزين كل
عمل أدبي سواء كان شعراً أونثراً، ويعطي إعجاباً كبيراً وشعوراً
خاصاً في المسامع. ذلك بحسن التشبيه، والاستعارة، والتصوير،
والكناية، وتطبيق القواعد النحوية، وبحسن سرد القصص بحيث
يعطي جمالاً فنياً ملائماً. والشاعر يطلب منه قوة الإحساس والتطلع
إلى الأشياء الدقيقة والجليلة بحيث يشبهها ويصفها وبالتالي يخرجها
للسامعين والدارسين بتلك السمات الفنية الجميلة المتكاملة. 536
ومن هذ المنطلق يجدر أن نتتبع التخميسين وندرس آثار الجمال
الفني الذي يكمن فيهما هذا العمل الفني الجميل، ونستطيع أن نجزم

536 سعيد أبوبكر موسى: ، دراسة الموازنة بين شعر الشيخ عبد الله بن فودي وشعر
الشيخ محمد البخاري أمير تمبول أدبية نقدية، المرجع السابق، ص: 159.

بأفضلية وتميز القصيدة عن الأخرى وندرك القيمة الأدبية بحوذة كل قصيدة وجوانب الضعف ومناط القوة للقصيدة .
في هذا المظهر نحاول قدر الإمكان أن نظهر الصورة البلاغية الواضحة مما يمس الأقسام البلاغية الشهيرة من بيان، ومعاني، وبديع، والمطلوب في ذلك ذكر الأمثلة حتى تتجلى المظاهر الفنية التي يتمتع بها الشاعران .

التشبيه: 537

فالتشبيه لغة التمثيل، وتقول شَبَّهت هذا بذاك، أي مثلته به، ويعرف البلاغيون بـ "الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معني مشترك بينهما، بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدره المفهومة من سياق الكلام" 538 وكان للتشبيه قواعد تقف على المشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه 539 وعلى هذا المنوال أتيت ببعض الأمثلة من التشبيهات التي قام بها الشاعران في تخميسيهما فتارة نجد الأركان كلها، وحيناً يضمران بعضها ويبقى المشبه والمشبه به .

الغاية المستهدفة في هذا الفن التشبيهي، إظهار مواطن الجمال، ورونق التشبيه الذي أبداهما الشاعران، وإظهار عبقريتهما الأدبية والفنية خلال هذا العمل الخمس. فالتشبيه أحد مظاهر الذي يعطي أثراً وتعبيراً عن جمال المعاني والوجدان الحقيقي للدارس. فنستمع إلي تخميس محمد بلو لنفوز بضالتنا وملامح الفنية فقال:

27- فإنه الفرد حقا في رسالته * كأنه البدر باد وسط هالته
كأنه الليث يخشى من بسالته * كأنه وهو فرد من

جلالته

في عسكر حين تلقاه وفي حشم

28- كأنما البدر جاء وهو في سدف * أو السراج تراءى وهو في

غرف

إذا تكلم مبتسما لمؤتلف * كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف

من معدنى منطق منه ومبتسم

وعند ما تلقي النظر إلى البيت الأول ترى ملامح بلاغية

تصور تشبيها، والهدف من ذلك إشتياق الشاعر لذكر محاسن

537 التشبيه: التمثيل، يقال هذا شبه هذا ومثله، وشبهت الشيء بالشيء أقمته مقامه لما بينهما من الصفة المشتركة ويكون التشبيه بإلحاق أمر المشبه بأمر المشبه به في المعني المشترك وجه الشبه بأدات الكاف وكان وما في معناهما لغرض فائدة. أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة،

البيان والمعاني والبديع، دون ذكر التاريخ والطبع ص: 213

538 امين، بكرى شيخ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، مط: دار العلم للملايين بيروت لبنان ط

2، 1984م ص: 15/2.

539 المرجع نفسه، ص: 18/2 .

المصطفى صلى الله عليه وسلم، وجمال نوره، وخير رسالته، وشبهه بالفردية في امتياز أمره، وختام نبوته، وشبهه بالبدر في نور طلعتة، وبهجة جبينه، وشروق ذاته الطاهر، وشبهه مرة بالليث في القوة العزيمة التضحية، وشبهه أيضا بالسراج في انتشار نوره، وظهور ضيائه. لاشك نحس في هذه العبارات الجمال الفني، والتصوير الخيالي، ودقة التعبير. دعنا نأخذ مثالا آخر من أنواع التشبيه لنشهد مظهراً جديداً، ونتطلع إلى ميزة أخرى من مميزات هذا الفن البلاغي الرائع .

20 - حتى غدا جمعهم في كل ما جهة * خوف الثواقب من شهب موجهة

كأنهم مثل البال مولهة * كأنهم هربا أبطال أبرهة
أو عسكر بالحصى من راحتيه رمى

فالخط يوضح لنا الموقع الجغرافي للفن وأن نوع التشبيه مرسل مفصل حاول الشاعر أن يصف حال الكفار الذين هزمهم جيوش المسلمين حتى صاروا مغلوباً عليهم من بين القتلى والجرحى ساقطين على الأرض كالأشياء التافحة التي يبالي بها فبهذا أصبح التشبيح تمثيلاً، وأمثال هذا كثير في تخميس محمد بلو إنما جننا بهذا فقط على سبيل المثال. وأما التشبيه في تخميس الشيخ يهوذا فهو:

ووجهه كطلوع القمر ذي النصف * وثغره كسنا البرق ذي الخطف
موسع الصدر مرفوع إلى الكتف * كأنما اللؤلؤ المكنون من صدف
من معدنى منطوق منه ومبتسم

في الدور يوجد تشبيه حيث جاء الشاعر بالتشبيه المرسل في قوله (كطلوع القمر ذي النصف) واختار الشاعر القمر ليصور جبين المصطفى ووجهه الشريف وذلك لما للقمر من نور بهيج أبيض اللطيف النظر وخاصة في الرابع عشر منه ووصف ثناياه صلى الله عليه وسلم بالبرق لما يفلت من فمه الطاهر من نور وضياء الذي يخطف البصر لمعاناً. وللشيخ يهوذا تشبيهات كثيرة في أماكن أخرى من شعره منها: على سبيل المثال قوله:

كأنها عدن خضنا نجوس به * ومن تلاها نجا لطيب مكسبه

كأنها زنجبيل يُستلذ به * كأنه الحوض تبيض الوجوه به
من العصاة وقد جاءوه كالحمم

كأنها زمزم طباً ومأكلة * ماء الفرات لنا رياً ومعسلة
بشربها وجدان الفوز هرولة * وكالصراط وكالميزان معدلة
فالقسط من غيرها في الناس لم يقم

التشبيهات السابقة تعطي الشعر جمالاً ورونقاً أدبياً خاصاً
بالموضوع والتشبيهات كلها مرسلة إلا تشبيهاً واحداً وهو البليغ،
وهو قوله (ماء الفرات) وحذف أدوات التشبيه ليكون التشبيه بليغاً
وهذه التشبيهات للتعبير عن رغبة الشاعر المسيسة في تشبيه آيات
القرآن التي هي معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فشبهها بالزنجبيل
حلاوةً، وتلذذاً وكما شبهها أى الآيات بالزمزم، وماء الفرات،
والميزان في حلاوة الشرب، وعدالة الحكم، وصدق القول في
القصص، وحضارة الأمم. وكما تتضح هذه العبقرية البلاغية
للشاعر في البيت الآتي فقال:

ووجهه كطلوع القمر ذى النصف * وثقره كسنا للبرق ذى الخطف
موسّع الصدر مرفوع إلى الكتف * كأنما اللؤلؤ المكنون من صدف
من معدنى منطق منه ومبتسم

هم ليوث لقد أمضوا عزائمهم * وخاب من حارب أضحى
مخاصمهم

يفر بين الورى من ذاق صورمهم * هم الجبال فسل عنهم مصادمهم
ماذا رأى منهم في كل مصطدم

يمكن مشاهدة صنف آخر للتشبيه الذي أظهره الشاعر، في
البيت الأول تشبيه مرسل وفي الثاني تشبيه بليغ حيث حذف منه
أداة التشبيه ووجه الشبه وأن الشاعر يمدح الصحابة في شجاعتهم
في ميادين الوغى، وساحة المعركة، فشبههم بالليوث، قوة ومنعة
بين يدي أعدائهم، وصمودهم الجبار في القتال وقهر العدو، وكسر
شوكته.

وكوننا في ميدان المقارنة فقد أظهر كل من الشاعرين قدرته
وعبقريته المتميزة في هذا الفن التشبيهي والانزال في هذا المحور

البلاغي حتى قطع المسافة وتنتهي الرحلة ثم نحكم بالجزم بالتفوق
والأسبقية لطرف إذا آن الوقت لذلك .
الاستعارة:

من الصور البلاغية التي يجدر ذكرها الاستعارة التي قام
الشاعران بإظهار ملامحها في عملهما الأدبي، فالاستعارة: تشبيه
حذف أحد طرفيه، فعلاقتها المشابهة دائماً، فهي إما تصريحية
صرح فيها بلفظ المشبه به، وإما مكنية حذف فيها المشبه به ورمز
له بشيء من لوازمه 540 وسنذكر مثلاً لكل من الشعارين لنرى
مواقع الجمال فيه نبدأ بتخميس محمد بلو، ثم بعده تخميس الشيخ
يهودا بن سعد:
قال محمد بلو:

بل قد غدا فيك ما أضمرته علنا * فصار حسالنا من
بعد ما كمننا

قدأ ظهر الشوق فيك الدهر داشجنا * وأثبت الوجد خطى عبرة
وضنى

مثل البهار على خديك والنعيم
دع عنك نصحي إني لست أتبعه * والقلب قد هام بل قد هم

مسمعه
هيهات يردعه لوم وينفعه * مخضنتى النصح لكن لست
أسمعه

إن المحب عن العذال فى صمم
فالجوع بين قوى أركان قسوتها * والذكر يطفو من نيران
صبوتها

والنفل بالليل يشفى داء نشوتها * فلأترم بالمعا صى كسر
شهوتها

إن الطعام يقوى شهوة النهم
وإسناد إظهار الشوق للدهر استعارة تصريحية ومن نوع
المجاز العقلي لإسناد الفعل إلى ظرف الزمان وإرادة الذين يعيشون

540 الجارم، علي وغيره، البلاغة الواضحة للمدارس الثانوية، البيان، والمعاني، والبدیع،
مط: دار المعارف بمصر، بدون التاريخ ص: 76

في الدهر وأما في هيام القلب فيه إسناد المسمع إليه فإنه من المجاز المرسل لإطلاق الجزء وإرادة الكل. لأن القلب جزء من الإنسان وفي يطفو استعارة مكنية وكذلك استشفاء النفل. فقوله من العبارات الواردة الهادفة إلى الاستعارة التصريحية في شعر محمد بلو حيث تجد يصرح بلفظ المشبه به في الأمثلة المتقدمة فذكر: الدهر، ومسمعه، ويطفو، ويشفي، فجميع هذه الألفاظ استعيرت للحب المشبه وهو النبي صلى الله عليه وسلم لعلاقة المشبه بينهما. فلننظر إلى الأبيات القادمة في تخميس الشيخ يهوذا لنلمس مشعراً آخر لاستعارة فقال:

والعين لشوقها في ليلها شهدت * دموعها تنهمى أبدا بما قد بدت
وشفها الشوق لا عقل بما عمدت * فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت
به عليك عدول الدمع و السقم

فقوله لشوقها، شهدت، في البيت السابق استعارة تصريحية وتدل على وجود الاستعارة في تخميس الشيخ يهوذا وإن لم نجدها في الأبيات السابقة. الكناية:

وتطلق الكناية لغة على ذكر الشيء ليدل على غيره مثل (زيد كثير الرماد) كناية عن كرمه، 541 ويقال اصطلاحاً: لفظ أريد لازم معناه الوضعي مع جواز إرادة ذلك المعنى مع لازمه 542، وأهم صورها ثلاثة: الكناية عن صفة، والكناية عن موصوف، والكناية عن نسبه. وبناء على هذا، فالكناية مظهر من مظاهر التصوير البياني، ولها أثرها الخاص في إبانة بلاغة النصوص الأدبية، التي تختفي في الألفاظ المستخدمة 543، والكناية: غاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته، وسلم في بلاغتها.

⁵⁴¹ البستاني، المنجد في اللغة والأعلام، مطبعة: دار المشرق - بيروت، ط 36، 1973م

ص: 701.

⁵⁴² العاكوب، عيسى على، المفصل في علوم البلاغة العربية، المعاني، البيان، البديع، ط 1، دار القلم للنشر والتوزيع، دولة الإمارة العربية المتحدة، دبي، 1996م، ص: 535.

⁵⁴³ جبران، محمد مسعود، فنون النثر الأدبي في آثار لسادين ابن الخطيب (المضامين والخصائص الأسلوبية) الجزء 3، طبعة 1، 2004م ص: ص: 248.

أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية،
وفي طيها برهانها 544 .

ويمكن أن نشاهد بعض الأمثلة عن الكناية للشاعرين ويتمثل
فيما يأتي:
محمد بلو:

لما تورطت شفتيه لوائحه * فشمت من برقها حقا
روائحه

وقمت بالباب منتظرا منائحه * ومنذ ألزمت أفكارى مدائحه
وجدته لخالصي خير ملتزم

فقوله: فشمت، بالباب، كناية عن الموصوف أطلقه الشاعر
وأراد معناها الوضعي أنه شم رائحة المصطفى صلى الله عليه وسلم
ويقصد بالباب ليجد شفاعته وسخائه وهكذا .

إن سد باب لعبد أنت فاتحه * مانال من نال إلا أنت مانحه
إن أخلف الغيث فالمختار سائحه * ومنذ ألزمت أفكارى
مدائحه

وجدته لخالصي خير ملتزم

يمكن أن نشاهد الكناية فيما تحته خط حيث أراد الشاعر بالباب
الرحمة والفتاح النبي صلى الله عليه وسلم، وأراد بالغيث الشفاعة
وهكذا أمضى الشاعر يكني في شعره .

النداء:

اهتما الشاعران بالنداء في شعرهما وهو طلب المتكلم إقبال
المخاطب عليه بحرف من حروف النداء، أو هو إقبال أحد إليه دُعي
بذكر اسمه، أو لقبه، أو صفة من صفاته، وذلك بعد حرف ناب مناب
أدعو، وأنادي، ويسمى هذا نداء، وقد ذكر البلاغيون أدوات النداء
منها: الهمزة، وأي، للقريب وياء، وآه، وأي وأيا، وهيا، وواو،
للبعيد. " ويجعل القريب بعيداً " فينادي بأدوات البعيد، إشارة إلى
علو منزله أو انحطاط درجته أو غفلته. (63)

فقد قام الأدبيان بهذا الجانب البلاغي العجيب فقال محمد بلو:

1- ياساهر الليلة لليلاء لم ينم * وأصبح القلب ذا وجد وذا ألم

وظل ذاقلق يبكى كذا لمم * أمن تذكر جيران بنى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلت بدم
في هذا الدور تجد الأديب قد استعمل الياء لنداء القريب ولكنه
يقصد بذلك نداء البعيد لأن المخاطب في غفلة، وذهول كأنه غير
حاضر مع المتكلم في مكان واحد فخالف الأصل من النداء لهذا
السبب.

2- يارائما حصر آيات له وسرد * قد رمت حصر كثير فات
كل عدد

وءاية منه فاقت فهم كل أحد * إذا تتبعت آيات النبي فقد
ألحقت منفخما منها بمنفخم

3- يامادحا غيره بمدائح كثرت * ووصفا غيره لجوئز نذرت
ومثنيا غيره بمآثر عفرت * دعنى ووصفى آيات له
ظهرت

ظهور نار قرى ليلا على علم
4- قد فاز تال له في كل مأربه * وخص من ورده الصافى
بأعذبه

ياطيب مورده ياصفو مشربه * كأنها الحوض تبيض
الوجوه به

من العصاة وقد جاءوه كالحمم
والأبيات الثلاثة فيها مواقع للنداء، فالبيت الأول ينادي فيه
الشاعر متعجبا من يروم حصر آيات القرآن، وفي البيت الثاني
النداء لجزر من يمدح غير القرآن ظناً منه يستغني عن قراءته،
والثالث، النداء مرتين يكشف بهما حقيقة التهنئة والتبشير لمن فاز،
واغتنم بتلاوة القرآن، وحفظه، وممارسته، والنداء قد أدى وظيفته
البلاغية بكل المعايير الأدبية والشعرية. فلننظر إلى مثال آخر في
موضوع النداء .

قد بعت دينى بدنيا مع قذارتها * أخرج الدين سعيا فى عمارتها
يا صفة من حذاعة فى إشارتها * فىا حسرة نفس فى تجارتها
لم تشتري الدين با لدنيا ولم تسم

ويظهر جلياً أسلوب النداء في قوله (ياصفقة من خذاعة)،
والندامة مع الويل للنفس التي لم تعمل الحسنات، واقتصرت
بالسيئات يوم الجزاء والأمثلة في هذا الصدد كثيرة في تخميس
محمد بلو إنما نريد أن نقتصر فقط على هذه الأمثلة وله نماذج كثيرة
غير هذه وأما في تخميس الشيخ يهوذا بن سعد فهو:

يا طالباً للمنى بعد الونى وعنا * بادر وقدم متاباً أوثناء هنا
فحبذا قلب مشتاق يروم سنا * وأثبت الوجد خطى عبرة وضنا
مثل البهار على خديك والعنم

وهذا البيت فيه ملامح الفن البلاغي وهو النداء الذي بدأ به
الشاعر ليوجه الأنظار، ولذا استعمل أداة النداء للبعيد ويقصد به
القريب تعجباً من غفلته وذهوله الذي يطلب الحصول على المنى،
والغاية المنشودة بعد الونى والعجز وليس له إلا أن يلتزم الأوامر،
ويقدم توبة نصوحة حتى تقبل حصول على حاجته. دعنا نضرب
مثالاً آخر حتى نتمكن من مشاهدة المزيد من هذا النصف البلاغي
عند الشيخ يهوذا قائلاً:

ياويح مرء إذا نفسا له قد ظلم * ولم يبال بإنذار النذير ألم
فيا خسارة مرء قد عمى وصمم * عموا وصبوا فأعلان البشائرلم
تسع وبارقة الإنذار لم تشم

بيانها قد أزالنا كل مشتبه * تفسيرها قد كفى وعظا لمنتبه
يا فوز من شربه قرآن لاذبه * محكمات فما تبقيين من شبه
لذى شقاق وما تبغين من حكم

فيها عقيدتنا لكل معتقد * وفقها هكذا فى كل معتمد
كل العلوم ففيها يا أخا الرشد * لها معانى كموج البحر فى مدد
وفوق جوهره فى الحسن والقيم

فخذ بيدي وقني من لظى سقر * ومن جميع العقوبات مع الضرر
يا من مزاياه فانت عدّ ذي نظر * ومن هو الآية الكبرى لمعتبر
ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

وفي المهارة الأبية والفنية، حيث ساق الشاعر النداء هذا
المساق الجميل، ويمكن أن نشاهد الياءات التي استخدمها، والتي هي
أعلى أحرف النداء قوة وجدارة، وإظهاراً للتعظيم والتسفيه والحقارة

والتعجب المعنى، وإلزام المنادى الالتفات والتنبه، والإجابة عن النداء في أسرع وقت ممكن .

5- الاستفهام 545:

ومن لوازم بلاغة الاستفهام وهو طلب فهم شئ لم يتقدم لك علم به، بأداة من أدواته وهي: الهمزة، وهل، ومن، ومتى، وأيان، وأين، وأنى، وكيف، وكم، وأى. وقد قدم الشاعران أمثلة حول الاستفهام وسنعرض بعضها لنرى مدى تطبيق هذا المظهر الفني وممارسة هذا الشعور الأدبي الفني. واستخدم محمد بلو فهو الهمزة مستفهماً بها الأخ والنفس في العبات الآتية:

2- أمن تنسم ريا ريح فاطمة * ساجلت ورقا على أفنان

دارمة

تشدوا لذكر فراخ غير ناغمة * أم هبت الريح من تلقاء

كاظمة

وأومض البرق فى الظلماء من إضم

من لى بزورة مغناه فالزومه * من لى بزورة مأواه فأخدمه
وإن أثم تراه ثم أثمره * لاطيب يعدل تربا ضم أعظمه

طوبى لمن تشق منه وملتثم

فأين مدح الورى فيمن سما وعلا * فلا يرى مثله فيما بقى وخلا

على خلائقه القر أن قد نزلا * فما تطاول ءامال المديح إلى

ما فيه من كرم الأخلاق والشيم

ومن هو العروة الوثقى لذى حذر * ومن هو الملجأ الأكفى

لمنتصر

ومن هو سيد الأرجى لمعتذر * ومن هو الأية الكبرى لمعتبر

ومن هو نعمة العظمى لمغتم

نرى أن الشاعر استفهم بالهمزة، ومن، وأين، التي تدل على الترجي لشم ريح فاطمة، وتحقير نفسه وعدم تكبره ليكون زائراً للمصطفى وخادماً له صلى الله عليه وسلم، والتعظيم والتمجيد لذات

545 وهو طلب فهم شئ لم يتقدم لك علم به، بأداة من إحدى أدواته وهي: الهمزة، وهل، ومن، ومتى، وأيان، وأين، وأنى، وكيف، وكم، وأى .

المصطفى في مدحه وهو الملجأ الكافي والسيد الذي يرجي شفاعته عليه الصلاة والسلام .

فقد قام الشيخ يهوذا بنفس الاستفهام في العبارات الآتية مستفهماً غيره أو نفسه وهي قوله:

أمن تذكر عرفات أو الحرم * أو زمزم أو حطيم كنت ذا ألم
أو لعلو أحد أوترعة النعم * أمن تذكر جيران بذي سلم

مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

23. وحر نفسى خليلي ما بصارمة * جيوش حب غزت ليست
بسالمت

وكيف تسلم بأشواق ملازمة * أم حبة الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق فى الظلماء من إضم

مالختار دار فناء قط منذ سكن * وتركها جملة لديه وهو حسن
كيف إحتياج إلى مطروحة كالشعن * وكيف تدعو إلى الدنيا

ضرورة من

لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

يا سيد الأنبياء حبي فخذ بيدي * أنت الشفيع ولولاك فلسنا بشيء
شمس الهداية سعد الخلق ذلك أي * محمد سيد الكونين والثقلي

ن والفريقين من عرب ومن عجم

فخذ بيدي وقني من لظى سقر * ومن جميع العقوبات مع الضرر
يا من مزياه فانت عدّ ذي نظر * ومن هو الآية الكبرى لمعتبر

ومن هو النعمة العظمى لمغتتم

لاينكر وجود الاستفهام في هذا العمل الخمس. حيث استخدام الأدوات الهمزة، وكيف، واستفهم بالهمزة لوعة ووجدأعلى ذكر عرفات، والحرم، والزمزم، والحطيم، التي فاتته من عدم أدائه فريضة الحج ناهيك أن يزورها ويتعجب بكيف لمن يفرض أنه سيسلم من أشواقه للرسول صلى الله عليه وسلم حيث يرى أنه أمر لازم عليه كمحبوب ومشتاق . وإن دل هذا الاستخدام لأدوات الاستفهام على شئ فإنما يدل على طول باع الشعارين، وسعة ثقافتها العلمية، وخيالهم الخصب وإجادة العبارات لهذا التراث العظيم .

وندرک فیما سبق أيضاً أنواع الإستفهام التي استخدمها الشاعران وهذا يؤكد لنا، أقصى ما وصل إليه في هذا الفن وفي كثير من المجالات العلمية والثقافية وغيرها، والأمثلة قد تقدمت في أرجاء ثنايا التخمينيين .

لو أردنا أن نحكم بين الشاعرین بمن له قصب السبق في هذا الميدان لقلنا محمد بلو لما في أبياته من أخذ الناصية وتحريك القلب وهيجان الشعور والوجدان في حالة القراءة والدراسة وأنه أدق تنسيق في التسلسل المنطقي وأجمل ترتيباً .

المبحث الثالث: الشكل

(أ) الخيال

فالخيال عبارة عن تلك القدرة الذهنية التي تجعل الشاعر ينظر إلى أبعاد الأفق على بُنية الإحساس، أو فكرة، ينقله الشعور عن طريق الألفاظ، وترتبط بمقدار ما يوجبه اللفظ، وما تثير عن تركيبها مع غيرها من الألفاظ. 546 فالخيال انفعال ذهني يعبر عن الصورة المحسنة المتخيلة التي تتضح في مجموعة من الألفاظ، والعبارات جيدة متخذةً طريقةً في تصوير الجمال تارة، واللجوء إلى التشبيه، والاستعارة، وإيثاراً للشعور تارة أخرى 547 وتتضح تلك الأخيلة الذهنية في قول الشاعر:

لمابدى للورى أنوار طلعته* تبا شرت أمم أتباع ملته
ويل لأعدئه من سيف سطوته * راعت قلوب العدى أنباء بعثته
كنبأة أجفلت غفلا من الغنم

كأنهم خدع وقعت على شرك* بل هم عصافير فى شرك وفي شبك
أبادهم فهو واد رد على درك * ما زال يلقاهم في كل معترك
حتى حكو بالقنا وهنا على وضم

وكم قتيل لهم هاو إلى أبه* وكم جريح طريح في تخضبه
وهارب وهو لم يظفر بمطلبه * ودوا الفرار فكادوا يغبطون به
أشلاء شالت مع العقبان والرخم

لقوا من الحرب فى أيام شدتها * وقد أعدوا لها من قبل
عدتها

هم أمة عجلت فى الحال مدتها * تمضى الليالي ولا يدرون
عدتها

مالم تكن من ليالي أشهر الحرم
ما كان حسن بهم إلا نياحتهم * لا يعرفون لفرط الخوف راحتهم
هامو لضيف عظيم حل فاحتهم * كأنما الدين ضيف حل ساحتهم

546 غرب طن ظوهو زاريا: محمد البخارى بن الشيخ عثمان بن فودي وشخصيته الأدبية، مطبعة غسكيا زاريا، ط: 1، 2002 م، ص 224 .
547 المرجع السابق نفسه: ص 225.

بكل قرم إلى لحم العدى قرم
لطلعات هذه الأبيات صورة قوية تصف تفوقاً كاملاً على
الأعداء وأثبتت الويل عليهم من سطوة السيف، ثم صور خوفهم،
وشبّهه بخوف الغنم من الأسد في الغابة، وهذا خيال مروع بلغ
الغاية في الخوف والاضطراب وذلك في قوله:

وكم قتيل لهم هاو إلى أبه* وكم جريح طريح في تخضبه
وهارب وهو لم يظفر بمطلبه* ودوا الفرار فكادوا يغبطون به
أشلاء شالت مع العقبان والرخم

وليس هذا فحسب أضاف تشبيهاً فنياً آخر، وهو أحاطوا العدو
حتى أصبحوا كأنهم مصطادون في شرك الصيد، وكالعصافير في
الشبك، والشرك، وذلك عند قوله:

كأنهم خدع وقعت على شرك* بل هم عصافير في شرك وفي شبك
أبادهم فهو واد رد على درك* ما زال يلقاهم في كل معترك
حتى حكو بالقنا وهنا على وضم

كأنهم خدع وقعت على شرك ويصف الشاعر الجوال ميداني
للوغى والحرب، وقتل الأعداء باللحم الذي يضعه الجزار على
وضمه، ولا ترى في ميدان المعركة إلا قتيلاً، وجريحاً مطروحاً،
وهارباً لم يظفر بما جاء من أجله، ويتضح هذا في قوله
لقوا من الحرب في أيام شدتها* وقد أعدوا لها من قبل

عدتها

هم أمة عجلت في الحال مدتها* تمضى الليالي ولا يدرون
عدتها

مالم تكن من ليالي أشهر الحرم

ثم صور العملية الميدانية القتالية بأنها منقطة لحم الأعداء
تأكله الطيور في الميدان، وبالتالي صور الشاعر أيام الحرب بالبأس
الشديد، والهول المريع لدى الأعداء من بأس المسلمين، وشوكتهم
عليهم مع العدة الكبيرة التي اعتادوها قبل خوض المعركة. وفي
الأبيات التالية نشهد صورة فنية تحكي أوضاع المعركة، وطبيعة
الحرب، ومصير العدو، فقال الشيخ يهوذا:

للأنبياء كلهم أمر بنصرته* خبره ملأ الدنيا بغلبته

حسران كل شقي أي لشقوته * راعت قلوب العدا أنباء بعثته
كناية أجفلت غفلا من الغنم
جيوشه وقعت في البروالفلك * حتى يؤل العدا كالسلك في الشبك
ولاملاذ لهم بالجبل والبرك * ما زال يلقاهم في كل معترك
حتى حكوا بالقنا لحما على وضم
وكم صراخ لصراخ يغيث به * لخوف ليث وشبل في تغلبه
يقول ويلي فويلي عند مهربه * ودوا الفرار وكادوا يغبطون به
أشلاء شالت مع العقبان والرخم
لما أرثت أسود الدين جمرتها* وأفزعت أنفس الكفار شدتها
تدور أعينهم خوفا وحيرتها * تمضى الليالي ولا يدرون عدتها
مالم تكن من ليالي أشهر الحرم
لما بعاق الهدى تمكث باحتهم * وطهرت أنفس الأخيار عامتهم

فجاهدوا للإرتفاع الحق كافتهم * كأنما الدين ضيف حل ساحتهم

بكل قرم إلى لحم العدا قرم

فبقراءة الأبيات السابقة للشيخ يهوذا، يتضح التصوير الفني، حيث يصف المهمة القتالية الشرسة، بأن جيوش المصطفى تمكنت في البر والجو، ولعل الشاعر يقصد بالفلك الملائكة المساعدة التي وعد الله بها المجاهدين في سبيل الله حتى يكون العدو محاطاً من كل جانب ومحاصراً كالسمك في شبكة الصياد ولا مفر لهم في الجبال، والبرك، حتى لقوا مصير السوء، وعاقبة الويل، ثم استمر أيضاً يصف ميدان الوغى بأصوات صائحة، وإغاثتهم من اللهفات، والرعب الشديد الذي قذف في قلوبهم كأنهم، يخافون الليث في فراسه، ويدعوا بالويل، والثبور عند ما يولي مدبراً من المعركة لشدتها، وضراوتها، ولم يزل الشاعر يشبه هذا الميدان المعركي تشبيهاً بليغاً، ووصف رجال المبارزة بأسود الدين، وأنهم أثاروا المعركة حتى أصبحت كجمرة النار، وأفزعوا الكفار لماقاسوه من الشدة حتى دارت أعينهم خوفاً ويأساً، وتمضى الليالي ولايعرفون حسابها وذلك كله في قوله:

جيوشه وقعت في البر والفلك * حتى يؤل العدا كالسمك في الشبك
ولاملاذ لهم بالجبل والبرك * ما زال يلقاتهم في كل معترك
حتى حكوا بالقنا لحما على وضم

وهناك مثلاً آخر لتخميس محمد بلو في هذا الصدد حيث يقول:

-دادوا جموع الندى ضربوا جماجمهم * ولا ترى أمنا

الإمسالمهم

فلم يزل ذو العلى يمضى عزائمهم * هم الجبال فسل عنهم

مصادمهم

ماذا رأى منهم في كل مصطدم

11- وسل قديسا 548 وسل يرموك 549 ماوجدا* وسل نضيرا 550
غدوا من أرضهم بددا

وسل يمامة 551 عنهم إن تسل أحدا 552 * وسل حنينا 553 وسل
بدر 554 وسل أحدا

فصول حتف لهم أدهى من الوخم

12- وقائع أن تصلها عنهم شهدت * بان راياتهم بالنصر قد عقدت
وأن أسيافهم أمم لها سجدت * المصدري البيض حمرا بعد ما
وردت

من العدا كل مسود من اللمم

13- لله درهم في الحرب حين نكت * كم أنفس لقناهم ثم قد
هلكت

كم في صفوف العدى سمر لهم فتكت * والكاتبين بسمر الخط
ماتركت

أقلامهم حرف جسم غير منعجم

⁵⁴⁸ يقصد بها القادسية بلدة من بلاد الفرس، كانت غزوتها في خلافة عمر بن الخطاب، وتولى قيادة الجيش سعد بن أبي وقاص حتى النصر، محمد شاعر، تاريخ الإسلام، الخلفاء الرشديون، المكتب الإسلامي بيروت، ط 3، 1403-1985 م ج / 3 ص: 173.

⁵⁴⁹ كانت وقعة مشهورة، نزلت الروم اليرموك في رجب سنة خمس عشرة، - وقيل سنة ثلاث عشرة، فكانوا في أكثر من مائة ألف، وكان المسلمون ثلاثين ألفاً، وأمراء الإسلام أبو عبيدة، ومعه أمراء الأجناد، وكانت الروم قد سلسلوا أنفسهم الخمسة والستة في السلسلة لئلا يفروا، فلما هزمهم الله جعل الواحد يقع في نهر اليرموك فيجذب من معه في السلسلة حتى ردموا في الوادي الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 1، ص: 389.

⁵⁵⁰ بنو نضير، إحدى قبائل اليهود الثلاثة وكانت ديارهم بضواحي المدينة المنورة وكانت حليفة الأوس، صفي الرحمان المباركفوري، رحيق المختوم، المرجع السابق ص: 174.

⁵⁵¹ اليمامة، بلدة جبلية قائمة حتى الآن في وادي حنيفة شمال الرياض، وتبعد عنها بأربعين ميلاً وفيها نشأ مسيلمة الكذاب وأرسل أبوبكر الصديق عكرمة بن أبي جهل لقتاله محمد شاعر تاريخ الإسلام، الخلفاء الرشديون، المرجع السابق، ج / 3 ص: 72.

⁵⁵² جبل قرب المدينة، من جهة الشمال وقعت غزوة أحد بين المسلمين وكفار مكة، يوم السبت لسبع خلون من شوال، على رأس اثنين وثلاثين شهراً. واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم، وفيها قتل حمزة، عم النبي صلى الله عليه وسلم. المغازي - (ج 1 / ص 74).

⁵⁵³ وا د إلى جانب ذي المجاز، بينه وبين مكة بضعة عشرة ميلاً من جهة عرفات، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج 8، ص: 27، 42 المرجع السابق.

⁵⁵⁴ موضع بين مكة والمدينة، وقعت غزوة بدر في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجره أول معركة من معارك الإسلام الفاصلة.

14- فلا عدو إذا لاقوه يعجزهم * ونصرة الحق شيمتهم
وحيزتهم

تراهم إذ صراخ الحرب يبرزهم * شاكي السلاح سيما
تميزهم

والورد يمتاز بالسيما عن السلم

15- أعلى الإله لهم في الدهر ذكرهم * بصحبة المصطفى
قد شد أزرهم

تكفل الله عونهم ونصرهم * تهدي إليك رياح النصر نشرهم
فتحسب الزهر في الأكمام كل كم

ويبدو أن جو التخسيس مليئ ومنضبط بخيالات ذهنية متميزة،
فالشاعر هنا يصف الضربة القاسية التي ذاقها العدو، فأشار إلى
موقع حساس في حسم الانسان وهو الجمجمة التي سرعان ما
ضربها تفنى الحياة، ولو خطأ، ناهيك باستهدافها مباشرة بسلاح،
فذكر بعض الميادين التي لاقوا فيها تلك الضربة كيرموك، وأحد،
واليمامة، وحنين، وبدر. فإنها معركة موت ومقبرة للعدو، ولم يزل
الناظم يعطينا صورة حية لميدان المعركة، والنصر المبين الذي
شهده هؤلاء المجاهدين حتى سجدت الأمم لهم، بطريقتها
وأسطورتها الحربية. عنوة تحت أسياف المقاتلين الأبطال، ومن
شوكتهم فلا عدو إذا لاقوه يعجزهم، وإعلاء كلمة الحق هي شيمتهم،
وهذا تصوير مدحي جميل يجمع أركان الثناء والصدق في الضمير،
وهم إذا ضربت طبول الحرب يخرجون بلا توان، بلا كسل ولا ملل،
فأخذ المولى في أيام الدهر ذكرهم، وشد أزرهم، وتكفل نصرهم
ورياح تلك الأحقاب هي التي تحكى نصرهم ونشرهم .

ولنعد إلى مثال آخر في تخميس الشيخ يهوذا في التصوير
الفنى كون التخميس مليئ بهذه الظاهرة ونأتي بهذا فقط على سبيل
المثال والمشاهدة:

هم ليوث لقد أمضوا عزائمهم * وخاب من حارب أضحي
مخاصمهم

يفر بين الورى من ذاق صورمهم * هم الجبال فسل عنهم مصادمهم
ماذا رأى منهم في كل مصطدم

وسل بنى قينقاع 555 ما لقوا أسدا * يهود خبير هل ما أصبحوا
كمدأ

كفار مكة لما أنكروا حسدا * وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا
فصول حتف لهم أدهى من الوخم
أهل الإله بنصر الدين ما كمدت * ولوملا الأفق جيش الكفر ما
شردت

نيرا نهم بسحاب الدين قد بردت * المصدرى البيض حمر ابعدا ما
وردت

من العدا كل مسود من اللمم
زيادة بيت عن أصل مطبوع قاهرى
30 = أسود غاب وقد عزت عصائبهم * جماعة أخذ الترشيدهم
جالبهم

خير الورى سيد الأنباء لآحيهم * إن قام في جامع الهيجاء
خاطبهم

تصاممت عنه الأذى صمت الصمم 556
رقاب أهل الردى بالصدق قد ملكت * دماؤهم هدرأ بالحق قد سفكت
ستورهم بسيوف الدين قد هتكت * والكاتبين بسم الخط ما تركت
أقلا مهم حرف جسم غير منعجم

صحابة المصطفى الله يعززهم * مرامهم كلما راموا يحوزهم
لا حاجز عن قتال الكفر يحزهم * شاكى السلاح لهم سيما تميزهم
والورد يمتاز بالسيما عن السلم

وبعثته المصطفى تبعد كفرتهم * حتى أطابت مدى الأ زمان ذكرهم
وينبغى أن يديموا الدهر شكرهم * تهدي إليك رياح النصر نشرهم
فتحسب الزهر فى الأكمام كل كمي

في بداية هذه الأبيات تشبيه بليغ يصور الشاعر أبطال
المعارك، حيث شبههم بأسود في القوة والهجوم، وقد أمضوا
مقاصدهم كناية عن النصر، والغلبة في الميدان، وخسر الأعداء

⁵⁵⁵ بنو قينقاع كانت ديارهم داخل المدينة المنورة، المعروفة بيثربا وكانوا خلفاء الخزرج، صفي
الرحمان المباركفوري، رحيق المختوم، المرجع السابق ص: 174 .

⁵⁵⁶ صمم: صمام القارورة بالكسر سدادها وحجر أصم أى صلب مصمت .

حتى فروا من الميدان فرار الذل، والهوان، ثم وصفهم ثانية بالجبال صلابة ومنعة، والذي يبين تلك القوة هو العدو الذي دفع ثمن المعركة في شتى الميادين .

ثم ذكر قبيلة قينقاع اليهودية، ويهود خيبر، وكفار مكة، وساحات المعارك مثل حنين، بدر، وأحد، ليهتفوا بما لاقوه أيام الكر، والفر، بينهم وبين أولئك الأسود، في أشد المعارك وأكبرها ضراوة، ومضمون هذه الأبيات تحكي قوة الخيال، والتصوير الفني، الذين يتصف بهما الشاعر مباشرة، وأنهم لزالوا في نصر الدين، وأن جيش الكفار لوملاً الكون كثرة ماخافه هؤلاء المجاهدين، وهم سيطروا على رقاب الكفار بصدقهم، وقوة إخلاصهم، سفك دماء الكفار بشرع الله تمت، وقد قُذفت أسوارهم، وهُتكت أستارهم بأسياف الدين وهذه كناية عن أوامر الدين والشرع .

وهم أي: صحابة المصطفى لاحاجز يحجزهم عن قتال الكافرين، وأنهم مدججين بالسلاح لهم سيمة الإيمان تميزهم عن غيرهم، أنهم فازوا برسالة المصطفى، وامتدت الأزمان بذكرهم، وثنائهم، ويلزم شكرهم، والدعاء لهم، مدى الحياة .

(ب) العاطفة

معنى العاطفة انفعال أو ظاهرة وجدانية وتعنى هنا مقياس نقدية تنحصر في الشاعر والكاتب والقارئ والخطيب⁵⁵⁷، عاطفية الشاعر جياشة تقدم بحرارة أو برودة حاملة معاني سامية هادفة ابلاغ الرسالة الحب لحبيبيها الوحيد متمنية نيل المشاطرة مع السامع أو القارئ في اصدارتها التفاعلية المنبثقة من عمق النفس وجريان الدم الدافع إلى ابراز ما يعانيه الشاعر المتغزل تجاه المحب له مع ظاهرة موسيقية المعتبرة الواردة في التخميسين، استعملت لتشفي غليل عاطفية لدى الشاعر، الذي ردد الألفاظ والتعابير تنويها وإشارة بها إلى سمو المحبوب وجلالة قدره ومن ثم تلذذ بذكره تقوية للنغم. ونلاحظ هنا ظاهرة العاطفة في عدة مواضع من التخميسين:

ولننظر إلى تخميس محمد بلو لنفوز بمدى شعور الأديب وإحساسه، ثم نأتي ثانياً إلى تخميس يهود مبيينين نوعية العاطفة ومواطن الإعادة أنظر إلى ما يقوله محمد بلو:

5- هيهات هيهات لا يخفى على رجل * وليس يخفى هوى
الإعلى جمل

كم شاهد فيه قدأبدوه فى مثل * لولا الهوى لم ترق دمعاً على
طل

ولأرقت لذكرى البان والعلم

في هذا البيت عمد الشاعر محمد بلو إلى ابراز عاطفته للحب الغزير الذي يكمن في صدره الضيق والواسع حابساً له حيناً ومنقبضاً له حيناً آخر ولم يلزم الشاعر هذا الأسلوب سدى وإنما يقصد به جذب الشعور وإثبات التوكيد والتلذذ بمناقب الحبيب وهيهات أن تنتهي تلك المودة وجعل ينوه بقطعية شأن الممدوح كونه أفضل الناس وأرقهم منزلة ويرشد ويدعو إلى فضل المولى تبارك وتعالى، ولولى قصده لزيارة ضريحه في المدينة المنورة لما وقف الدموع من مقلة عينيه. وجدير بشاعر أن يلجأ إلى هذا الأسلوب

557 أحمد شاييب، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، 1999م، ص: 181 .

النغمي في شعر مملؤ بالمحبة والعاطفة وفيه التشوق، والمدح المقصود إلى التفخيم والإعجاب بالمدوح، واستمر قائلاً:

12- واحذر عوائق من دنيا وكن فهما* وازهد فبا لزهدي يرضى كل من سلما

وجانب الناس بالأوقات مغتتما* وخالف النفس والشيطان واعصهما

وإن هما محضاك النصيح فاتهم

13- إن العوائق قطاع لمن فهما* فلا تثق منهم إلا ولا قسما

لاسيما النفس والشيطان فارعهما* ولا تطع منهما خصما ولاحكما

وأنت تعرف كيد الخصم والحكم

فالدور الأول والثاني تم التكرار فيهما في كلمتي (عوائق) و(فهما) بالصورة التي تجذب الأنظار ويشوق الشاعر وغيره إلى زيادة الإنتباه في أمر المحبوب والإستعداد لمسير العشق والتضحية من أجل بقاء المودة دوماً .

11- هم منهم رتبة بل كلهم رأس* وكلهم من ضياء سناه مقتبس

وكلهم في بحار منه منغمس* وكلهم من رسول الله ملتمس

غرفا من البحر أو رشفا من الديم

12- ونوره أصل نورهم ومجدهم* وهديه أصل هديهم ورشدهم

وبالغون لديه وفق قصدهم* وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

وإذا أنعمنا النظر في البيت الأول نجد العاطفة لكلمة (كلهم) في أربع مواضع في نفس البيت وهي جمع يريد بها انفراد لعظمة المحبوب وجليل قدره وفريد نوعية الحب

- أبان مظهره من عظم معجزه* كماأبان لنا من عظم مظهره

أطاب أصلا وفرعا طيب جوهره * أبان مولده عن طيب
عنصره

يا طيب مبتد إمنه ومختتم

2- يوم أبان مناتهم وجنهم * أنار للناس طرا مع جنهم
يوم به ثل عرش قد أكنهم * يوم تفرس فيه الفرس أنهم
قد أنذروا بحلول البؤس والنقم
ا والعين لشوقها فى ليها شهدت * دموعها تنهمى أبدا بما قد
بدت

وشفها الشوق لاعقل بما عمدت * فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت
به عليك عدول الدمع و السقم
وخضت بحر الهدى والشوق مزقنى * دخلت ظل أمان الحب
أفلقنى

وحر قلبى لأشواقى أحرقنى * نعم سرى طيف من أهوى فأرقنى
والحب يعترض اللذات بالألم
بدت جبين لذى الأشواق مسفرة * ييدى بما عنده للمدح مقدره
فلا ترد موردا صارت مكدره * يا لائى فى الهوى العذرى
معذرة

منى إليك ولو أنصفت لم تلم

ففي هذه الأدوار الثلاثة تميز الشاعر لكلمة (أشواق) فى عدة
مواضع، غايته تحقيق رسالته الإحساس والإنفعال العاطفي .
فإنها بفتون الشر عالمة * لاتقبل القول منها وهى ظالمة
وإن بدا الدين ترجع وهى عالمة * ورا عها وهى فى الأعمال
سائمة

وإن هى استحلّت المرعى فلا تسم

ويبدوا كذلك اظهر العاطفة فى قوله عالمة وهو يوحى إلى
توكيد معنوية الشاعر وإثبات إمامه بما يحيط بأمر المودة من آلام
ومعاناة جمة .

وإن يدالحق والبطلان يرتدع * لما لمع برق سعد كُفُرُ ينقطع
ونوره مذ بدا والشرك ينقطع * وبات إيوان كسرى وهو منصدع
كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم

ويوجد الشاعر حيناً يسرد ارتجاف الخوف للباطل لما ظهر الحق وشاع بين العباد وفي كلمة ينقطع اشادة إلى تولي عهد الكفر واقبال نور الحق ونهاية الشرك على يد المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويريد للأديب، أن يعطى المعنى المطلوب، والغاية المنشودة قريبة المنال ويمكن لمس ذلك طبق الأصل في عاطفته وشعوره المندفعين .

(ت) الأسلوب

هو ذلك العضو الأدائي الذي يعبر عن سلوك الشاعر في صياغة الألفاظ لضبط المعاني ذات الخصوصية بالشكل 558، تتصور أغلب الألفاظ التخمينيين بالقوة، والجزالة، ومطابقة ألفاظنا الحضارية، وقد يكون بعضها القليل تخالف المقاييس اللغوية، والتركيبية، لبعث الثقافة، والجو الاجتماعي الاحتكاكي المتباعد بين الحضارات، وحين آخر هناك ألفاظ لاتناسب ألفاظ الشعر. والجدير بالذكر هنا أن نقيس ألفاظ كل أديب وشاعر بمقياس عصره، ولايلزم أن نحكم عليه بما لم تصل إليه حدثة أيامه ومعالم ليله إليه، حين أنها وصلت إلينا .

ويكون كل من الشعارين يحاول أن يرسم صوراً صادقة، وأخيلة متنوعة، وأسالياً موضوعية، ويأتى الشاعر أحياناً بتشبيهات دقيقة تكاد تفرض السيطرة على كل القصيدة مع مراعاة الدقة والإحكام فيها حتى يتبين كأنك واقف بين شخصية بارزة لها سلوكها، وطبيعتها فى الحياة بل وتعلم ميادين الكفاح، وتعلم أيضاً أسرار الأمانة والسيادة .وسنقف فى الأسطر الآتية على أساليب الشعارين فى الخيال، والأغراض، والتصويرات الفنية، واستعمال الموسيقى، والقوة فى إحساسيهما الجياشة، وصلتها بالصدق الفني، والأصالة الشعرية .

الأسلوب عند محمد بلو، ويهود بن سعد:

على اختلاف حد الأسلوب وتشعب معانيه حسب الفنون والأغراض، فإنه يتمثل على المعنى الحسى من الألفاظ وهو فن من

الكلام يكون قصصاً أو حواراً أو كناية أو تقريراً أو حكماً وأمثالاً، 559 فالذي يظهر في تسلسل الألفاظ، وهما يمثلان جسر الوصل بين المتخاطبين بصنوفه، واختلافه القصصي والحواري التشبيهي أو المجازي، والكناية، وغيره. والأسلوب الأدبي يحتوى على القواعد البلاغية، والنحوية، والعروضية، التي تمهد الطريق إلى إصلاح المنطق، ومطابقة القوانين في النظم، وحتى النثر، وصياغة الجملة لاشك تعنتي بالطبع، وممارسة الكلام البليغ، والجمال، والعبارات، والصور البيانية، 560 فالأسلوب يعتمد على الشكالية، والتصورية التي تأتي من نفس الشاعر ليتصل بغيره بعبارات لغوية، بطريقة الكتابة، والإنشاء في اختيار الألفاظ، وتأليفها للتعبير بها عن المعانى المختلفة. انظر إلى نص التخميس الذي أورده الشاعران في الغزل وشكوى الغرام، نبدأ أولاً بتخميس محمد بلو:

1 - ياساهر الليلة لليلاء لم ينم * وأصبح القلب ذا وجد وذا ألم

وظل ذا قلق يبكى كذا لم * أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلت بدم

2- أمن تنسم ريا ريح فاطمة * ساجلت ورقا على أفنان
دارمة

تشدوا لذكر فراخ غير ناغمة * أم هبت الريح من تلقاء
كاظمة

وأومض البرق في الظلماء من إضم
3- أراك تظهر سلوانا أخی فمتى * وأين الصحو وهذا الفم ما
صمتا

إن ادعيت سليا لم يكن همتا * فما لعينك إن قلت اكفها همتا
وما لقلبك إن قلت استفق يهم
4- أتذرف الدمع فوق الخد فهو دم * والقلب من نار عشق الحب
مضطرم

559 غرب طن طوهو: محمد البخارى بن الشيخ عثمان وشخصيته الأدبية، المرجع السابق

ص: 212

560 المرجع السابق نفسه، ص: 212 .

وتدعي أن ما أضمرت مكتتم * أحسب الصب أن الحب
منكتم

ما بين منسجم منه ومضطرم

5- هيهات هيهات لا يخفى على رجل * وليس يخفى هو إلا
على جمل

كم شاهد فيه قد أبدوه في مثل * لولا الهوى لم ترق دمعا
على طلل

ولأرقت لذكرى البان والعلم

انطلق الشاعر في تخميسه يختار الكلمات القوية التي تصيب
مرماه، وتعبر بدقة عن احساسه في إبلاغ شعوره، وغرامه إلى
ضمير القارئ، والسامع، والكلمات المستخدمة فيها الجمال،
والرونق في العين، والمسمع، ويبرز أيضاً أحزانه، وإعجابه
بأسلوب التحسر، والتعجب عن طريق الاستفهام، والتغافل حيناً كأن
الأمر لامسيس له في شأنه، ويندد خضوعاً، والتذلل في محبته،
وغرامه لديار الأحبة ويمضي صابراً محتسباً نحو نيل مرامه،
ومناه، ويستعمل كلمات تعبر عن ألمه، وشدائده في قلبه، ووجدانه،
مثل: ألم، قلق، سلوان، صمت، ذرف دمع، دم، نار، عشق،
مضطرم، هيهات هيهات، أسقام، وحب. فالشاعر يصبر ويتحمل
ولا يغضب بما يلاقيه، ويمضي عن طريقه متحملاً دوماً إذا تذاكر
جيران ذي سلم، وديار الأحبة في الإضم، وكذا ذكر البان، والعلم
فتنبثق منه غرام جياشة ولا ينال هدوءاً وتخرج منه ألفاظاً فيها لين
تشبع أشواقه، وعاطفيته، وأسلوب الشاعر أسلوب فريد يحضى
بخاصية متميزة تضرب عمق الهدف، وتثير الشجعان، والوجدان
الحسي، والمعنوي معاً. وبعد ما شاهدناه في تخميس محمد بلو من
أساليب شيقة جذابة، هيا لنستمع إلى تخميس الشيخ يهوذا بن سعد
لنلمس تلك اللطائف الأسلوبية، ونوعية وحدثها في هذا الموقف:

حمداً لرب غنى بارئ النسم * له الوجود كذا البقاء كا لقدم

له الكلام وبصر جل عن صمم * الحمد لله منشئ الخلق من عدم

ثم الصلاة على المختار في القدم

أمن تذكر عرفات أو الحرم * أو زمزم أوحطيم كنت ذا ألم

أولعلو أحد أو ترعة النعم * أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
17. وحر نفسى خليلي ما بصارمة * جيوش حب غزت ليست
بسالمت

وكيف تسلم بأشواق ملازمة * أم حبة الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق فى الظلماء من إضم
إن جاء ناصح أترضى بما قد أتى * أويستوي عنك ناطق ومن
سكتا
غريق بحر الهوى يأبى بما ثبتا * وما لعينك إن قلت اكففا
همتا

وما لعينك إن قلت استفق يهم
19. الله يعلم من فى قلبه ألم * للشوق فى صدره وهو ينكظم
أموره ظاهر كمن به سقم * أبحسب الصب أن الحب منكم
ما بين منسجم منه ومضطرم
وغضت فى البحر لكن كنت فى غل * لضرب عشق لخلدي كنت
فى علل
لأجل ذاك أجول صرت كالمثل * لولا الهوى لم ترق دمعا على
طلل

ولا أرقى لذكر البان والعلم
فالشيخ يهوذا يسجل أسلوبه بجمال ورونق للمشهد العيني،
والمسمع، وعذبات الجرس المتسلسل تدق، وتعبر إحساسه المتميز،
وغرامه الفائق نحو ما يعانيه تجاه شعوره، وحبه المتشاطر،
ومبررات الغرام جزء لا يتجزأ عن مبررات الوجدان وما يشج
ضمير الشاعر، ولصدقه فيها بدأ يسجل تلك المبررات أولاً وهى
تذكر عرفات والحرم وزمزم وحطيم وترعة نعم وكاظمة،
والإضم علماً بأن حبيبه عايش تلك المشاعر، وتشرفت قدماه
الطاهرتين خطوها، والتداول فيها، ثم تلفظ بالألفاظ تعبر شدة اللفه
والغرام المتواصل التي ظل يعانيها منذ أمد بعيد، ويتجرع عذابها
دون إنقطاع ولا تخفيف مسبق، فتتمثل الألفاظ مثل: حرنفسى

وجيوش وأشواق وغريق والهوى وألم وسقم وكاظم، وغلل، وعلل.

ويعكف الشاعر على أسلوب خبري حيث يبرز لنا غالباً أسلوبه بكل تحسر، والتوجع ويلجأ إلى جانب الإستفهام والتقرير ليؤكد تلك المعاناة، ويبين أن الأمر جلل .

وإذا أردنا أن نقارن العملية الأدبية الأسلوبية بين الشعارين نجد أن كل واحد منهما أظهر مهارته الأدبية، وتفوقه الشعري، وإمامه بأسرار اللغة إلا أسلوب محمدبلو يتفضل حيث لم نجد فيه انكساراً من ناحية الموسيقى العروضية بخلاف تخميس الشيخ يهوذا فيوجد فيه إنكسار في البيت الرابع. كقول له:-

21. إن جاء ناصح أترضى بما قد أتى * أو يستوى عنك
ناطق ومن سكتنا

غريق بحر الهوى يأبى بما ثبتنا * وما لعينك إن قلت اكففا
همتا

وما لعينك إن قلت استفق يهم
اللغة:

اللغة لها دور حسّاس في تأدية المعنى الأدبي، أصلها لُغِيٌّ أو لُغُوٌّ وجمعها لُغَىٌّ ولغات والنسبة إليها لغويٌّ 561 هي ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. 562 وقيل اللغة أصوات ترمز إلى معان. 563

فالمطلوب لأهل الفن سلامتها من العيوب، والتعقيد المعنوي، واللفظي، واستعمال الكلمات السهلة غير المتنافرة في المخارج أو إسراف في استعمالها بدلا من اقتصادها، وتكسبها مكسباً علمياً، أو إدخال العجمية فيها بحيث يسد عن فهم المعنى الحقيقي لكثرة

561 عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار البصائر مكتبة الطيبة، 1407 هـ 1987 م، ص:

600 .

562 محمد بن عبد الرؤف المناوي، التعريف، دار الفكر المعاصر، دار الفكر- بيروت، تحقيق د0 محمد رضوان الداية، ط 1، 1410 هـ ص: 62 .

563 حسن شاذلي فرهود وآخرون (الدكتور)، البلاغة والنقد، الرئاسة العامة لتعليم البنات، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، 1401 هـ 1981 م ص: 30 .

المجازيات، ومدى ملاءمتها للموضوع 564 كي تناسب الجو
النفسي، وتطابق الإحساس. ولنستمع إلى محمد بلو في تخميسه
لنرى كيف تعامل مع اللغة في تخميسه عند مدح النبي صلى الله
عليه وسلم، والثناء عليه فقال :

1- تعودت نفسى الأهواء والكسلا * أظل طول نهاري خائضا
جدلا

والليل إن جن سدفا بت منجدلا * ظلمت سنة من أحيا
الظلام إلى

أن اشتكت قدماه الضر من ورم

2- أظل بين رغيف ناضج وشوا * في ظل قصر هروبا من
ظها ونوا

وما اقتديت بمن وصل الصيام قوا * وشد من سغب أحشاءه
وطوى

تحت الحجارة كشحا مترف الأدم

3- وهمتى جمع من مال ومن رتب * وما اقتديت بذي
زهو وذو أدب

وقد أنته الدنا من غير ما طلب * وراودته الجبال الشم من
ذهب

عن نفسه فأراها أيما شمم

4- طابت حلاه وقد نارت بصيرته * والبر شيمته
والزهد سيرته

لم تلتفت قط لدنيا سيرته * وأكدت زهده فيها ضرورته
إن الضرورة لاتعدو على العصم

5- ولم يزل ظنه فى الله أحسن ظن * وقلبه أبدا فى الوعد
منه سكن

564 سعيد أبوبكر موسى، الموازنة بين شعر الشيخ عبد الله بن فودي وشعر الشيخ محمد
البخاري أمير تمبول، دراسة أدبية نقدية، رسالة ماجستير، قدمت إلى شعبة اللغة العربية، جامعة
أحمد بلو زاريا، 2004م ص: 172.

وما اعتراه لفقر حل فيه حزن * وكيف تدعو إلى الدنيا
ضرورة من

لولا له لم تخرج الدنيا من العدم
6- محمد مصطفى الأخير آل لؤي * محمد منتقى الأبرار آل
قصي
محمد مجتبي الأنبياء كاشف غي * محمد سيد الكونين
والثقلي

ن والفريقين من عرب ومن عجم
7- داع إلى الله هاد قوله سد * وفي إجابته يا صاحبي
سعد
والأمر والنهي منه كله رشد * نبينا الأمر الناهي فلا
أحد

أبر في قول لا منه ولا نعم
8- هو الأمين الذي علمت أمانته * هو الكريم الذي ظهرت
أمانته
هو المكين الذي عرفت مكانته * هو الحبيب الذي ترجى
شفاعته

لكل هول من الأحوال مقتحم
9- محى غوى الشرك على سلف غيصبه * برى قواه وجرى
رين مثلبه
أتى بدين حنيف غير مشتبه * دعى إلى الله فالمستمسكو
ن به

مستمسكون بحبل غير منفصم
10- إن النبوة تدرى الشمس في أفق * بل أي مرتبة للخلق
لم تفق

إن النبيئين فاقوا كل مستبق * فاق النبيئين في خلق وفي خلق
ولم يدانوه في علم ولا كرم

واظب الشاعر اللغة الرصينه، ووضعها في الاعتبار، واهتم
بها كبير الاهتمام، والمدح فن الثناء، والاحترام، والإجلال، والتقدير
للممدوح، ويحتاج إلى اختيار الألفاظ الملائمة، والأفكار المناسبة

بين الجزالة، والسهولة، لتظهر رقة المعاني، وقد اعتنى الشاعر بصياغة ثوب الثناء، وصفاته لإجلال أسلوب المدوح، وتكريمه بألفاظ مختارة، ومحترمة لدى أهل اللغة المتكلمة بها حالاً، وبالفعل قام محمد بلو بهذا السعي لتحقيق هذا المكسب المدحي للرسول صلى الله عليه وسلم، واستعمل كلمات فيها كل مقاييس الاحترام، وصفات الثناء كما سبق. مثل: أنه أحي الظلام، واصل الصيام، أدب، طابت، نارت بصيرته، البر شيمته، الزهد، العصم، الأخيار، الأبرار، مجتبي، كاشف، السيد، هاد، سعد، رشد، الأمين، أمانة، الكريم، المكين، مكانة، حبيب، شفاعة، حنيف، الشمس، فاق، وهذه الكلمات كلها ليس فيها تعقيد المعنى، وليس هناك احتمال المعنيين لأنها اختيرت بغاية التدبر، والعناية لتشفي الغليل، وكلها أيضاً كلمات رشيقة لا تكلف فيها، ولا تعقيد، ويرفع ممدوحه وراية عزه، وعلوه بين أقرانه فجعل تلك الصور إما أن تكون معجزية، أو علمية، أو أخلاقية، أو جودية، وكل كلمة شريفة في ذاتها، وكريمة في طياتها. ولما كنا في صدد المقارنة بين الشعارين ولننظر إلى تخميس يهوذا لنرى ماذا في صفحاتها من جمال اللغة، ورونق الألفاظ، وحسن الصياغة، وعدم التكلف فقال:

ونمت في ليأتي ايلفي الكسلا * علمت طرق الهدى لم أسلك السبلا
دأب الكرام قيام الليل لامللا * ظلمت سنة من أحياء الظلام إلى أن
أن اشتكت قدماه الضر من ورم

من العجيب لمن حاز العلا وحوى * ترك الدنيا ترك النطق أي
بهوى

وأقبلت نحوه الفانى أبى وزوى * وشد من سغب أحشاءه
وطوى

تحت الحجارة كشحا مترف الأدم
ونعم من فاز بالعلوم والأدب * واختار رب العلى لم يرض
بالنشب

وبعد ملك الكنوز يقيم بالسغب * وراودته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فاراها أيما شمم

ترتيل قرآن في دياج سيرته * بدربه للدنا بانته بصيرته

لأجل ذا كل من يؤمن عشيرته * وأكدت زهده فيها ضرورته
إن الضرورة لاتعدو على العصم
ما اختار دار فناء قط منذ سكن * وتركها جملة لديه وهو حسن
كيف احتاج إلى مطروحة كالشعن * وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة
من

لولاه لم تخرج الدنيا من العدم
يا سيد الأنبياء حبي فخذ بيديّ * أنت الشفيح ولولاك فلسنا بشيء
شمس الهداية سعد الخلق ذلك أي * محمد سيد الكونين والثقل

ن والفريقين من عرب ومن عجم
أتى النبي بقرآن هو السند * آياته جملة للأذكياء مدد
لها معان كثير كله رشد * نبينا اللامر الناهي فلا أحد
أبر في قول لا منه ولا نعم

شفيح كل الوري فازت جماعته * وجاء في آخر ترفع ساعته
وكل من حبه نفقت بضاعته * هو الحبيب الذي ترجى شفاعته
لكل هول من الأهوال مقتحم

أتى بدين قوى غير مشتبه * أهل السعادة تأتي ياخذون به
وكل أخذه فاز بمطلبه * دعا إلى الله فالمستمسكون به

مستمسكون بحبل غير منقصم

بجاهه جل نجي نوحا من غرق * به السلامة للخليل من حرق
لولاه لم يخلق الإنسان من علق * فاق النبيين في خلق وفي خلق
ولم يدانوه في علم ولاكرم

الجو اللغوي الذي يحوم في هذه القصيدة تسودهما فصاحة
اللغة، وحسن اختيار الكلمات المطابقة الموضوعية المعنى، وتعطى
الأهداف نوالها، ومغزاها الحقيقي بعيدة عن التنافر، وعدم الدقة في
الصياغة أو الاستعمال. فبتتبع لغة الشاعر يلمس آثار الثناء، والمدح،
وأوصاف جميلة رشيقة لاتكلف فيها، ولاتعقيد ف قوله مثلاً: الكرام،
أحيا، اختار، ملك، الكنوز، الأدب، فاز، سيرة، بصيرة، زهد،
حسن، سيد، الشفيح، الهداية، سعد، الخلق، السند، رشد، ترفع، قوي،
السعادة، جاه، غرق، السلامة، فاق، علم، وكرم. فكلها كلمات
تلتحف رداء العز والمعاني السامية فيها معلم الجود أو العلم،

والرفعة، والسيادة، ويرضى الممدوح بها وتترين فيها نقوش
الاحترام، والاعتزاز، وغيرها. وكوننا في سدد المقارنة وحيزة
الموازنة نجد مقاربة شديدة في صياغة الألفاظ، واستعمال الكلمات،
وفي بعضها موافقة بين الشاعرين، ولعل هذا يعود إلى مطابقة
مستنقاهما الأدبي، ومنهجهما التعليمي في هذه البلاد، ويمكن تلمس
تلك الموافقة في قوليهما: الأدب، الكرم، الشفاعة، رشد، والأخيار،
ومع ذلك يمكن أن نشاهدة الأكثر دقة عند محمد بلو بين هذين
التخمينيين وأعلى تنوعاً للمفردات نفسها، وذلك عن طريق إعادة
القراءة وترتيل الأبيات .

التركيب:

التركيب يعنى كيفية محاولة الشاعرين في إبراز إحساسها،
وأداء وظيفة الاتصال بين الاثنين المتكلم والسامع، فنجد تراكيبيهما
كلها سهلة تتألف من الجملة الفعلية أو الإسمية البسيطة في إظهار
جو الشعور، والإحساس للرسالة التي يريدان أداءها، فلما أراد
محمد بلو أن يظهر المعجزة الفريدة في ولادة النبي صلى الله عليه
وسلم، والمعانات التي واجهت الكفار من شدة العداوة التي تكمن في
صدورهم، والغيط القاتل الذي يتأجج في ضميرهم استعمل التراكيب
فيها دقة المعنى وسهولة التناول ولا تنافر في سمعها فقال:

أبان مظهره من عظم معجزه * كما أبان لنا من عظم

مظهره

أطاب أصلا وفرعا طيب جوهره * أبان مولده عن طيب

عنصره

يا طيب مبتداً منه ومختتم

2- يوم أبان مناتهم وجنّهم * أنار للناس طرا مع جنهم

يوم به ثلّ عرش قد أكنهم * يوم تفرس فيه الفرس أنهم

قد أنذروا بحلول البؤس والنقم

3- يوم رمى مع بذات القوم ما يرع * وأيقنوا أن أحداثا بهم تقع

وسار كسرى على كمد به جزع * وبات إيوان كسرى وهو

منصدع

كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم

- 4 قد عرفوا بسقوط من على شرف * لما تساقط في
الإيوان من شرف
وقد تخلت جنان الخلد في ترف * والنار خامدة الأنفاس من
أسف
عليه والنهر ساهي العين من سد م
5- سارت قريظة أن حرقت بريرتها * وساءها أن ترى
بيسا خضيرتها
وستبدلت برخاء بؤسا دويرتها * وساء ساوة أن غاضت
بحيرتها
ورد واردها بالغيط حين ظم
6- والماء والنار معكوسان في عمل * قد صار فعلهما طرا
على بدل
فاعجب لطبيين منعكسين من وجل * كان بالنار ما بالماء من
بلل
حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم
7- بشائر الحق للأهواء وازعة * أخبار أحبار بالميلاد
شائعة
شوارق الحق للأبصار طالعة * والجن تهتف والأنوار
ساطعة
والحق يظهر من معنى ومن كلم
8- لكنهم بهما حقا عمى وصمم * فأنكروا الحق والبرهان
حين نجم
لم يهتدوا والهدى كالنار فوق علم * عموا وصموا فإعلان
البشائر لم
تسمع وبارقة الإنظار لم تشم
9- كم هاتف سمعوا فصعت بواطنهم * وأركسوا للذي أملاه
خاننهم
وعاندوا الحق والشيطان فانتهم * من بعد ما أخبر الأقوام
كاهنهم
بأن دينهم المعوج لم يقم

10- من بعد ما سمعوا ما كان في كتب * للأنبياء وتقريراً لكل

نبي

وشاهدوا إذ أتى عجباً على عجب * وبعد ما عاينوا في الأفق من

شهب

منقضة وفق ما في الأرض من صنم

فالأبيات تتألف من تراكيب جزلة، وسهلة التذراك ومحتوياتها تمتد طولها وعرضها تطرح قضية المعجزة لولادة خير الورى، وشدة لاقاها الكفار، وتحركهم للحيلولة دون تحقيق الرسالة لأهدافها، والمعجزة كيانها. والشاعر سلك طريقاً يلبي رغباته، وتشبع شوقه، وتغني أفكاره الجياشة تجاه هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، والتركيب في قوله (أبان مظهره) فهو تركيب سليم يتألف من فعل وفاعل، والجملة فعلية، وتعبّر عن وجود النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الأرض وقوله (أطاب أصلاً وفرعاً) غاية في الثناء على أجداد المصطفى وأهل بيته جميعاً رضوان الله عليهم. وقوله (فأنكروا الحق) دلالة على تخاصم الكفار، وفجورهم نحو المصطفى، ورسالته الخالدة وهذا هو في قوله (عمى وصمم) وقوله (والنار والماء معكوسان) (عاندوا الحق) و(الشيطان فاتنهم) فبتتبعنا كافة أجزاء التخميس يلمس آثار هذه التراكيب بأسلوب رشيق لاتعقيد، ولاغموض فيه. ولنعد إلى تخميس الشيخ يهوذا لنلمس جمالاً آخر من تركيب جديد في تعبيره لولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال:

زمانه زمن فاز بمفخره * وسعدنا كوننا نُحيت منبره

ونوره لم يزل أبداً لمظهره * أبان مولده عن طيب عنصره

يا طيب مبتداً منه ومختتم

لما إله الورى أمنع جنهم * عن استراق وبالأنوار أجنهم

وأوجسوا خيفة تثبت ظنهم * يوم تفرس فيه الفرس أنهم

قد أنظرو بحلول البؤس والنقم

وإن يدا لحق والبطلان يرتدع * لما لمع برق سعد كُفْر ينقطع

ونوره مذ بدا والشرك ينقطع * وبات إيوان كسرى وهو منصدع

كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم

ناموا أقاموا زمانا في شفا جرف * حتى أتى سيد السعداء بالحنف
ينقذهم ويُنَجِّيهم من التلف * والنار خامدة الأنفس من أسف
عليه والنهر ساهي العين من سدم
نيران كفر لقد تطفى جُميرتها * وظنهم قبل ذا نُحْمى نويرتها
وماء فارس أن غارت نُهيرتها * وساء ساوة أن غاضت بحيرتها
ورد واردها بالغیظ حين ظم
وإنهم قعدو في فاسد العمل * تَبًّا وقبحًا لعزاهم مع الهبل
وحالهم هكذا حتى انمجلا المحل * كأن بالنار ما بالماء من بلل
حزنا وبالماء ما بالنار من ضررم
جاءت تباشر الشمس سعد طالعة * ورحمة تأتي للخيرات جامعة
نبراس حين أضاعت وهي رافعة * والجن تهتف والأنوار ساطعة
والحق تظهر من معنى ومن كلم
ياويح مرء إذا نفسا له قد ظلم * ولم يبال بإنذار النذير ألم
فيا خسارة مرء قد عمى وصمم * عموا وصموا فأعلان البشائرلم
تسمع وبارقة الإنذار لم تشم
كم كاهن أخبر طاحت ميادنها * ولا قرار لمن هُدمت مساكنهم
قد أهلك الكفر واجتثت أماكنهم * من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم
بأن دينهم المعوج لم يقم
وقد رأوا مارأوا في سالف الحقب * ترمى السماء شهابا ظاهرا
للهب
لأن ذا عندهم من أعجب العجب * من بعد ما عاينوا في الأفق من
شهب

منقضة وفق ما في الأرض من صنم
في طيات هذه الأبيات مظاهر تركيبية شيقة تهدف إلى تعزيز
رسالة الشاعر، وإعطاء رونق أدبي متميز، ويتضح للقارئ مدى
إيجابيات تلك التراكيب لمتطلبات الشاعر في بيان ولادة المصطفى
على وجه المعمورة، وما يقوم به لإيجاد كيان أمته وقوله (يد الحق
(البطلان يرتدع) أقاموا زماناً، (في شفى جرف) السيد
السعداء، (ينقذهم وينجيهم) (تَبًّا وقبحًا لعزاهم) (ترمى السماء
شهاباً) (أبان مولده) (هدمت مساكنهم) (أهلك الكفر) (اجتثت

أماكنهم) (عاينوا في الأفق من شهب) ليس هناك زعزعة في فهم هذه التراكيب المتقدمة وهي لطيفة في جرسها، وملائمة في أداء مهمتها في سياق الجمل والتراكيب المركبة في التخميس. ولو تتبعنا أجزاء التخميس لوجدنا هذه التراكيب كثيرة تشفي الغليل وتعطي الشعر معناه والرونق الجمالي .

ث) الأوزان

إن الكلام الموزن ذا النغم الموسيقي يثير فينا انتباها عجبياً 565 وتتميز اللغة العربية بالحسن والجمال، وذلك عن طريق امتاع الأذن وتشويق النفس ما حققتة من جمال للفظي، وتراكيب موسيقية 566 .

فالموسيقى سريعة التأثير في الوجدان، وهي تحرك المشاعر بشدتها أو هدونها، وبسرعتها أو بطئها وبلينها أو عنفها، فتحرك عواطف معينة في نفسه قد تكون الأمل أو اليأس، السرور أو الحزن، والرضى أو الغضب .

ومصدر الموسيقى الوزن والقافية، وعنهما تنشأ وحدة النغم أو الانسجام، الشيء الذي يسميه الأدباء، (البحر) وهو يتألف من مجموعة وحدات إيقاعية تطلق عليها اسم (التفعيلات) يتكون منها الوزن الذي يتم بناء القصيدة عليه .

وبتتبع هاتين القصيدتين أو التخميسين نجد أنهما متماشيان في تفعيلاتها وفق أصول الموسيقى المعروفة في بحر البسيط الذي يتكون من ثمانية أجزاء، ووزنه في الأصل:

نقرة متحركة يتلوها ساكن، ثم نقرة متحركة يتلوها ساكن، ثم نقرتان متحركتان يتلوها ساكن، (مُسْتَفْعِلُنْ) ثم نقرة متحركة يتلوها ساكن ثم نقرتان متحركتان يتلوها ساكن، (فاعلن) فأصبح أربع في صدر البيت وأربع في عجز البيت فصار ثمانية

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن * مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

565 رجب عبد الجواد إبراهيم، (الدكتور) موسيقى اللغة: دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 2،

2003م ص: 4

566 المرجع السابق، ص: 3 .

ويكون هذا البحر له ثلاث أعاريض وهي:

1- تامة مخبونة ، وهو ما كانت تفاعيله ثمانية كما في هذه القصيدة

2- مجزوءة صحيحة، ويأتي على ستة تفاعيل

3- مجزوءة مقطوعة، ويأتي على ستة تفاعيل وله ستة أضراب:

مخبون، ومقطوع، ومذيل، وصحيح، ومقطوع، ومجزوء مقطوع .
ويدخل فيه من الزحاف:

الخبن: وهو حذف ثاني الساكن فاعلن ويكون فعلن ومستفعلن
يكون متفعلن

الطي: وهو حذف الرابع الساكن مستفعلن ويكون مستعلن
الخبل: وهو حذف الثاني الساكن والرابع الساكن مستفعلن ويكون
متعلن

من مميزات هذا البحر:

- وهو بحر رقيق وعذب. 567
 - وقد ذكر المعري أن أكثر أشعار العرب من (الطويل والبسيط والكمال)، فينبغي الاعتناء بها قبل غيرها. 568
 - كثرته وشهرته، فأخذ اسمه من البسيط بمعنى النشر .
 - كثرة أجزاءه ولذا أخذ اسمه من البسطة بمعنى السعة .
 - انبساط الأسباب في أوائل السباعية .
 - انبساط الحركات في عروضه وضربه .
- والقافية تتكون من عنصر واحد من المقطع الصوتي الأخير والرومي ميمي (ميم) مجراه حركة الكسر، وذلك أن الشاعر البوصيري بنى قصيدته على حرف الميم، ولم يخرج عن هذا النظام من البداية إلى النهاية. وعلى ذلك درج الشاعران في تخميسهما على البردة .

مثال هذا البحر في تخميس الشيخ يهوذا بن سعد قوله :

567 حار الله , دروس مختصرة في علم العروض، دروس غير مصنفة، المكتبة الشاملة (ج 1 / ص 10) دون ذكر التاريخ والطبع
568 المرجع السابق، ص: 11

حمدًا لرب غنى بارئ النسم * له الوجود كذا البقاء كالقدم
له الكلام وبصر جل عن صمم * الحمد لله منشى الخلق من عدم
ثم الصلاة على المختار فى القدم

ج) القوافي

القوافي جمع قافية والقافية مشتقة من قفا الأثر يقفوه، وسميت
نهاية البيت قافية، لأنها تقفو أثر كل بيت، فهي فاعلة، وقيل هي
فاعلة بمعنى مفعولة أي مقفوة لأن الشاعر يقفوها إذ تجري له في
البيت الأول سجية فينتبعا ويقفوها بعد ذلك⁵⁶⁹ واختلف العلماء في
حقيقتها قيل أنها مجموعة أحرف في آخر البيت وقيل كلمة الأخيرة
من البيت وقيل هي كلمتان الأخيرتان في البيت.⁵⁷⁰ فالبوصيري
قد اختار وزنا مناسباً سلساً يتماشى مع ظروف مهمة التي أرادها
وقافية تواكب النغم الموسيقية لأن قوام الشعر وملاكه وسماته
وشرف أجزائه فيهما⁵⁷¹

وقد ظهر في أقصى الغرب بالأندلس نظام جديد للقصيدة هو
نظام الموشحة ويختلف عن نظام قصيدة التقليديّة حيث أن
الشطرين أو أربع أو ستة تلتزم قوافي الشطور كلها في الموشحة
أو يتألف عادة من شطور الثلاثة وقد يزيد إلى سبعة قد يتفق
الوزن والقافية وقد يختلف.⁵⁷² وأن الروي يختلف باختلاف نوعيته
ومزاجه ونغمه قوة وشدة أوسكينة ولطافة قصرًا وطولًا أو
العكس، وروي القاف وجود في شدة والحروب والبدال في الفخر
والحماسة، والميم والام في الوصف والخبر والباء والراء في

⁵⁶⁹ مأمون عبد الحلیم وجیه (الدكتور)، العروض والقافية بين التراث والتجديد، مؤسسة
المختار للنشر والتوزيع القاهرة، ط1، 2007م، ص: 283.

⁵⁷⁰ مأمون عبد الحلیم وجیه (الدكتور)، العروض والقافية بين التراث والتجديد، المرجع
السابق.

⁵⁷¹ غرب طن ظهو زاريا (بروفيسور)، محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي
وشخصيته الأدبية، المرجع السابق. ص: 234.

⁵⁷² شوقي ضيف (الدكتور)، في النقد الأدبي، دار المعارف، ط9، 2004م ص: 104.

الغزل والنسيب على وجه غالبى اجمالى .⁵⁷³ فالبوصيرى اختار رويه حرف الميم وتبعه محمد بلو ويهوذا لسببين كونه حرف شفوي مهموس يعبر عن السكينة واللطافة والوقار والإحترام واجلال موقف الذى يريد أن يشرع فتأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة ووصفه بأقصى ما يلزم من صفات الحب والطاعة له صلى الله عليه وسلم والتزم عرضاً وصفي وتاريخي كما قال أحمد شيب ووجه الثانى أنه استخدم الميم ليتبرك باسمه صلى الله عليه وسلم ويبارك الله بذلك هذا الشعر المدحي فقد شاع بين أمة الإسلامى برمتها والله أعلم.

الفصل الخامس الخاتمة

وفيه:

- الخلاصة
- نتائج البحث
- الإقتراحات والتوصيات

الخلاصة

تمثل هذه الرسالة الرقى البهي في ذات الأدب وفنونه ايذانا بنهضة الذوق النقدي الذي دأب على طلابه باحثون مجدون من رواد هذا التراث العظيم حضارة العريقة، وثقافة الأدبية الشعرية في أرجاء هذه البلاد، وقد تقدمت الرسالة بالحديث عن سبب إختيار الموضوع، وما يحتوي من أهداف الرسالة. وتناول البحث عما يكمن في القرن التاسع عشر والعشرين الميلاديين من الثقافة، والحضارة .

وذكر الباحث غاية المنشودة في إختيار هذا الموضوع لمافيه من المعلومات الدسمة والثقافة الجمة وهذه الرسالة رمز لتلك الثقافة والحضارة وثمره عقول العلماء عامة وعالمين اللذين تحدث الباحث عنهما خاصة والتي تمثل ثقافتها الأدبية الشعرية وهما من علماء القرن التاسع عشر والعشرين الميلاديين .

أعطى الباحث المساحة المحدودة لهذه الدراسة والأهمية الفعّالة لهذا البحث المتواضع، ثم المنهج المتبع، والدراسة البسيطة المتواضعة التي تمثل عبقرية الأديبين في إبداعهما الجميل، وتلويينهما الفني الأدبي البلاغي الرائع لهذين الشعيرين المخمسين . كما قام الباحث أيضاً بالدراسة السابقة حول الشخصيتين، وفصل القول فيهما ليتضح الحدود التي وصلت إليها الدراسة، وما قام به الباحث، وإلى أين وصل، وما بقي للذي يريد أن يساهم فيه، ويدلي بدلوه في حقل العلم، وميدان الثقافة .

ومهما يكن من أمر فإن هذا البحث يحمل في صفحاته ستة فصول وخاتمة، ثم الخلاصة ونتائج البحث، والإقتراحات والتوصيات، ومن ثم قائمة المصادر والمراجع إضافة إلى الملحق . الفصل الأول عبارة عن مقدمة بما فيه سبب إختيار الموضوع، ثم أهداف البحث وحدوده وأهميته ثم اشكالية البحث

وكذلك المنهج المتبع في البحث، يلي ذلك دراسات السابقة لهذا الموضوع .

الفصل الثاني ترجمة الشعراء الثلاثة وفيه ثلاث مباحث الأول: يتعلق بحياة البوصيري وشاعريته، وفيه الحالة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وكذلك الثقافية، ثم العناصر التي كوَّنت شخصيته بما فيها ولادته، اسمه، ونسبه، نشأته، ثقافته، وشخصيته، علمائه، وتلاميذه، ثم البيان الموجز عن الكواكب الدرية في مدح خير البرية المعروفة بالبردة، ثم وفاته .

المبحث الثاني: عبارة عن حياة محمد بلو وشاعريته وفيه ولادته، اسمه، ونسبه، وكذلك قبيلته، ثم لقبه، نشأته، وحياته العلمية، والأدبية، والشعرية، وكذا علمائه شيوخه، ومؤلفاته والبيئة التي عاش فيها الشاعر، ثم البيان عن خلفته، وفاته، ودفنه رحمه الله .
وأما المبحث الثالث فهو حياة يهوذا وشاعريته بما فيه مولده، وهجرته، وإسمه، ونسبه، ونشأته، وتعلمه، والبيئة التي عاش فيها العامة، والخاصة، مؤلفاته تأثيره في طلابه خاصة وفي زاريا عامة، ثم لمحة عن تعريف البردة والتخميس

الفصل الثالث: تحقيق التخميس وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: الصورة العامة لغايات التخميس: وفيه- دراسة تخميس محمد بلو هذا تطرق كافة النقاط التي تتعلق ببردة محمد بلو بما فيه: الغزل والغرام، اللوم، والتحذير، ثم مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وتكلم الباحث عن كل من مولده وأخلاقه، معجزاته وإرهاصاته صلى الله عليه وسلم، القرآن الكريم، الإسراء والمعراج، ثم الجهاد، والتوسل، والمناجات وعرض الحاجات في هذا الشعر الخمس، مما يعطي ضوعاً عن معاني تصويرية فنية أدبية، ومعلومات دقيقة ولطيفة تقصان عن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأخلاقه الفاضلة، وسفره، وإقامته، وحربه، وسلمه ثم دراسة تخميس يهوذا وفيه: الغزل والغرام، اللوم، والتحذير، ثم مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وتكلم الباحث عن كل من مولده وأخلاقه، معجزاته وإرهاصاته صلى الله عليه وسلم، القرآن الكريم،

الإسراء والمعراج، ثم الجهاد، والتوسل، والمناجات كما كان لتخميس أمير المؤمنين محمد بلو.

المبحث الثاني تحقيق تميس محمد بلو

المبحث الثالث تحقيق تخميس يهوذا قد جري إستعمال وموازنة ثلاث نسخ لكل واحد منهما .

الفصل الرابع: الموازنة بين التخميسين وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: المدخل إلى المازنة: فهو عبارة عن عرض

وجيز لنشأة الظاهرة النقدية من الجاهلية إلى عصر الراهن

المبحث الثاني المضمون: فهو الكلام عن المطلع ولب

الموضوع والمقطع

المبحث الثالث: من حيث الشكل وفيه: الخيال العاطفة،

الأسلوب، الأوزان، القوافي .

الفصل الخامس: الخاتمة التي بيّن فيها الباحث الخلاصة،

نتائج البحث، وفوائده الجمة التي لمسها الباحث خلال الدراسة ومن

ثم بيّن أيضا الجمال الفني الأدبي الذي يتلأأ بين طيات التخميسين، وأسطرها، ثم الإقتراحات والتوصيات.

المصادر المراجع العربية، المراجع غير العربية، ثم

الملاحق .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين .

نتائج البحث:

- قد توصل الباحث آخر المطاف إلى نتائج تالية:
1. هذان قصيدتان عملا فنان يلمس من خلالهما رسوخ أدبي، ومساهمة علمية جميلة، في مجال الأدب العربي النيجيري .
 2. يستنبط الباحث أيضا بأن هذين التخميسين عمل أدبي يظهر من خلاله حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وقضاياها الجهادية .
 3. القصيدتان مرآة لحياة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، وسلمه، وحربه، ومع ذلك استطاع الأديبان أن يصوغا نظما باللغة العربية الفصيحة دون اللجوء إلى العجمية، متميزة بدقة الخيال، ووضوح البيان، وروعة التصوير، وإثبات الأوزان .
 4. فهذا العمل الأدبي جزء من مساهمة إحياء التراث الأدبي من تراث أجدادنا، ودعوة العقول إلى المساهمة لإحيائها دوماً .
 5. إن هاتين القصيدتين تصوران جهودا عظيمة التي قام بها علماء هذه البلاد منذ أمد بعيد في إحياء اللغة العربية وتطوير الأدب العربي النيجيري .
 6. من خلال الموازنة بين التخميسين استنتج الباحث أن كلاهما يمتاز بميزة، وجمال الأسلوب، والتركيب ودقة الخيال وعمق التصوير وجمال النغم الموسيقي من ناحية الشكل. ومن ناحية المضمون: يمتازان أيضاً بميزة الفكرة والمطلع، وعدم التعقيد في المتن، وأن النهاية كانت خاتمة المعتادة وغير ذلك كصدق الفني والتجربة الشعرية .
 7. تحقيق التخميسين لأول مرة تحقيقاً موضوعياً يستقيم به الشعر والنغم ويتضح المعنى والأوزان بشكل أدق .

الاقتراحات والتوصيات:

تتمثل هذه التوصيات والاقتراحات بأن هناك زوايا متعددة ومجالات متنوعة للقيام بالبحث حول التخميس لقصيدة البردة والموازنة، وشخصية الشاعرين هما محمد بلو ويهوذا بن سعد وتتمثل هذه التوصيات في نقاط تالية:

1. يهيب الباحث الكتاب لمضافرة في دراسة واعية للنصوص الأدبي عامة والتخميس خاصة.
2. يسدي الباحث إلى رعاية الرواد باهتمامهم البالغة كما ينبغي من كلا التراث.
3. كما يرجو الباحث من الباحثين القيام ببحوث تتناول انتاجات أخرى قام بها محمد ويهوذا بن سعد لأدبية والإسلامية حيث إنها كثيرة جدا وتحتاج إلى البحث فيها لما لها من الأهمية والجدارة بالبحث في هذا الخصوص .
4. يشجع الباحث القراء على اهتمام بما تنتجه دوائر البحوث أهمها الأدب والنقد عما يقوم به أخراهم عربيين في الوطن العربي
5. يجدر للجامعات والمعاهد العلمية والتقليدية والمدارس العامة والخاصة الأدبية النقدية بالبحث للأدبيين خصوصاً وعن الأدب النيجيري عموماً لاستغلال البحوث وتخزينها في المكاتب العامة والخاصة لعموم الفائدة .

المصادر والمراجع:

أحمد أمين، 1966م، ظهر الإسلام مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 4.

أمين الدين أبوبكر، 1987م، المجاهد الكبير في غرب إفريقيا كتاب أصله رسالة. جامعية للحصول على درجة الماجستير، قدمت إلى قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والدراسات الإسلامية، جامعة بايرو، كانو، .

أمين، بكري شيخ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، مط: دار العلم للملايين بيروت لبنان ط 2.

الأشراف، 1984م، أنساب الأشراف، الطبعة الأولى، ج 1، دون ذكر التاريخ و المكان .

إلورى آدم عبدالله، 1368هـ 1978م (الشيخ) الإسلام في نيجيريا، ط/3، دون ذكر التاريخ ومكان الطبع.

إبراهيم أنيس (الدكتور)، موسيقى الشعر، دار المعارف مصر ط/1 دون التاريخ .

إبراهيم محمود محمد، 1996م ، الأشعار الدينية لدى بعض علماء نيجيريا، في القرن العشرين، عرض ودراسة، بحث علمي للحصول على درجة للدكتوراه، قدم إلي قسم اللغة العربية جامعة أحمد بلو زاريا

إبراهيم آل جار الله، بهجة الناظرين فيما يصلح الدنيا والدين، طبعة دار الطيبة بالنشر والتوزيع، الرياض، دون ذكر التاريخ والعدد

إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني ، 1982م / 1405هـ ، دلائل النبوة، مؤسسة دار الشعب، قصر العين القاهرة، .

الإدورد وليم ، 1968م ، لين العربية الإنجليزية القسم الثاني،
بيروت لبنان دون ذكر الطبع .

الباجوري الشيخ إبراهيم، 1370هـ - 1951م ، حاشية الباجوري
على البردة، شركة مصطفى البابي الحلبي، وأولاده، ط/
4.

بدون طبانة، (الدكتور)، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي،
دون ذكر المطبعة وتاريخ الطبع .

بطرس البستاني، 1294هـ - 1877م ، دائرة المعارف قاموس عام
لكل فن ومطلب، بيروت لبنان، طبعة مؤسسة إسماعيلان
تهران سنة.

البستاني، 1973م ، المنجد في اللغة والأعلام، مطبعة: دار
المشرق - بيروت، ط36، .

جبران، محمد مسعود، 2004م ، فنون النثر الأدبي في آثار لسان
الدين بن الخطيب (المضامين والخصائص الأسلوبية)
طبعة 1، .

جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الثالث الطبعة
الثالثة بيروت لبنان .

جنيد بخاري، تنشيط الزائرين لمزار محمد بلو، قسم التاريخ، جامعة
أحمد بلو، زاريا، مخطوط .

جلال الدين السيوطي، تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، مكتبة
ومطبعة المشهد الحسيني القاهرة، دون ذكر تاريخ الطبع
.

الحسن بن عمر بن حبيب، 1416هـ - 1996م ، المقتنى من سيرة
المصطفى، دار الحديث القاهرة، مصر.

حسن أحمد محمود، (الدكتور) الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا
طبعة دار النهضة، ج/1 دون ذكر التاريخ الطبع .

حسن شاذلي فرهود وآخرون (الدكتور)، 1401 هـ 1981 م ،
البلاغة والنقد، الرئاسة العامة لتعليم البنات، المملكة
العربية السعودية، الطبعة الثالثة.

حسن بن بشر بن يحي الأمدي (أبو القاسم)، الموازنة بين شعر أبي
تمام والبحثري 2006م، تحقيق السيد أحمد صقر، دار
المعارف القاهرة،

إبن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة
السلفية، رقم 1900، دون ذكر التاريخ والطبع .

حنّا الفاخوري، 1964م ، الجديد في الأدب العربي، منشورات
مكتبة المدرسة بيروت لبنان ط/3 .

خضر يوسف بابا، 2004م ، "مدرسة الفيضة الإسلامية للشيخ يهوذا
بن سعد زاريا"، بحث علمي، لنيل شهادة الليسانس، قدم
لقسم اللغات النيجيرية والإفريقية، جامعة أحمد بلو زاريا،

إبن خلدون عبدالرحمن، 1993م ، المقدمة، داركتب العلمية بيروت
لبنان ط/1.

درما محمد ثانی خامس، 1984 م ، أمير المؤمنين محمد بلو
وتحقيق ديوان إفادة الطالبين، رسالة قدمت في قسم اللغة
العربية، كلية الآداب، لنيل شهادة الماستير، في اللغة
العربية، جامعة بايرو، كنو .

دریم حسن، دروس مختصرة في علم العروض، دروس غير
مصنفة، المكتبة الشاملة، دون ذكر التاريخ والطبع

دينيري، محمد بن قتيبة، الشعر والشعراء، القاهرة ط دار المعارف،
دون التاريخ.

رجب عبد الجواد إبراهيم، (الدكتور) 2003م، موسيقى اللغة: دار
الآفاق العربية، القاهرة، ط 2.

سليمان بن بنين بن خلف بن عوض، تقي الدين المصري، 1985م
، إتقان المباني وافتراق المعاني، دار عمار - عمان ط/
1.

إبن رشيق، 1963م ، العمدة في محاسن الشعر ونقده، مطبعة
السعادة، دون ذكر الطبع .

رفاعي أيوب شيخ أحمد، 1998م ، فن الرثاء عند الشيخ محمد بلو
بن عثمان إبن فودي، بحث علمي قدم إلى قسم اللغة
العربية، كلية الآداب والدراسات الإسلامية، جامعة بايرو
كنو، للحصول على شهادة الليسانس .

زكي مبارك، 1937م، الموازنة بين الشعراء، منشورات المكتبة
العصرية، صيدا بيروت لبنان .

الزبيدي، السيد محمد مرتضى، 1386هـ - 1966م ، تاج العروس
في شرح القاموس، بيروت، دار صادر.

سامي برهان، فنون الأدب، الفن الغنائي، الرقم الرابع بعنوان المديح
طبعة دار المعارف، بمصر، ط/2، دون ذكر التاريخ .

سعيد أبوبكر موسى، 2004م ، الموازنة بين شعر الشيخ عبد الله بن
فودي وشعر الشيخ محمد البخاري أمير تمبول، دراسة
أدبية نقدية، رسالة قدمت إلى شعبة اللغة العربية،
للحصول على درجة الماجستير جامعة أحمد بلو راريا.

سليمان الأشقر، (الدكتور) 1405هـ - 1985م ، الرسال
والرسالات، مكتبة الفلاح الكويت، ط 2 .

شرف الدين النووي، 1347هـ - 1929م، صحيح مسلم، المطبعة المصرية الأزهر، ط 1 .

شعيب على دكّو، 2000م، تخميس الشيخ شئت بن عبد الرؤوف لبردة البوصيري دراسة تحليلية بحث قدم لقسم اللغة العربية للحصول على درجة الماجستير جامعة أحمد بلو زاريا، .

شوقى ضيف، 1900م 8، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف بمصر ط/ .

صفي الرحمان المباركفوري، 1408هـ 1988م، رحيق المختوم، دار القلم بيروت لبنان، ط/2 .

عبدالله الطيب، (البروفيسور) 1995م، مقالة بعنوان " محمد بلو الشاعر " في ندوة علمية المحور الرابع: أثر الشيخ عثمان على بيئته والبيئات المجاورة، جامعة الإفريقية العالمية الخرطوم السودان 26-28 جمادى آخرة، 1416هـ 19-21 نوفمبر .

عبدالله بن فودي ، 1380هـ 1961م ، ضياء التأويل في معاني التنزيل، مطبعة الاستقامة القاهرة .

عبد الله بن فودي، إيدع النسخ فيمن أخذ عنه من الشيوخ، التحقيق والدراسة، أحمد محمد بدوي (الدكتور) دون ذكر تاريخ الطبع والمطبعة.

عبد الرحمن بن حمد العباد البدر، من أخلاق الرسول الكريم، المكتبة الشاملة، قسم السيرة، دون ذكر التاريخ والطبع .

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، 1371هـ 1952م ، تاريخ الخلفاء، مطبعة السعادة مصر، ط 1 .

عبد الوهاب (الدكتور) بحث علمي، دار الشروق جده دون التاريخ .

عبد الفتاح عبدالله بركه (أ. الدكتور) برنامج موسوعة المفاهيم الإسلامية

جمهورية مصر العربية وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية 9- شارع النباتات جاردن سيتي القاهرة بدون التاريخ .

عبد القادر، الملقب بـ ممثلو ابن محمد بخاري، تبشير الإخوان في ذكر دولة شيخ عثمان، مخطوط.

عباس محمود العقاد، 1970م ، مجموعة الأعلام الشعر، طبعة دار المعارف دار الكتب العربي بيروت لبنان، ط / 1.

أبو العباس، محمد بن يزيد المبرد، 1987م ، الكامل في اللغة والأدب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط / 1 .

العاكوب، عيسى على، 1996م ، المفصل في علوم البلاغة العربية، المعاني، البيان، البديع، ط 1، دار القلم للنشر والتوزيع، دولة الإمارات العربية المتحدة، دبي .

عبد القادر بن عثمان بن ليم، الإكتفاء لأهل التأسى والإقتداء، مناقب أمير المؤمنين محمد بلو، بدون ذكر التاريخ .

عبد الملك بن هشام المعافري (ابن هشام)، 2003م ، السيرة النبوية، دار الغد الجديد، المنصورة، الطبعة الأولى.

العسقلاني أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعارف بيروت لبنان، دون ذكر تاريخ الطبع .

عز الدين بن جماعة الكتاني، المختصر الكبير في سيرة الرسول، المكتبة الشاملة قسم السيرة، دون ذكر التاريخ والطبع .

عكاشة أبا، 1989م ، " الشيخ يهوذا زاريا حيا ته ومسا همته في نشر الثقافة العربية والإسلامية" بحث قدم لقسم اللغة العربية، جامعة جوس، لنيل شهادة الليسانس.

علي أبوبكر "الدكتور" ، 1922م ، الثقافة العربية في نيجيريا، مؤسسة عبد الحفيظ ط/1، .

علي الحاقان، شعراء الحلة والبابليات، ط دار الأندلس، دون ذكر التاريخ

علي نائب سويد، كيف نتذوق الأدب العربي، ط دار الأمة كفو نيجيريا، ج/1 دون ذكر التاريخ .

عمر بلو، 1982م ، ثقافة محمد بلو السياسية وتحقيق كتابه الغيث الوبل في سيرة إمام العدل رسالة للحصول على درجة الدكتوراة، جامعة لندن.

غرب طن طوهو زاريا، 2005م ، الشيخ جبريل حياته وبعض آثاره العربية الباقية دراسة وتحقيق، بحث قدم لقسم اللغة العربية، بكلية الآداب والدراسات الإسلامية، جامعة بايرو لنيل درجة الدكتوراه عام .

غرب طن طوهو: 2002 م ، محمد البخاري بن الشيخ عثمان وشخصيته الأدبية، مطبعة غسكيا زاريا، ط/1 .

غلاذنت، شيخ أحمد سعيد ، 1424هـ - 1993م ، الحركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، الرياض شركة الميكال، ط 2.

أبو الفتح صالح أحمد، 2004 م ، بين الشيخ عبدالله بن فودي والوزير محمد بن عبد الله البرناوي في تخميسهما لدالية الشيخ عثمان بن فودي دراسة ومقارنة. رسالة علمية قدمت لقسم اللغة العربية، كلية الآداب والدراسات

الإسلامية، للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها جامعة بايروكنو، .

أبوسعدة شقيق، 1988م، الأدب العربي بين التماسك والانحدار،
مذكرة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة
الخامسة .

أبي الفضل عياض اليحصبي، 1415هـ 1995م، الشفاء بتعريف
حقوق المصطفى، دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع،
بيروت لبنان.

كبرى عثمان شيخو، 2000م، الشعر الصوفي في نيجيريا، رسالة
قدمت لقسم اللغة العربية لنيل درجة الدكتوراه، في اللغة
العربية، جامعة بايرو، كنو .

كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين الكتب العربية بيروت، لبنان دار
إحياء التراث العربي، بدون ذكر التاريخ .

كاني، أحمد محمد، الورقة الثقافية السابعة الجهاد الإسلامي في
غرب إفريقية مطبعة الزهراء الإعلام العربي، بدون
تاريخ الطبع .

كياري إبراهيم الشريف، عام 2000م، البردة الجيمية في مدح خير
البرية للإمام الشيخ يوسف بن إبراهيم القرقرى بحث
قدم لقسم اللغة العربية جامعة بايرو كانوا للحصول على
درجة الدكتوراه .

محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، 1304هـ، القاموس المحيط،
المطبعة الأميرية بولاق مصر .

محمد بلو، 1383هـ 1964م، إنفاق الميسور، مطابع الشعب
شارع قصر العيني القاهرة، دون ذكر الطبع .

محمد تاويت، وغيره، 1965 م، الأدب المغربي، دار القلم، بيروت،. دون الطبع .

محمد الثاني خامس، درما، ، 1984م ، أمير المؤمنين محمد بلو وتحقيق ديوانه إفادة الطالبين، رسالة الماجستير، قدمته إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو، للحصول على شهادة الماجستير.

محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار الصادر بيروت لبنان ط1، دون ذكر التاريخ .

محمد صالح حسين، 1982م ، مصادر تخميس الدالية الفودوية مجلة اللغة العربية جامعة بايرو كانو، العدد الخامس .

محمد بن عبد الرؤف المناوي، 1410 هـ ، التعاريف دار الفكر المعاصر، دار الفكر- بيروت، تحقيق د0 محمد رضوان الداية، ط 1 .

محمد أمين شيخ، 1995م ، الشيخ يهوذا بن سعد زاريا، وأشعاره ذات طابع الأدب العربي، والدراسات الإسلامية، رسالة قدمت للحصول على درجة لماجستير، قسم اللغات النيجيرية والإفريقية، جامعة أحمد بلو زاريا.

محمد رشاد محمد صالح (الدكتور) 1987م، نقد كتاب الموازنة بين الطائيين، ط-2، دار الكتب العربي، بيروت لبنان .

المرزباني، معجم الشعراء، موقع الإلكتروني، موقع الوراق، المكتبة الشاملة .

موسى علي كونه، 2003م ، القصيدة الميمية الإبراهيمية، للشيخ يهوذا بن سعد زاريا، عرض ودراسة، رسالة للحصول على درجة الماجستير قدمت لقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد بلو زاريا .

محمد البوصيري، بردة المديح النبوي .

محمد شاكر، 3، 1403هـ 1985 م ، تاريخ الإسلام، الخلفاء
الرشدون، المكتب الإسلامي بيروت، ج / 3 ط .

محمد بلو السلطان تخميس بردة المديح مخطوط

ناصر مرتضى إبراهيم ، 2000م ، المدائح النبوية عند بعض علماء
زاريا، رسالة قدمت لقسم اللغة العربية، للحصول على
درجة الماجستير جامعة بايرو، كنو.

نصر الصديق بشير، (أ. دكتور) ديسمبر 2005م ، قرآن فوبيا،
المجلة التواصل، العدد 8، تصدر في كلية الدعوة
الإسلامية، الجماهيرية الليبية العظمى.

هدارة، محمد مصطفى، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني
الهجري، دون المطبع والتاريخ .

وزارة المعارف العمومية، المفصل في تاريخ أدب العربي، دون
ذكر التاريخ

وجيه الدين الشيباني، حدائق الأنوار مطبعة محمد هاشم الليثي
بدمشق نشر على نفقة أمير قطر بدون ذكر التاريخ.

الوزير جنيد، نيل المرام بذكر ترجمة الإمام أمير المؤمنين محمد
بلو، مخطوط .

ياقوت الحموي، معجم البلدان، موقع الوراق، ج 4، دون التاريخ
ومكان الطبع .

يوسف المرعشي (الدكتور) ، 2008م الموافق 1429هـ، أصول
كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، دار المعرفة،
بيروت لبنان، الطبعة الثالثة،

يهودا بن سعد، تخميس بردة المديح .

يهودا بن سعد، 1408هـ ، تخميس تفت، قام بطبعها، ونشرها أبو
بكر بن سيد الحاج محمد ثالث تجاني، زاريا .

المراجع غير العربية:

Muhamad Bello b Uthman Fudi (d. 1837) takhmis al- Burdah Undated_
copyst Unknown , From the collection of Alhaji Junaidu Sokoto
via Dlast19 prints number 14/8 .

Muhamad Bello (2008) Manuscript obtained from Department of National
Archives Zonal office Yakubu Gowon way, Kaduna .

Omar Bello (1983.) the Political Thought of Muhamad Bello1781-1837
as Reveled in his Arabic Writings; mmore especialyal- ghaith al-
wabl Fi sirat Al – Imam al-Adl Shool of Oriental aand African
Studies Univerity Of London.